



سِرَاجُ الْمَنَابِرِ
خُطَبُ إِيْمَانِيَّةٍ تُنِيرُ الدُّرُوبَ وَتَغْرِسُ الْيَقِينَ

إِعْدَادُ وَالْقَاءُ:
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
أَحْمَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزَّائِدِي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، عَظَّمَ شَأْنَ الْكَلِمَةِ، وَعَلَّمَ الْبَيَانَ، وَجَعَلَ مِنَ الْكَلِمَاتِ مَا تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ، وَيَزِدُّهُ بِهِ الْإِيمَانُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْمُنْبَرَ لَهُ مَقَامٌ عَظِيمٌ الشَّانِ، وَالْكَلِمَةُ فِيهِ مِيزَانٌ؛ تُقَامُ بِهَا الْحُجَّةُ، وَتُوقِظُ الْقُلُوبُ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَبِهَا تُسْتَنْهَضُ الْهَمَمُ، وَتُعْلَقُ الْقُلُوبُ بِرَبِّهَا، وَتُذَكَّرُ النُّفُوسُ بِعَظَمَةِ خَالِقِهَا. وَبِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ تَحْيَا الْقُلُوبُ، وَتُسْتَقِيمُ الدُّرُوبُ، وَيُنْبِئُ الْوَعْيُ، وَيُزْرَعُ الْيَقِينُ، وَتُذَكَّرُ بِوَاقِعِ الْأَمَةِ، وَتُسَهَّمُ فِي رَفْعِ الْعَمَةِ، إِذِ الْمُنْبَرُ سِرَاجُ هِدَايَةٍ، وَمَعْلَمٌ تُوْجِيهِ، وَمَنَارَةٌ إِصْلَاحٍ. وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ جَمْعُ هَذِهِ الْخُطَبِ الْمَوْسُومَةِ بِـ «سِرَاجِ الْمَنَابِرِ»، وَعَدَّهَا سَبْعَةً وَسِتُونَ خُطْبَةً، تَتَوَعَّتْ مَوْضُوعَاتُهَا بَيْنَ تَرْسِيخِ الْإِيمَانِ، وَتَقْوِيمِ السُّلُوكِ، وَإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ، وَالتَّذَكُّيرِ بِمَا غَفَلَتْ عَنْهُ النُّفُوسُ، وَمُعَالَجَةِ بَعْضِ مَا يَقَعُ فِي الْمَجْتَمَعِ مِنْ أَخْطَاءٍ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْإِخْتِصَارِ وَالْإِيْجَازِ؛ لِيَكُونَ نَفْعُهَا أَعْمَ، وَأَثَرُهَا أَبْقَى.

وَمَا كَانَ هَذَا الْعَمَلُ إِدْعَاءَ كَمَالٍ، وَلَا تَرْكِيَةَ نَفْسٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بَدَلٌ وَسُعٍ، وَأَدَاءٌ مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا تَبَيَّنَ مِنَ الْبَيَانَ، رَجَاءً أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ عَوْنًا لِلْخُطَبَاءِ، وَنُورًا عَلَى طَرِيقِ الدَّعْوَةِ، وَتَذَكُّرَةً لِلْقُلُوبِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ، خِدْمَةً لِلْمُنْبَرِ وَأَهْلِهِ، مُبَارَكًا فِي أَثَرِهِ، نَافِعًا لِقَارِبِهِ وَسَامِعِهِ، وَذُخْرًا يَوْمَ تَلْقَاهُ، وَأَنْ يَكْتُنِبَ لَنَا بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ رِضَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُرْبَاتِ، وَالْمُنْجِيَّاتِ، وَالْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنْ يَقْبَلَهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.
وَكَتَبَهُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرَّايدي

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ... نُورُ الْهُدَايَةِ وَمِنْهُجُ الْحَيَاةِ.

{ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } [الكهف: 1]، هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَرَحْمَةً وَشِفَاءً، وَنُورٌ يَهْدِي بِهِ اللّٰهُ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ، هُوَ تَذْكِرَةٌ وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَخْشَى، يُوقِظُ الْقُلُوبَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وَيُذَكِّرُ فِيهَا جَدْوَةَ الْإِيمَانِ وَالنَّقْوَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } [طه: 123]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ حَقَّ النَّقْوَى، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ الْهُدَى.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّهُ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ لَوْ عَقَلَ النَّاسُ، وَبَغْيَرَهُ فَلَيْسَ نَحْمُ حَيَاةً وَإِنْ رَأَاهَا النَّاسُ كَذَلِكَ، وَصَفَ اللّٰهُ الْمُغْرَضِينَ عَنْهُ بِالْمَوْتَى وَإِنْ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَسْرُبُونَ، وَيَعْدُونَ وَيَرْوَحُونَ، وَبِالصُّمِّ وَالْعُمَى وَإِنْ كَانُوا يَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ { فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمِّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } ٥٢. وَمَا أَنْتَ بِهْدٍ أَلْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِإِيتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ } ٥٣. { [الروم: 52-53]، { أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام: 122].

فَلَا حَيَاةَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ، كَيْفَ وَقَدْ سَمَّاهُ اللّٰهُ رُوحًا { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى: 52].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلِمَةً تَكَرَّرَتْ فِي كِتَابِ اللّٰهِ بِتَصَارِيفِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَرَّةٍ، إِنَّهَا كَلِمَةُ الْهُدَى؛ لِيَعْبِيَ الْمُتَدَبِّرُ الْقُرْآنَ أَنَّ كِتَابَ رَبِّهِ كِتَابُ هِدَايَةٍ، { يَهْدِي بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة: 16]، فَأَوَّلُ وَصْفٍ وَصَفَ اللّٰهُ كِتَابَهُ الْمُبِينُ { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } [البقرة: 2]، وَأَوَّلُ وَصْفٍ رَتَّبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ فَلَاحَ الْمُؤْمِنِينَ { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة: 5].

وَهُوَ أَوَّلُ وَصْفٍ تَرْتَّبَ عَلَى تَخْلُفِهِ خَسَارَةُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [البقرة: 16].

وَهُوَ أَوَّلُ فَاصِلٍ جَعَلَهُ اللّٰهُ تَعَالَى بَيْنَ سَبِيلِ النَّاجِينَ { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: 38].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

فَلَا هُدًى إِلَّا فِي هُدَاهُ، وَلَا يَتَحَقَّقُ الْإِهْتِدَاءُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ هِدَايَاتِهِ، فَالْهُدَى هُدًى الْقُرْآنِ، وَمَا سِوَاهُ وَصَفَهُ اللّٰهُ بِالْهَوَى؛ وَلِذَلِكَ أَمَرْنَا اللّٰهَ بِالِاسْتِسْلَامِ لِمَا جَاءَ فِيهِ { قُلْ إِنْ

هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ { [الأنعام: 71]، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ مُخَالَفَةَ هُدْيِهِ هُوَ الْهَوَى وَالضَّلَالُ بِعَيْنِهِ { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ { [القصص: 50]، فَلَا طَرِيقَ لِلْهُدَايَةِ بِدُونِهِ، وَمَنْ حَبَّبَ قَلْبُهُ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ فَلَنْ يَهْتَدِيَ بِهِ { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَالِيَّتِهِ يُؤْمِنُونَ { [الجاثية: 6].
اللَّهُمَّ ادْخُلْنَا فِي رَحْمَةِ مِنْكَ وَفَضْلٍ، وَاهْدِنَا إِلَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: كِتَابُ رَبِّنَا كِتَابٌ هِدَايَةٍ لَخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ {، وَقَدْ جَاءَ بِصِغَةِ التَّقْضِيلِ { }؛ لِنَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسَاوَى مَعَ غَيْرِهِ أَبَدًا، وَذَكَرَتِ الصِّفَةُ { }، وَلَمْ يُذَكَّرْ مَوْصُوفٌ؛ لِإِتِّبَاتِ عُمُومِ الْهُدَايَةِ بِالْقُرْآنِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ وَصَفُ الْقُرْآنِ بِالْهُدَايَةِ خُصَّ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ الْمُتَّقُونَ أَوْ الْمُحْسِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ قَبِلُوا هُدَاهُ وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهُ، وَإِلَّا فَالْأَصْلُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ جَمِيعًا { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى { [فصلت: 44]. فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَدَبَّرَ آيَاتِهِ وَيَعْمَلَ بِهَدَايَاتِهِ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِهُ تُحْشَرُونَ { [الأنفال: 24].

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا كِتَابُ رَبِّكُمْ، فِيهِ نُورٌ قُلُوبِكُمْ، وَحَيَاةٌ أَرْوَاحِكُمْ، وَسَعَادَةٌ دُنْيَاكُمْ وَنَجَاتُكُمْ فِي آخِرَاتِكُمْ، فَاقْبَلُوا عَلَيْهِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَاعْمَلُوا بِهِ أَمْرًا وَنَهْيًا، تَفُوزُوا بِالْهُدَايَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْأَفْلَاحِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْرَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغُمُومِنَا اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا، وَذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا.

تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ ... سَبِيلُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَظَّمَ كِتَابَهُ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ: {وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وَجَعَلَ تَعْظِيمَ كِتَابِهِ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ {قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا} ١٠٧ {وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} ١٠٨ {وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} ١٠٩ {[الإسراء: 107-109]}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا، وَاتَّبَعَهَا مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: 131].

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَالسِّرُّ الَّذِي بِهِ يُعْرِفُ عِلَاقَةُ الْمَرْءِ بِكِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ إِنَّهُ عِبَادَةُ تَعْظِيمِ كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ {﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ ٧٥ {وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} ٧٦ {إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ} ٧٧ {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} ٧٨ {لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ} ٧٩} [الواقعة: 75-79].

فَالْعِلَاقَةُ مَعَ الْقُرْآنِ تَعْظُمُ عِنْدَ تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَتَضَعُفُ عِنْدَ فَقْدِ ذَلِكَ؛ حَتَّى تَظْهَرَ فِي مَظَاهِرِ وَسُلُوكِيَّاتٍ مُخَالَفَةٍ تَدُلُّ عَلَى خُلُقِ الْقَلْبِ مِنْ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ، وَغِيَابِ الْوَعْيِ بِعَظَمَتِهِ وَمَكَانَتِهِ {قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ هَذَا الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِنَا، وَقَدْ نَوَّهَ اللَّهُ بِهِ فِي مُفْتَتِحِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ سُورَةً، وَنَوَّهَ بِهِ فِي مُحْتَمَمِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ سُورَةً، أَفَرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ {الرَّ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: {هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدٌ وَلِيَذْكُرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}. {إِبْرَاهِيمَ}. {الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} ١ {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}. وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ١١١ {يُوسُفَ}. {ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ} ١. {وَحَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ} ٤٥ {ق}].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِمَّا يَقْوَى بِهِ تَعْظِيمُ كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اسْتِشْعَارُ الْعَبْدِ لِعَظَمَةِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، فَالْكَلَامُ يَعْظُمُ بِعَظَمَةِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ {تَنَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [السجدة: 2]، كَلَّمَآ

قَوِيَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ ؟ زَادَ تَعْظِيمُهُ لَهُ، وَلِكَلَامِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ طَرِيقًا مُوَصِّلًا لِتَعْظِيمِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَانْفَعْنَا وَارْقَعْنَا بِهِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ صُورِ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ تَطْهِيرُ الْقَلْبِ وَإِصْلَاحُهُ وَمُذَاوَاتُهُ وَعِلَاجُ أَمْرَاضِهِ، فَالْقَلْبُ هُوَ الْمُخَاطَبُ الْأَوَّلُ بِالْقُرْآنِ {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء:193]. {لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس: ١]؛ أَي: حَيُّ الْقَلْبِ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق:37]، وَلَنْ يَنْتَفِعَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، وَغَيْرِهِ، وَمَوَاعِظِهِ إِلَّا الْقَلْبُ السَّلِيمُ، أَمَّا الْقُلُوبُ الَّتِي أَمْرَضَتْهَا الذُّنُوبُ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا الشَّهَوَاتُ الْمَحْرَمَةُ فَلَنْ تَتَأَثَّرَ بِالْقُرْآنِ: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف:146].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، اللَّهُمَّ افْتَحْ قُلُوبَنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ أَعْظَمَ مَا فَتَحْتَ لِأَوْلِيَائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا عِبِيدُكَ بَنُو عِبِيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِيئًا بِبَيْدِكَ، مَا ضِيقَ قُلُوبِنَا مِنْ خَلْقِكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغُمُومِنَا، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مَا نُسَيِّنَا، وَعَلِّمْنَا مَا جَهِلْنَا، وَارْقِنَا تِلَاوَتَهُ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا.

الله... الاسم الأعظم

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } ١٠ { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ } ٢٠ { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } ٣٠ { [الأنعام: 3-1]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، { لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: 21]، فَبِتَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ تَتَحَقَّقُ التَّقْوَى، وَبِصِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ يَسِيرُ الْمَرْءُ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ وَهُدًى.

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ الْإِسْمُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، هُوَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي تَقَرَّدَ بِهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ لَمْ يَنْسَمْ بِهِ غَيْرُهُ، اسْمٌ جَامِعٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، مَرْجِعُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى إِلَيْهِ، وَمَدَارُ مَعَانِيهَا عَلَيْهِ، هُوَ الْإِسْمُ الَّذِي تُكْشَفُ بِهِ الْكُرْبَاتُ، وَتُسْتَزَلُّ بِهِ الْبَرَكَاتُ، وَتُجَابُ بِهِ الدَّعَوَاتُ، وَتُقَالُ بِهِ الْعُنْتَرَاتُ، وَتُسْتَدْفَعُ السَّيِّئَاتُ، وَتُسْتَجْلَبُ بِهِ الْحَسَنَاتُ، هُوَ الْإِسْمُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، افْتَتَحَ اللَّهُ بِهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَكْثَرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَرُودًا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، إِذْ وَرَدَ أَكْثَرُ مِنَ أَلْفَيْنِ وَسَبْعِمِائَةِ مَرَّةٍ، إِنَّهُ اسْمُ اللَّهِ أَحْصَى أَسْمَاءَهُ سُبْحَانَهُ وَأَعْظَمَهَا وَأَجْمَعَهَا، وَهَذَا يَدُلُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِيُعْرِفَ النَّاسُ بِرَبِّهِمْ، وَيُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ، وَيُدْلِّهِمْ عَلَيْهِ، وَيَهْدِيَهُمْ إِلَيْهِ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى رِضَا، وَيُذَكِّرُهُمْ بِهِ إِذَا نَسُوا، وَيُقَوِّي صِلَتَهُمْ بِهِ إِذَا ضَعُفُوا، لِيَكُونُوا مَعَ اللَّهِ دَائِمًا عَابِدِينَ، دَاعِينَ، مُسْتَعِينِينَ، مُتَضَرِّعِينَ، طَائِعِينَ، خَاشِعِينَ، مُنِيبِينَ، مُسْتَغْفِرِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَاسْمُ اللَّهِ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَيْنِ عَظِيمَيْنِ مُتَلَازمَيْنِ: أَوَّلُهُمَا أَنَّهُ الْإِلَهُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَثَانِيَهُمَا: الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ أَحَدٌ سِوَاهُ، { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } [الأنعام: 3]، أَيُّ الْمَعْبُودِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَالْمَعْبُودِ فِي الْأَرْضِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

عِنْدَمَا يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ مُنْصِفٌ بِهَذَا الْإِسْمِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّهُ الْجَامِعُ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ بِحَقِّهِ مِنَ التَّعْبُدِ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْحُبِّ مَعَ كَمَالِ الذِّلِّ وَالتَّعْظِيمِ، فَوَاللَّهِ مَا شَيْءٌ أَطْيَبُ لِلْعَبْدِ وَلَا أَلَذُّ وَلَا أَهْنَأُ لِقَلْبِهِ وَعَيْشِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَدَوَامِ ذِكْرِهِ فِي لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَعَقْلِهِ، وَالسَّعْيِ فِي مَرْضَاتِهِ، وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَالْعِبَادَةُ - عِبَادَ اللَّهِ - لَا تُسَمَّى عِبَادَةً حَتَّى تَجْتَمَعَ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ عَظِيمَةٍ:
 الْأَوَّلُ: الْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ الْعَظِيمَةُ؛ فَهِيَ رُوحُ الْعِبَادَةِ وَأَعْظَمُ دَرَجَاتِهَا.
 الثَّانِي: التَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ؛ فَالْعَابِدُ مُعْظَمٌ لِمَحْبُوبِهِ، مُجِلٌّ لَهُ غَايَةَ الْإِجْلَالِ.
 الثَّلَاثُ: الذُّلُّ وَالْخُضُوعُ وَالْإِنْقِيَادُ؛ فَالْعَبْدُ مُنْقَادٌ لِمَعْبُودِهِ، خَاضِعٌ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،
 رَاضٍ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. فَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ كَانَ عَبْدًا لِلَّهِ حَقًّا، مُخْلِصًا
 لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، فَإِذَا خَلَّتِ الْعِبَادَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي كَانَتْ جَسَدًا بِلا رُوحٍ، لَا تُرَكِّي نَفْسًا،
 وَلَا تُصْلِحُ قَلْبًا، وَلَا تُقَرِّبُ عَبْدًا مِنْ رَبِّهِ.
 اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا بِمَعْرِفَتِكَ وَمَحَبَّتِكَ وَخَشْيَتِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ هَذَا الْإِسْمِ الْعَظِيمِ «اللَّهُ» وَمَعْرِفَتِهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ
 وَسَعَادَتُهُ وَأَنْسُهُ بِهِ؛ فَإِنَّ اللَّذَّةَ وَالْفَرَحَةَ وَطِيبَ الْوَقْتِ وَالنَّعِيمَ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ التَّغْيِيرَ عَنْهُ
 إِنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَمَا نَالَ الْعَبْدُ نَعِيمًا قَطُّ مِثْلَ مَعْرِفَتِهِ اللَّهَ حَقَّ
 الْمَعْرِفَةِ، وَقُرْبُ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ هُوَ أَعْظَمُ نَعِيمٍ، وَبِهَذَا الْقُرْبِ تَطْيِبُ النَّفُوسُ وَتَطْمَئِنُّ
 الْقُلُوبُ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ
 جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا} ٥٦ { [الأحزاب: 56].

الله الْوَلِيُّ... أَمَانُ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُ الْمُتَّقِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، وَيُعْطِي بِحِكْمَتِهِ وَهُوَ الْوَاسِعُ الْمَجِيدُ، وَيَمْنَعُ بِلُطْفِهِ وَيُدَبِّرُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيَتَوَلَّى أَوْلِيَاءَهُ الصَّالِحِينَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ وَلَائَتَهُ لِأَهْلِ التَّقْوَى، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا.

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الَّتِي أَشْرَقَ بِهَا كِتَابُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَكْرَمَ بِهَا عِبَادَةَ الْمُتَّقِينَ، مِنْ أَعْظَمِ مَا يُحْيِي اللَّهُ بِهِ الْقُلُوبَ، وَيُنَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ، وَيُزَكِّي بِهِ النُّفُوسَ، وَيَهْدِيهَا سُبُلَ السَّلَامِ، إِنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْوَلِيِّ.

فَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ اسْمَ رَبِّهِ الْوَلِيِّ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، قَوِيَ إِيمَانُهُ، وَعَظُمَ يَقِينُهُ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَحَبَّةً لَهُ. وَكَيْفَ لَا يُجِبُّ الْقَلْبُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَتَوَلَّاهُ وَيَحْفَظُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَلِيَّهُ فَلَيْسَ لَهُ وَلِيٌّ سِوَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَإِذَا تَوَلَّى اللَّهُ عَبْدَهُ يَتَوَلَّاهُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: حِفْظًا، وَنَصْرًا، وَعِنَايَةً، وَتَوْفِيقًا، وَتَرْبِيَةً، وَتَرْكِيبَةً، وَهِدَايَةً، وَسَدَادًا، وَكِفَايَةً، وَأَعْنَاهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَالْوَلَايَةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَبْنَاهَا عَلَى صِدْقِ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ، فَمَنْ أَرَادَ الْوَلَايَةَ فَعَلَيْهِ بُلُزُومُ طَرِيقِ الْاسْتِقَامَةِ وَالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ {إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف:196].

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ أَثَارِ وَلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ: الْهِدَايَةُ لِلْحَقِّ، وَالْخُرُوجُ مِنْ ظُلُمَاتِ الشَّكِّ وَالنِّفَاقِ وَالْغَيِّ وَالْهَوَى إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَالْهُدَى {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، {وَمِنْ أَثَارِ وَلَايَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: مُحَارِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يُعَادِي أَوْلِيَاءَهُ، وَدِفَاعُهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ} {إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا} [الحج:38]، وَفِي الْحَدِيثِ الْفُذَيْسِيُّ يَقُولُ اللَّهُ: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)). (1)

وَيَا لَهُ مِنْ شَرَفٍ عَظِيمٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ أَنْ يُعْلِنَ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ حَرْبَهُ دِفَاعًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ، أَلَا قَوْلُ لِمَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ حَارَبَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَعَادَاهُمْ.

وَمِنْ آثَارِ وَلَايَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: تَوْفِيقُهُ وَتَسْدِيدُهُ لِمَا يَنْفَعُهُ، وَاسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ، وَإِعْطَاؤُهُ سُؤْلَهُ، وَإِعَادَتُهُ مِمَّا يَخَافُهُ وَيَحْذَرُهُ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: ((فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِذَّنَّهُ)) (2).

وَمِنْ آثَارِ وَلَايَةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: وَعْدُ اللَّهِ لِأَوْلِيَائِهِ بِالْأَمْنِ وَالْبُشْرَى، وَرَفْعُ الْخَوْفِ وَالْخُزْنِ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٦٢) {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (٦٣) {يونس: 62-63}.

وَمِنْ الْبَشَارَاتِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ: التَّنَائُ الْحَسَنُ، وَالْمَوَدَّةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، وَأَعْظَمُ تِلْكَ الْبَشَارَاتِ وَأَجْلُهَا دَارُ السَّلَامِ فِي الْآخِرَةِ: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 127].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

أَعْظَمُ نِعْمَةٍ يَرَرُفُهَا اللَّهُ الْعَبْدَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّهُ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ وَلِيَّهُ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ، فَحَسَبَ إِيْمَانَ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ وَلَايَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيْمَانًا وَتَقْوَى كَانَ أَكْمَلَ وَلَايَةٍ لِلَّهِ. فَالْأَنَاسُ مُتَقَاضِلُونَ فِي وَلَايَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى.

وَإِذَا نَالَ الْعَبْدُ وَلَايَةَ اللَّهِ نَالَ السَّكِينَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْبُشْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَمْنُ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ، وَالنَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (٣٠) [فصلت: 30].

تِلْكَ يَا عِبَادَ اللَّهِ بَشَارَاتُ الْوَلَايَةِ، وَعَدُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: 4].
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ... أَشْرَفُ الْعُلُومِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ: 1] {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 4] {خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} ٧٣ {[الأنعام: 73] {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} ١٠٢ {لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} ١٠٣ {[الأنعام: ١٠٣] {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ٨٨ {[القصاص: 88] {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَبَرُّوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [سورة الرعد: 2]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأُخْصِيَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْلَمَ النَّاسَ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْقِبْ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ١٨ {[الحشر: 18].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعُلُومِ وَأَسْمَاهَا، وَأَشْرَفُهَا وَأَرْكَاهَا، هُوَ أَصْلُ الْإِيمَانِ وَثَمَرَةُ شَجَرَةِ الْإِحْسَانِ، وَرُوحُ كُلِّ عِبَادَةٍ، وَبِهِ يَجِدُ الْمَرْءُ لَذَّةَ الطَّاعَةِ، أَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ، وَحَصْلَتُهُ النَّفُوسُ، وَأَدْرَكَتُهُ الْعُقُولُ؛ إِنَّهُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، ذَلِكَ أَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، وَلَا مَعْلُومٍ أَفْضَلُ وَأَجَلُ مِنَ اللَّهِ؛ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَرَفَ مَا سِوَاهُ، وَمَنْ جَهِلَ بَرَبِّهِ فَهُوَ لِمَا سِوَاهُ أَجْهَلُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَخُدَعِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالطَّمَانِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْأُنْسَ بِقُرْبِهِ، وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، فَأَعْظَمُ الْعُلُومِ الَّتِي تَضُمُّهَا الْقُرْآنُ هُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ؛ فَهُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصِدُ الْأَجَلُ، فَالْقُرْآنُ أَنْزَلَ لِتَعْرِيفِ عِبَادِهِ بِهِ وَبَصْرَاتِهِ الْمُوصِلِ إِلَيْهِ، {وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْإِحْسَنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: 180]. {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمُوتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: 12]، فَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ غَايَةُ الْخَلْقِ الْمَطْلُوبَةُ، وَأَوَّلُ فَرَضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ تَوْحِيدُهُ، وَلَا يَنْبَغُ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَلَا حَيَاةَ وَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ بَارِيهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى

خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدُوهُ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوهُ، فَلَاشْتِغَالُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ اشْتِغَالٌ
بِمَا خُلِقَ لَهُ الْعَبْدُ، وَتَرْكُهُ وَتَضْيِيعُهُ إِهْمَالٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّنا نَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُفَدِّرُونَكَ حَقَّ قَدْرِكَ، وَيَعْرِفُونَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ،
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

أَعْرِفَ النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا، وَكُلَّمَا زَادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ زَادَتْ
هَيْبَتُهُ وَخَشْيَتُهُ إِيَّاهُ، إِنَّمَا {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]، وَلَمَّا كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ تَعَالَى، كَانَ هُوَ أَشَدَّهُمْ خَشْيَةً لَهُ، قَالَ ﷺ: «وَاللَّهِ، إِنِّي
لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً» (3).
وَالْمَقْصُودُ بِالْمَعْرِفَةِ: الْمَعْرِفَةُ الَّتِي تَقْتَضِي مِيلَ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِالْكَلِّيَّةِ، وَالْإِنْفِطَاعَ إِلَيْهِ
بِالنَّمَامِ، وَالْأُنْسَ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَالطَّمَانِينَةَ بِذِكْرِهِ، وَالْحَيَاءَ مِنْهُ، وَالْهَيْبَةَ لَهُ، وَتَعْلُقَ الْقَلْبِ
بِهِ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِهِ، وَخَشْيَتَهُ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالْفِرَارَ مِنَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ؛ فَمَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللَّهِ
وَصِفَاتِهِ، وَالتَّعَبُّدُ لَهُ بِمُقْتَضَاهَا، أَعْظَمُ سَبِيلٍ لِنَحْزِقِ أَعْظَمَ وَأَجَلِ مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ،
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهِ؛ فَالْجَهْلُ بِاللَّهِ سُمْ مُهْلِكٌ، وَأَظْهَرُ دَلِيلٍ عَلَى مَوْتِ الْقَلْبِ.
اللَّهُمَّ افْتَحْ قُلُوبَنَا لِنَتَدَبَّرَ كِتَابِكَ، وَالتَّفَقُّهُ فِي أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى.
هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ
جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا} ٥٦ { [الأحزاب: 56].

الثِّقَةُ بِاللَّهِ زَادَ الْقُلُوبَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْضَى فِي خَلْقِهِ قَدْرَهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ، وَسَبَقَتْ بِهِ كَلِمَتُهُ، مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ كَانَتْ مَعَهُ الْقُوَّةُ الَّتِي لَا تَفْهَرُ، وَالْفَيْئَةُ الَّتِي لَا تُغْلَبُ: { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف: 21]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق: 12]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

عِبَادَةُ قَلْبِيَّةٌ، هِيَ: جِصْنُ السَّابِقِينَ، وَمَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَأَوْلِيَانِهِ الصَّادِقِينَ، هِيَ: عُدَّةُ الصَّابِرِينَ فِي دَارِ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ الْمُبِينِ، تَزِيدُ النَّفْسَ ثَبَاتًا وَالْإِيمَانَ رُسُوحًا، إِذَا امْتَلَأَ بِهَا الْقَلْبُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُ الطَّمَانِينَةُ، فَهَدَأَتْ نَفْسُهُ وَاطْمَأَنَّ قُودُهُ. إِنَّهَا الثِّقَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِصِدْقِ وَعْدِهِ وَلِقَائِهِ، إِنَّهَا الْيَقِينُ الثَّابِتُ بِكَمَالِ اللَّهِ، بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَبِصِدْقِ وَعْدِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَإِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ غَنِيَّةٌ عَنْ فَهْمِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا. إِنَّهُ الْيَقِينُ بِتَدْبِيرِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، قَدْ يَكُونُ الدَّخْلُ الْقَلِيلُ فِي مَالِهِ جَامِحًا لِأَهْوَاكَ وَشَهَوَاتِكَ، قَدْ نَصَابَ بِمَرَضٍ فِي بَدَنِكَ؛ لِيُبَلِّغَكَ اللَّهُ دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يَبْلُغَهَا عَمَلُكَ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

إِذَا تَيَقَّنَ الْعَبْدُ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَخَلْقِهِ، عِلْمَ أَنَّ حَكْمَ اللَّهِ تَأْتِي مَعَ الْبَلَاءِ، وَأَنَّ كُلَّ أَلَمٍ وَعَنَاءٍ لَا يَدُومُ، وَلَنْ يَكُونَ لَهُ الْبَقَاءُ، فَمَا بَعْدَ الْعُسْرِ إِلَّا التَّيْسِيرُ، وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَفَتْ وَتَدْبِيرٌ، وَيَمْضِي قَدْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَنْ تَكُونَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. فَتَقِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِتَدْبِيرِ اللَّهِ، وَتَيَقَّنْ أَنَّ كُلَّ قَدَرٍ مَكْتُوبٌ فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ خَالَفَ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ، فَلَا تُقَاسُ الْعَطَايَا الْإِلَهِيَّةُ بِالْمَكَاسِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُنْعُ خَيْرًا مِنَ الْعَطَاءِ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 27].

عِبَادَةُ اللَّهِ:

كُلُّ مَخْلُوقٍ مُعَرَّضٌ لِلْمَكِيدَاتِ وَالْمُنْعَصَاتِ، وَلَنْ تَسْلَمَ نَفْسٌ مِنَ الْفِتَنِ وَالْإِبْتِلَاءَاتِ، قَلَّ ذَلِكَ أَمْ كَثُرَ، صَغُرَ أَمْ كَبُرَ، وَبَحَسَبَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِيمَانِ يَكُونُ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ، وَإِذَا سَلِمَ الدِّينَ وَالْإِيمَانُ فَكُلُّ مَفْقُودٍ قَدْ صَغُرَ وَهَانَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الثِّقَّةَ بِاللَّهِ لَهَا صُورٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَمِنْ صُورِهَا: ثِقَةُ الْمُؤْمِنِ فِي تَفْرِيجِ الْكُرُوبَاتِ وَالشَّدَائِدِ، وَلَنَا فِي إِخْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عِبْرَةً، بَعْدَ مَا ظَنَّ أَهْلُ الْإِسْلَامِ أَنْ لَا يَخْرُجُوا؛ لِشِدَّةِ مَنَعَةِ حُصُونِهِمْ، وَبَعْدَ مَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا بَعَثَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَنَسُوا قُدْرَةَ اللَّهِ فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلَّمَا جَاءَهُمْ بِالنَّصْرِ} [القمر:50]: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:21].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ بِقُدْرَتِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

وَمِنْ صُورِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ:

الْيَقِينُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَفُوتُهُ وَلَا يُعْجِزُهُ هَارِبٌ، فَحَقُّ الْمَظْلُومِ مَحْفُوظٌ عِنْدَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، فَيُطْمَئِنُّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَهْمَا تَعَرَّضَ فِيهَا لِظُلْمٍ وَقَهْرٍ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حَقَّهُ مَحْفُوظٌ مَا خُوذَ لَهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَكَيْفَ لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ؟ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ: {وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس:109]: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر:44]: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه:111]: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقَمُونَ} [السجدة:22]: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} [الزمر:37]: {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم:6]، مهما طال الزمان: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم:64]: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء:227]: {إِنَّهُ لَا يُلْقِي الْظَالِمُونَ} [الأنعام:21]: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا} [الأنعام:45].

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مُطْمَئِنَّةً بِكَ، وَامْنَحْنَا الْيَقِينَ بِأَنَّكَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَاجْعَلْ حَيَاتِنَا عَلَى هَذَاكَ وَرِضَاكَ.

تَعْظِيمُ اللَّهِ ... رُوحُ الْعِبَادَةِ وَبَهَاؤُهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، عَرَفَ عَظَمَتَهُ مَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبُونَ؛ فَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، وَعَرَفَ عَظَمَتَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ وَالْمُتَّقُونَ؛ فَهُمْ مِنْ ذِكْرِهِ وَجِلُونَ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60]، {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: 49]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَتَقَوَى اللَّهُ أَعْظَمَ وَصِيَّةً، وَأَكْرَمَ سَجِيَّةً، وَخَيْرَ لِبَاسٍ وَزَادٍ، وَأَعْظَمَ وَسِيلَةَ لِرِضَا رَبِّ الْعِبَادِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ رُوحُ الْعِبَادَةِ وَأَسَاسُهَا، وَجَلَالُهَا وَبَهَاؤُهَا، فَالْعِبَادَةُ بِدُونِهِ جَسَدٌ بِلَا رُوحٍ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَمِنْ أَجَلٍ وَأَشْرَفِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ إِنَّهُ تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالْعِبَادُ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ عَلَى قَدْرِ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ، وَالْمُرَاقَبَةِ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

وَأَعْرَفَ النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: 28]، وَعَلَى قَدْرِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ يَكُونُ تَعْظِيمُهُ فِي قَلْبِهِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ لَا يُعْظِمُهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَا يَعْرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } [نوح: 13]، { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر: 67].

عباد الله:

مَنْ أَعْظَمَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ} [البقرة: 255]، وَمَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ، وَمِنْ عَظَمَتِهِ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ أَصْغَرَ مِنَ الْحَرْدَلَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ تَذَكُّرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ كِتَابٌ حَوَى مِنَ التَّعْظِيمِ وَالنِّثَاءِ وَالْحَمْدِ مِثْلَ مَا حَوَاهُ الْقُرْآنُ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: 19]، فَالْعِلْمُ بِاللَّهِ هُوَ النُّورُ الَّذِي يُضِيءُ طَرِيقَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ} [النمل: 26]، {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [النمل: 27]، مَا خَلَقَكُمْ

وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ { [لقمان: 28]. } {يُبَيِّنُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 16]. } {وَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى مَا نُذِرُوا وَلَئِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتٍ إِلَّاَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ { [الأنعام: 59].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ اسْتِحْضَارُ مَشْهَدِ الْإِحْسَانِ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَهَذَا يُورِثُ فِي الْقَلْبِ الْخَشْيَةَ وَالْخَوْفَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظِيمَ. وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى التَّعْظِيمِ التَّفَكُّرُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَإِبَاتِهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ: {سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} {٥٣} { [فصلت: 53].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَظِيمُ؛ فَإِذَا عَظُمَ فِي النَّفُوسِ زَكَتْ وَطَهَّرَتْ؛ فَصَارَتْ تَخَافُ هَذَا الْعَظِيمَ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَتَرْجُوهُ بِفِعْلِ أَمْرِهِ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَتَعْظُمُ حُرْمَاتِهِ وَشَعَائِرَهُ وَشَرَاعَهُ: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعُمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} {٣٠} { [الحج: 30]، {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} {٣٢} { [الحج: 32]. مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ عَظَّمَ بِاللَّهِ إِيْمَانَهُ، فَخَافَهُ وَرَاقَبَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَكَثَّرَ مِنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ.

"مَحَبَّةُ اللَّهِ" طَرِيقُ الطَّاعَةِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ بِرَحْمَتِهِ عِبَادًا يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، نَوَّرَ قُلُوبَهُمْ بِنَعِيمِ مَعْرِفَتِهِ، وَبَسَّرَ لَهُمْ سُبُلَ مَحَبَّتِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ نَعِيمَ الْقَلْبِ وَبَهْجَتَهُ، فَحُبُّ الرَّحْمَنِ يُورِثُ فِي الْقَلْبِ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَانْقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَسْبَابِ مَحَبَّتِهِ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة:4].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ، الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ، هِيَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مِنْ حُرْمَتِهَا فَهَوَ فِي جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مِنْ فَقْدِهِ فَهَوَ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ.

مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ وَغَايَةِ مَا يَتِمَّنَاهُ الْإِنْسَانُ: إِنَّهَا مَحَبَّةُ اللَّهِ، فَأَطِيبْ مَا فِي الدُّنْيَا مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَمَحَبَّتَهُ ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يَقْرِبُنَا إِلَى حُبِّكَ)). (4)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

جَعَلَ اللَّهُ الْقَلْبَ مَحَلًّا لِعُبُودِيَّتِهِ، فَالْقَلْبُ خُلِقَ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ تَفَاضُلِ النَّاسِ فِي الْأَجُورِ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ مَحَبَّةُ اللَّهِ؛ مَحَبَّةٌ مَقْرُونَةٌ بِإِجْلَالِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهِ.

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَقَلْبُهُ سَلِيمٌ، أَحَبَّهُ، وَكُلَّمَا ازدَادَ لَهُ مَعْرِفَةٌ ازدَادَ حُبًّا لَهُ، فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ وَتَعْظِيمُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ تَغْرُسُ حِلَاوَةَ الْمَحَبَّةِ فِي الْقُلُوبِ بِمَا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ، وَمَتَى ذَاقَ الْقَلْبُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ حُبًّا لِغَيْرِهِ، وَلَا أَنْسَا بِهِ.

وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا اصْطَنَعَهُ لِنَفْسِهِ، وَاجْتَنَبَاهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَاسْتَخْلَصَهُ لِعِبَادَتِهِ، فَشَغَلَ هَمَّهُ بِهِ، وَلِسَانَهُ بِذِكْرِهِ، وَجَوَارِحَهُ بِخِدْمَتِهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الصَّبْرِ عَنْ مُخَالَفَتِهِ وَمَعَاصِيهِ؛ فَإِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّهُ مُطِيعٌ، وَتَجْعَلُ الْعَبْدُ يَسْتَحْيِي مِنْ خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ.

مَحَبَّةُ اللَّهِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْعَبْدَ يُسَارِعُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، وَيَسْعَى لِطَلْبِ رِضَا، وَيَتَنَعَّمُ بِالطَّاعَةِ وَلَا يَسْتَنْفِلُهَا؛ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدُّ الْعِبَادِ حُبًّا لِلَّهِ، كَانَ أَكْثَرَهُمْ تَلَذُّدًا بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ: ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)) (5)، ((أَرْحَنًا بِهَا يَا بَلَاءُ)) (6).
بِمَحَبَّةِ اللَّهِ يَهْوُونَ عَلَى الْعَبْدِ بَذْلُ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ عَلَى مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ وَصِدْقِ الْإِيمَانِ.

وَبِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَهْوُونَ عَلَى الْعَبْدِ الطَّاعَاتِ، وَيَتَبَعِدُونَ عَنِ الْوُقُوعِ فِي مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَثَامِ وَالْمَحْرَمَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.

وَبِالْمَحَبَّةِ يَجِدُ الْعَبْدُ اللَّذَّةَ فِي الْعِبَادَةِ وَإِنْ صَحِبَتْهَا الْمَشَقَّةُ؛ فَيُحْيِي لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ، وَنَهَارَهُ بِالصِّيَامِ، وَيَجِدُ فِي ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ وَمُكَابَدَةِ الْقِيَامِ مِنْ لَذَّةِ الْأُنْسِ بِاللَّهِ وَحَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ مَا يَهْوُونَ عَلَيْهِ أَلَمَ الْمَشَقَّةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.
الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ بِمَثَابَةِ الرَّأْسِ لِلطَّائِرِ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَإِذَا قُفِدَتِ الْمَحَبَّةُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ وَلِذَا فَمَحَرَّكَاتِ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: الْمَحَبَّةُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَأَفْوَاهَا الْمَحَبَّةُ، وَهِيَ مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا.

وَكَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ يَذُوقُ حُلُوَّ الطَّعَامِ مَرًّا، وَكَلَّمَا ارْتَدَّادَ مَرَضُهُ زَادَ فَسَادُ ذَوْقِهِ، فَإِنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ الَّذِي خَلَا مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، أَوْ ضَعُفَتْ فِيهِ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ، يَرَى الطَّاعَاتِ ثَقِيلَةً عَلَى النَّفْسِ: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءَوْنَ النَّاسَ وَلَا يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142]، { وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كُرْهُونَ } [التوبة: 45].

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُبَلِّغُنَا إِلَى حُبِّكَ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

05 أخرجه أحمد في مسنده، (14069) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

06 أخرجه أبو داود في سننه، (4985)، قال الألباني: صحيح.

الْقَلْبُ وَوَسَائِلُ إِصْلَاحِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ؛ فَوَقَّ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَاسْتَقَامَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَعَمَرَ قُلُوبَهُم بِالتَّقْوَى، وَخَذَلَ مَنْ اتَّبَعَ الْهَوَى وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَتَوَلَّى، وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا وَصِيَّةَ أَعْظَمَ وَأَنْفَعَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: 131].

إخوة الإيمان:

هُوَ أَعْظَمُ الْأَعْضَاءِ خَطَرًا، وَأَبْلَغُهَا أَثَرًا، مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ مِنَ الْعَبْدِ، هُوَ مَلِكُ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، بِصِلَاةِ تَصْلُحْ أحوالُ الْعَبْدِ كُلُّهَا، وَبِفَسَادِهِ تَفْسُدُ، بِهِ يُفْطَحُ سَفَرُ الْآخِرَةِ، وَبِهِ يُفْلِحُ الْعَبْدُ وَيَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 89]؛ إِنَّهُ الْقَلْبُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، مَنْ عَرَفَ مَكَانَتَهُ اعْتَنَى بِهِ أَشَدَّ الْعِنَايَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ ﷺ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)) (7)، ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)) (8).

إِنَّ الْخَوْفَ مِنَ الرَّبِّعِ بَعْدَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَالضَّلَالَةَ بَعْدَ الْهُدَى، حَاضِرٌ فِي صُدُورِ الرَّبَّانِيِّينَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ أُولِي الْأَلْبَابِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ دُعَاءَهُمْ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8]، إِذَا كَانَ هَذَا دُعَاءُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَكَيْفَ بغيرِهِمْ؟ فَكَيْفَ بِحَالِ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ عَرْضَةً لِكُلِّ أَسِيرٍ وَكَاسِرٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا أَثِقُ بِنَفْسِي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: 24].

الْقَلْبُ يَا عِبَادَ اللَّهِ هَدَفٌ لِلشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ - عَدُوُّ اللَّهِ إبليسُ - أَنَّ مَدَارَ النِّجَاةِ عَلَى الْقَلْبِ، أَجْلَبَ عَلَيْهِ بِالْوَسَاوِسِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالشُّبُهَاتِ، وَزَيَّنَ لَهُ الْبَاطِلَ، وَنَصَبَ لَهُ الْمَصَايِدَ وَالْحَبَائِلَ؛ حَتَّى يُفْسِدَ هَذَا الْقَلْبَ، وَيَجْعَلَهُ بَعِيدًا عَنْ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، غَارِقًا فِي بَحْرِ الْفِتَنِ.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، (52).

(8) أخرجه الترمذي في سننه، (2140) وصححه الألباني.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَدَارَ سَعَادَةِ الْعَبْدِ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ هُوَ مَحَلَّ نَظَرِ اللَّهِ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)) (9)؛ وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرَوْنَ الْفَضْلَ وَالسَّبْقَ لِمَنْ سَبَقَ بِقَلْبِهِ صَلَاحًا وَطَهَارَةً وَبِرًّا وَصِدْقًا، وَيَرَوْنَ الْمُجَاهِدَةَ لِلْبُلُوغِ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ أَقْرَبَ نَفْعًا، وَأَعْظَمَ غِنَاءً، وَأَشَدَّ عَنَاءً، مِنْ مُجَاهِدَةِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَلَى فِعْلِ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ؛ فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ صَلَحَتْ جَوَارِحُهُ، وَصَحَّتْ نِيَّتُهُ، فَالْثَّوْرُ نُورُ الْقَلْبِ، وَالْبَصِيرَةُ بَصِيرَتُهُ، وَالصَّلَاحُ صَلَاحُهُ: { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج:46]، وَلِذَلِكَ سَبَقُوا بِبِرِّ الْقُلُوبِ وَطَهَارَتِهَا وَسَلَامَتِهَا، وَقُوَّةِ تَعَلُّقِهَا بِاللَّهِ.

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِذَا كَانَ الْحَالُ كَمَا ذَكَرْنَا فَحَرِيٌّ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَبْذُلَ الْأَسْبَابَ وَالْوَسَائِلَ الْمُؤَدِّيَةَ لِصَلَاحِ قَلْبِهِ وَمِنْ عَظَمَتِهَا:

أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ وَيَصْدُقَ فِي الْإِلْتِمَاعِ، وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا مُنْتَبِتِ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» (10)، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا (11)، وَمِنْ دُعَائِهِ «وَأَسْأَلُ سَخِيمَةَ صَدْرِي» (12)، وَتَعَوَّذَ ﷺ ((مَنْ قَلْبٌ لَا يَخْشَعُ)) (13).

وَقُوَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ [؟] فِي طَلَبِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الْقَلْبِ وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِهِ كَذَلِكَ تَدْبِيرُ كِتَابِ اللَّهِ {يَلْأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:57]. شِفَاءٌ لِمَرَضِ الشَّهَوَاتِ وَأَمْرَاضِ الشُّبُهَاتِ.

وَمِنْ وَسَائِلِ الصَّلَاحِ الْقَلْبِ كَذَلِكَ أَنْ الْإِبْتِعَادَ عَنِ الْفِتَنِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِنَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيِّضَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِنَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَا لَا تَضُرُّهُ

9) أخرجه مسلم في صحيحه، (2564).

10) أخرجه ابن ماجه في سننه، (199)، وصححه الأرئووط.

11) أخرجه النسائي في سننه، (1304).

12) أخرجه أبو داود في سننه، (1510) وصححه الألباني.

13) أخرجه مسلم في صحيحه، (2722).

فِتْنَةً مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرَبَّدٌ كَالْكُوزِ مُجَحِّيًا - وَأَمَالَ كَفَّهُ - لَا
يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ. ((14))
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا
نَقِيَّةً طَاهِرَةً، وَأَعْمَالَنَا صَالِحَةً، وَالسِّنَّتَنَا صَادِقَةً، وَارْزُقْنَا الثَّبَاتَ عَلَى دِينِكَ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

أثر الدعاء في صلاح القلب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَدَارَ التَّقْوَى عَلَى إِصْلَاحِ الْقُلُوبِ: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)). (15)

إخوة الإيمان:

استِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَفَوْزُ الْآخِرَةِ، وَالْمُتَأَمِّلُ فِي أَدْعِيَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجِدُ ذَلِكَ ظَاهِرًا، مِمَّا يُوجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْعِنَايَةَ بِتِلْكَ الْأَدْعِيَةِ، وَحِفْظَهَا وَمُلَازِمَةَ الدُّعَاءِ بِهَا؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ الْإِيمَانِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَصَلَاحِ الْجَوَارِحِ مُلَازِمٌ لِصَلَاحِ الْقُلُوبِ.

عباد الله:

وَلَمَّا كَانَ الْقَلْبُ مَحَلَّ الْحُبِّ وَالْكَرْهِ وَالْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، كَانَ الدُّعَاءُ لَهُ بِحُبِّ الْإِيمَانِ وَكَرَاهِيَةِ الْكُفْرِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ)) (16)، وَالْقَلْبُ يَزِيغُ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ؛ وَلِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ الرَّاسِخِينَ: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَهَابُ} [آل عمران: 8] وَكَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الدُّعَاءَ بِتَثْبِيثِ الْقَلْبِ عَلَى الدِّينِ، فَكَانَ يَقُولُ: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)). (17)

عباد الله:

الْقَلْبُ قَائِدُ الْجَسَدِ، فَلَا يَذْهَبُ إِلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِأَمْرِهِ، وَلِذَا شُرِعَ الدُّعَاءُ بِتَصْرِيفِهِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَكَانَ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)) (18)، وَسَلَامَةُ الْقَلْبِ نَجَاةٌ لِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} ٨٨٠ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ

15 أخرجه البخاري في صحيحه، (52).

16 أخرجه أحمد في مسنده، (15531) تعليق شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات.

17 أخرجه الترمذي في سننه (2140)، وصححه الألباني.

18 أخرجه مسلم في صحيحه، (2654).

بِقَلْبِ سَلِيمٍ ۝۸۹ { [الشعراء: 89] لَإِذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ التَّلَجِّ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثُّوبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ)). (19) وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَعَوَّدُوا مِنْ شَرِّ قُلُوبِهِمْ، وَتَعَوَّدَ ﷺ: ((مَنْ قَلْبٌ لَا يَخْشَعُ)) (20)؛ لِأَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قَسْوَتِهِ، وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: ((وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا)). (21) وَالْقَلْبُ مُحْتَاجٌ إِلَى هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الدَّوَامِ؛ لِكثْرَةِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ أَدْوَاءِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْوَسَاوِسِ وَالْخَطَرَاتِ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: ((رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ خَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي)) (22). وَمَا أُخْرِجَ الْقَلْبَ إِلَى الْاسْتِضَاءَةِ بِالنُّورِ وَتَقْرِيقِ الْقَلْبِ مِنَ الْأَحْقَادِ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا)). (23). وَكَيْفَ يَقْلُبُ مُلَى بِالْأَحْقَادِ وَالْأَضْغَانِ أَنْ يَجِدَ خَلَاةَ الْإِيمَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ قَوْلَهُ {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة]، وَذَكَرَهَا بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ، فَمَا قَبْلَهَا حَدِيثٌ عَنِ الصِّيَامِ، وَمَا بَعْدَهَا حَدِيثٌ عَنْهُ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْ مَظَانِّ الْإِجَابَةِ الْاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ فِي رَمَضَانَ، وَفِي حَالِ الصِّيَامِ. فَاجْتَهِدُوا - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا مَأْتَمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِحْدَى ثَلَاثَ: إِمَّا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا، أَوْ يَدْخِرَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهَا)) (24). فَادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ صُورَةَ الدُّعَاءِ حَرَكَةُ اللِّسَانِ بِالسُّؤَالِ، وَحَقِيقَتُهُ الْإِفْتِقَارُ وَالْانْكِسَارُ، وَاللَّهُ أَرْحَمُ وَأَجْوَدُ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ عَبْدًا لَجَأَ إِلَيْهِ أَوْ قَلْبًا انْكَسَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَقَدْ فَتَحَ أَبْوَابَهُ لِلسَّائِلِينَ، وَبُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: 62].

19) أخرجه البخاري في صحيحه، (6016).

20) أخرجه مسلم في صحيحه (2722).

21) أخرجه أحمد في مسنده، (17155) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بطرقه.

22) أخرجه أبو داود في سننه (1510)، وصححه الألباني.

23) أخرجه البخاري في صحيحه، (5957).

24) أخرجه أحمد في مسنده، (11149) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ... تَوْحِيدُ الاستِعَانَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ هُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، مَنْ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ مُعْتَمِدًا بِقَلْبِهِ عَلَيْهِ أَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَخَذَلَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

رَفِيقَةُ الْمُسَافِرِ إِلَى رَبِّهِ، فِيهَا هُدًى السَّبِيلِ، وَبِهَا يَبْدَأُ الْمَسِيرُ، وَبِهَا يَكُونُ النَّبَاتُ، وَيَنْبُغُ بِهَا الْغَايَاتُ، وَلِعِظَمِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَفْرَدَهَا اللَّهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَتَعَبَّدَ الْمُسْلِمُ بِهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ، إِنَّهَا الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ: مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ، وَأَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ الْمُقَرَّبَةِ مِنَ الرَّحْمَنِ، يَنْبَأُ بِهَا الْعَبْدُ السَّعَادَةَ، وَالْغِنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، وَيَنْبَأُ بِهَا رَاحَةُ الْقَلْبِ وَأَطْمِئْنَانُ النَّفْسِ، وَكَمَالَ غِنَى الْعَبْدِ فِي تَعَلُّقِهِ بِرَبِّهِ، وَمَنْ تَرَكَ الْإِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ وَاسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ اسْتَعَانَ بِهِ فَصَارَ مَخْذُولًا، فَصَلَاخُ الْعَبْدِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَاسْتِعَانِهِ بِهِ، وَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَسْتَعِنْ بِغَيْرِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

الْإِسْتِعَانَةُ هِيَ: طَلَبُ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُتَضَمَّنُ لِكَمَالِ الذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَتَقْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَخَذُّهُ، وَاعْتِقَادُ كِفَايَتِهِ، فَهِيَ حَالَةٌ لِلْقَلْبِ تَنْشَأُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَالْإِيمَانِ بِتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّنْذِيرِ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَيُوجِبُ ذَلِكَ لِلْعَبْدِ اعْتِمَادًا عَلَى رَبِّهِ، وَاسْتِعَانَةً بِهِ، وَثَقَّةً وَيَقِينًا بِكِفَايَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

آيَةٌ يُنَاجِي بِهَا الْمُسْلِمُ رَبَّهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5]، شِفَاءُ الْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا وَعَقَلَهَا، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ، عَلَيْهِمَا مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تَبَرُّؤُ مِنَ الشِّرْكِ {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تَبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ هُنَا يُفِيدُ الْحَصْرَ، فَالْمَعْنَى: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْعِبَادَةُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ لِأَجْلِهَا، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ هِيَ الْوَسِيلَةُ إِلَيْهَا، فَإِذَا لَمْ يُعِنْ اللَّهُ عَبْدَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَطْلُبِ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِعَانَتَهُ عَلَى ذَلِكَ، لَا تَحْصُلُ مِنْهُ تِمَامُ الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ خَيْرَ إِلَّا بِعَوْنِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَقَامَاتِ الْإِسْتِعَانَةِ: الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ، وَنُصْرَةِ الدِّينِ، وَالتَّفَرُّغِ لِعِبَادَتِهِ، وَمِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ

وَسَلَّمَ: «وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» (25)، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ» (26)، وَأَوْصَى ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ □ أَنْ تَقُولَ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَتَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» (27).

وَأَمَرَ النَّبِيُّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَنْ لَا يَدْعَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (28)، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ هِيَ الَّتِي تَقْوِي الْعَبْدَ، وَتُيسِّرُ عَلَيْهِ الْأُمُورَ، وَبِقَدْرِ صِدْقِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، يَقْدَرُ مَا يَرْزُقُكَ اللَّهُ التَّوْفِيقَ، وَالْبَرَكَاتِ، وَالسَّعَادَةَ فِيمَا يَقْدَرُهُ لَكَ، وَمِنْ أَمَارَاتِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ ضَعْفُ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَاعْتِمَادُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْحَوْلِ وَالطَّوْلِ، وَالْقُوَّةِ وَالْبَأْسِ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تُرَدُّ عِبَادَةُ الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَالثِّقَةِ بِقُدْرَاتِ فُلَانٍ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَى ذَلِكَ اعْتِمَادًا كَبِيرًا دُونَ الثِّقَةِ بِاللَّهِ، وَإِذَا اضْطُرَرْتَ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِمَخْلُوقٍ فِيمَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ وَسِيلَةً وَسَبَبًا، لَا رُكْنًا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ نَرْجُو، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب: 56].

025 أخرجه الترمذي في سننه، (2516)، وصحه الألباني.

026 أخرجه أبو داود في سننه، (1510)، وصحه الألباني.

027 أخرجه الطبراني في معجمه الصغير، (1/ 270).

028 أخرجه أبو داود في سننه (1522)، وصحه الألباني.

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ... دُعَاءِ الْعُمَر

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَجْتَنِي مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَشَاءُ فَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69] يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَمَا اهْتَدَى عَبْدٌ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَإِذْنِهِ، وَمَا ضَلَّ عَبْدٌ إِلَّا بِإِعْرَاضِهِ وَتَتَكْرَرُ لَهُدْيِ رَبِّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمُ الْهُدَى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.}

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

دُعَاءٌ عَظِيمٌ؛ حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، هُوَ أَعْظَمُ الدُّعَاءِ وَأَحْكَمُهُ وَأَنْفَعُهُ وَأَجْمَعُهُ، هَذَا الدُّعَاءُ هُوَ حَظُّ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ، وَلَمْ يُعْطَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى سَعَادَةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِهِ، وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ - عَلَى شِدَّةِ حَاجَةِ عِبَادِهِ إِلَيْهِ - فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِمْ: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6]، فَسُئِلَ اللَّهُ الْهَدَايَةَ هُوَ أَعْظَمُ مَطْلُوبٍ يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ فَيَسْأَلُ رَبَّهُ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ افْتِقَارِ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْهَدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ: {مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: 39]، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْهَدَايَةُ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ فِي حَيَاةِ الْعَبْدِ لَمَا عَلَّمَنَا الْحَقُّ أَنْ نَدْعُو بِهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِنَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا هَدَى اللَّهُ عَبْدَهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَعَانَهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ؛ فَلَمْ يُصِبهُ شَرٌّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَتَتَحَقَّقُ لَهُ هِدَايَةٌ عِلْمِيَّةٌ، تَمَرُّثُهَا: الْعِلْمُ بِالْحَقِّ وَالْبَصِيرَةُ فِي الدِّينِ، وَهِدَايَةٌ عَمَلِيَّةٌ، تَمَرُّثُهَا: إِرَادَةُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ.

حَيَاتُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ؛ إِنَّهَا هِيَ سَيْرٌ إِلَى اللَّهِ؛ فَأَمَّا أَنْ تَسْلُكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوصِلُكَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْ تَسْلُكَ سُبُلًا مُتَفَرِّقَةً تُوصِلُكَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ. فَاطْهَرِ افْتِقَارَكَ إِلَى اللَّهِ، وَاصْدُقْ فِي طَلَبِ الْهَدَايَةِ مِنْهُ، وَاسْأَلْهُ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بِحَاجَتِكَ إِلَيْهِ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى سَعَادَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِاسْتِقَامَتِكَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، فَالْمَرْءُ بِلَا هِدَايَةٍ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ أَضْلُ سَبِيلًا.

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْهُدَايَةُ لِلْحَقِّ وَالْعَمَلُ بِهِ مِنَّةٌ مِنَ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِهِ: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» (29)، وَاسْتَشْعِرْ عَظِيمَ نِعْمَةِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنَاجِيهِ فِي صَلَاتِكَ، وَهُوَ يُجِيبُكَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:
الَّذِينَ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى الْهُدَايَةَ لِيَسْأَلُوا سَوَاءً فِي هَذَا السُّؤَالِ الْعَظِيمِ، بَلْ يَتَفَاوَتْ فِيهِ مِنْ وَجُوهِ:

1. حُضُورُ الْقَلْبِ عِنْدَ الدُّعَاءِ؛ فَلَيْسَ دُعَاءُ الْمُدْرِكِ الْوَاعِي كَدُعَاءِ الْغَافِلِ اللَّاهِي.
2. الْإِحْسَانُ فِي الدُّعَاءِ؛ فَلَيْسَ مَنْ يَدْعُو بِتَضَرُّعٍ وَتَقَرُّبٍ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَيَشْهَدُ اضْطِرَّارَهُ إِلَى إِجَابَةِ اللَّهِ لِدُعَائِهِ كَمَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ.
3. مَقَاصِدُ الدَّاعِي مِنْ سُؤَالِ الْهُدَايَةِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْأَكْمَلَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقْصِدَ بِسُؤَالِهِ الْهُدَايَةَ التَّامَّةَ الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا الْحَقَّ وَيَتَّبِعُ بِهَا الْهُدَى.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَجَمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

التَّوْفِيقُ... أَسْبَابُهُ وَمَوَانِعُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ اخْتَصَّ بِفَضْلِهِ أَقْوَامًا فَكَانُوا هُدَاةً مُؤَفِّقِينَ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغِيثُهُ فَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِنْ ذُنُوبٍ تُطْفِئُ نُورَ الْقُلُوبِ وَتَحْجُبُ عَنِ الْعَبْدِ أَبْوَابَ التَّوْفِيقِ، مَنْ وَفَّقَهُ رَبُّهُ أَصَابَ الْقَصْدَ بِأَقْرَبِ أَيْسَرِ طَرِيقٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد:28].

عباد الله:

هُوَ هِبَةُ إِلَهِيَّةٌ وَمِنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ مِنْ أَجْلِ نَعَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ الصَّادِقِينَ، تُفْتَحُ بِهِ الْأَبْوَابُ وَتَلِينُ بِهِ الشَّدَائِدُ وَالصَّعَابُ، وَيَأْتِي بِهِ الْفَرَجُ وَلَوْ ضَاغَتِ الْأَسْبَابُ؛ إِنَّهُ التَّوْفِيقُ، عَطَاءٌ يَمْنَحُهُ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ.

عباد الله:

وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ وَلَا وَتَصْلُحُ وَلَا تُؤْتِي ثَمَارَهَا إِلَّا بِتَوْفِيقٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَيَا التَّوْفِيقُ يَا عِبَادَ اللَّهِ يُصِيبُ صَاحِبَهُ الْقَصْدَ بِأَقْرَبِ وَأَيْسَرِ طَرِيقٍ.

إخوة الإيمان:

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ أَنْ لَا يَكَلِّكَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِكَ، وَالْخَذْلَانَ أَنْ يُخْلِيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ. فَالتَّوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ وَمِفْتَاحُهُ التَّضَرُّعُ وَالِدُّعَاءُ وَالْإِفْتِقَارُ وَصِدْقُ اللَّجَا وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ إِلَيْهِ، فَمَتَى أُعْطِيَ الْعَبْدُ هَذَا الْمِفْتَاحَ فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ)). (30)

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ يَا عِبَادَ اللَّهِ: صِدْقُ النَّيَّةِ وَصَلَاحُهَا، قَالَ تَعَالَى: { إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا } [النساء:35]، فَمَنْ نَوَى الْخَيْرَ هَيَّا اللَّهُ لَهُ أَسْبَابَهُ وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَهُ، وَمَنْ أَصْلَحَ نِيَّتَهُ فِيمَا يَتَوَخَّاهُ وَفَقَهُ اللَّهُ لِمُبْتَغَاهُ، وَعَلَى قَدَرِ صَفَاءِ النُّوَايَا تَنْتَزِلُ الْعَطَايَا: { إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ } [الأنفال:70]، فَعَلَى قَدَرِ صِدْقِ نِيَّةِ الْعَبْدِ يَكُونُ تَوْفِيقُهُ، وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ الْعَبْدَ الْخَيْرَ بِنِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، فَلْيَنْفَعِدْ كُلُّ مَنْ نِيَّتَهُ، فَإِنَّ صَلَاحَ النَّيَّةِ مِفْتَاحُ التَّوْفِيقِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ: صِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَاعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَتَقْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَهِيَ لِرُومِ الْقَلْبِ طَاعَةُ اللَّهِ، وَأَنْ يَنْخَلِعَ الْمَرْءُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَسْأَلَ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكِلَهُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيَحْذَرُ أَشَدَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالْأَسْبَابِ وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا.

قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88].

وَمِنْ أَسْبَابِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَالْقَالَ الْحَسَنُ، فَاللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

وَمِنْ أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ: الصَّبْرُ وَبَذْلُ الْجُهْدِ وَاسْتِفْرَاجُ الْوُسْعِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقْصِدِ، وَالْحَذَرُ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ)). (31)

وَمِنْ أَسْبَابِهِ: مُلَازِمَةُ الْإِسْتِغْفَارِ، وَصُحْبَةُ الْأَخْيَارِ، وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَطَهَارَةُ الْقَلْبِ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْإِحْسَانُ، وَتَفْعُ النَّاسِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَشُكْرُ الْمُنْعِمِ، وَحُسْنُ الْمَشُورَةِ، وَصَلَاةُ الْاسْتِخَارَةِ، وَصِدْقُ الْعَزِيمَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. قَالَ تَعَالَى: { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ } [آل عمران: 21] فَعَزِيمَةُ الْقَصْدِ تَمْنَعُهُ مِنْ ضَعْفِ الْإِرَادَةِ وَالْهَمَةِ، وَصِدْقُ الْفِعْلِ يَمْنَعُهُ مِنَ الْكَسَلِ وَالْفُتُورِ، وَمَنْ صَدَقَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ صَنَعَ اللَّهُ لَهُ فَوْقَ مَا يَصْنَعُ لغيره.

وَأَعْلَى مَرَاتِبِ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ، وَيُكَرِّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ، وَهِيَ الْمُرْتَبَةُ الَّتِي نَالَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، وَامْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

لَيَنْفَقَ كُلُّ مَنَّا قَلْبَهُ إِذَا أُغْلِقَ عَنْهُ بَابُ التَّوْفِيقِ؛ فَإِنَّ مِنْ مَوَانِعِ التَّوْفِيقِ الْمَعَاصِيَ وَالْإِصْرَارَ عَلَيْهَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام [2]: "وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِمَا أَرَانَا اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا، وَبِمَا شَهِدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبُ الْمَصَائِبِ" (32)، فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُجِدِدَ التَّوْبَةَ إِلَى اللَّهِ، وَيُكْثِرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء: 79].

وَمِنْ مَوَانِعِ التَّوْفِيقِ:

أَكْلُ الْحَرَامِ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَالتَّهَاقُوتُ فِي الصَّلَوَاتِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ، وَغُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَالْعُجْبُ بِالنَّفْسِ. فَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَمَنْ اسْتَعَنَى بِعَقْلِهِ ذَلَّ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ.

(31) أخرجه مسلم في صحيحه، (2664).

(32) مجموع الفتاوى، (138 / 28).

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، اخْرُسُوا عَلَى أَسْبَابِ التَّوْفِيقِ، وَخُذُوا بِمَا يَقَرِّبُكُمْ إِلَى رِضَا رَبِّكُمْ،
 وَاحْذَرُوا مَوَانِعَهُ الَّتِي تَحْجُبُ الْعَبْدَ عَنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ، وَثَوْرُثِ الْخُذْلَانَ وَالضَّلَالَ.
 وَثُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صَادِقَةً، وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ، وَأَحْسِنُوا ظَنَكُمْ بِرَبِّكُمْ، فَإِنَّ التَّوْفِيقَ بِيَدِ
 اللَّهِ، يَمْنَحُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَجْعَلَنَا
 مِنْ اهْتَدَى فَاهْتَدَى، وَاسْتَقَامَ فَسَعِدَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.
 { رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا } [الكهف:10].

«التَّقَاوُلُ» وَفُودُ الْعَمَلِ وَالنَّجَاحِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَيْهِ، لَا يُخَيِّبُ عَبْدًا أَحْسَنَ الظَّنِّ بِهِ وَفَوْضَ أَمْرِهِ إِلَيْهِ، وَلَا يَرُدُّ عَبْدًا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال: 29]. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلِمَةٌ جَمِيلَةٌ، وَمَعْنَى يُضْفِي عَلَى النَّفْسِ الْبَهْجَةَ وَالسُّرُورَ، وَيَبْعَثُ فِيهَا الرَّاحَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، وَيَجْلِبُ لَهَا السَّعَادَةَ وَالسَّكِينَةَ، فِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْعَزَائِمِ، وَمَعُونَةٌ عَلَى الظُّفْرِ، وَبَاعِثٌ عَلَى الْجِدِّ وَالْعَمَلِ، مَنْ حَقَّقَهُ انْشِرَاحُ صَدْرِهِ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وَطَابَ عَيْشُهُ؛ إِنَّهُ النَّقَاوُلُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَهُوَ انْشِرَاحُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَإِحْسَانُهُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، وَتَوْفُّعُ الْخَيْرِ. كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الْقَالَ؛ لِأَنَّ النَّقَاوُلَ فِيهِ حُسْنُ ظَنٍّ بِاللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّنِي بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّنِي شَرًّا فَلَهُ» (33)، أَمَّا التَّشَاوُلُ فَهُوَ سُوءُ ظَنٍّ بِاللَّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ؛ فَإِنْ قَوْمًا قَدْ أَرَادَهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ» (34).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

يَزْخَرُ الْقُرْآنُ بِنَمَازِجِ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَوْلِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، كَانَ النَّقَاوُلُ مِنْهَجًا لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ فِي أَحْلَاكِ الظُّرُوفِ وَأَشَدِّ سَاعَاتِ الْبِلَادِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عِنْدَ ظَنِّهِمْ بِهِ فَلَمْ يَخْذُلْهُمْ، وَلَمْ يَفْطَعْ رَجَاءَهُمْ، وَلَمْ يُخَيِّبْ أَمَلَهُمْ، أَفْرُؤُوا إِنْ سِنْتُمْ: {فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} ٦١ {قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} ٦٢ {[الشعراء: 62]، وَأَفْرُؤُوا: {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40]. كَيْفَ يَحْزَنُ مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ؟ فَاسْتَشْعَارَ الْعَبْدُ لِمَعِيَةِ اللَّهِ يَجْعَلُهُ أَكْثَرَ تَقَاوُلًا: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: 174]، {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 22].

(33) أخرجه البخاري في صحيحه، (6970).

(34) أخرجه أحمد في مسنده (14157) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

فَقَدْ يَعْقُوبُ ابْنَهُ يُوسُفَ ثُمَّ أَخَاهُ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَتَسَرَّبِ النَّيَّاسُ إِلَى قَلْبِهِ، وَلَمْ يَقْطَعْ مِنْ رُوحِ رَبِّهِ، بَلِ اسْتَصْحَبَ الْقَالَ وَالْأَمَلَ: { فَصَبَرَ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا } [يوسف: 83]، وَقَدْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ بِأَوْلَادِهِ جَمِيعًا، وَرَدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ الَّذِي فَقَدَهُ.

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ تَقَاوُلَ الْعَبْدِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا الْخَيْرَ { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ }، وَيَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ { وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }. { الْمُتَقَانِلُ حِينَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } يَعْلَمُ أَنَّهُ كُلَّمَا وَجَدَ عُسْرًا وَصُعُوبَةً فَإِنَّ الْيُسْرَ يَقَارُنُهُ وَيُصَاحِبُهُ، وَكُلُّ عَسِيرٍ فِي بَاطِنِهِ يُسْرٌ عَظِيمٌ، فَتَقَى أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِرَبِّكَ، وَاصْدُقْ فِي تَوَكُّلِكَ، وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِهِ، وَاسْتَصْحَبِ الصَّبْرَ، وَانْتَظِرِ الْفَرَجَ، وَلَا زِمِ الذِّكْرَ، وَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ، وَصَاحِبِ الْمُتَقَانِلِينَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِرَبِّهِمْ، وَكُنْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَخْتَارَ الْأَلْفَاظَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَنْبُتُ رُوحَ الْقَالَ، وَأَنْ يَتَجَنَّبَ الْأَلْفَاظَ الَّتِي فِيهَا سُؤْمٌ؛ فَقَدْ يَقَعُ عَلَيْهِ مَا قَالَهُ عُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا بِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً. أَحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فَنُبْتَلَى «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ: ((لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ: كَلَّا، بَلْ حُمِيَ تَفُورٌ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، نُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَعَمْ إِذَا» (35)، قَالَ ابْنُ حجر: فمات الرجل من ليلته.

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ فِيهِ سُؤْمٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَعَّ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ بِسَبَبِ سُوءِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ.

وَقَدْ أَتَيْتِ الدِّرَاسَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً وَطِيدَةً بَيْنَ التَّشَاوُمِ وَبَيْنَ حَالَاتِ الْإِكْتِنَابِ، وَالْقَلْقِ، وَالْأَرْقِ، وَالْإِنْطَوَاءِ، وَالْجُمُودِ، وَالْعُزْلَةِ، وَضَعْفِ مَنَاعَةِ الْجِسْمِ.

وَاللَّهُمَّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ.

فَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ كَانَتْ عِلَّتُهُ فِي تَشَاوُمِهِ وَاسْتِدْعَائِهِ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ، فَتَضَيَّقُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا حَتَّى يَكُونَ كَالْمَيِّتِ فِي ثَوْبِ حَيٍّ.

مَقَامُ الشُّكْرِ ... مَظَاهِرُ وَوَسَائِلُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، أَتَمَّ لِعِبَادِهِ بِنِعْمَتِهِ مَوَاسِمَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَأَفَاضَ فِيهَا عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِعَظِيمِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، وَكَتَبَهَا لَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْقُرْبَاتِ وَالْمُنْجِيَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، عَظَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ شَأْنَهُ، أَمَرَ بِهِ وَأَتْنَى عَلَى أَهْلِهِ، لَا يُحَقِّقُهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ الْعِبَادِ، مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ أَنْزَلَ عَلَى الْقَلْبِ، وَشَرَحًا لِلصَّدْرِ، وَرِضًا فِي النَّفْسِ؛ إِنَّهُ مَقَامُ الشُّكْرِ وَفَضْلُ الشَّاكِرِينَ، وَعَظِيمُ قَدْرِهِ خَصَّ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ بِمَنْنِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ عِبَادِهِ {الْيَسَّ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: 53]، وَوَعَدَهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 145].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

نِعْمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى: {وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨]، نِعْمَ ظَاهِرَةٌ وَنِعْمَ بَاطِنَةٌ، نِعْمَ دِينِيَّةٌ وَنِعْمَ دُنْيَوِيَّةٌ {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار: 8]، {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ} [لقمان: 20]، مَا أَكْثَرَ نِعْمَ اللَّهِ وَمَا أَقَلَّ الشَّاكِرِينَ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: {وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172]، فَلَا يَعْبُدُونَهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ إِلَّا الشَّاكِرُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَعَظُمُ قَدْرُ الشُّكْرِ بِكَوْنِهِ مَقْرُونًا بِالْإِيمَانِ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا مَانِعًا مِنْ عَذَابِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ} [النساء: 147]، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [؟]: الشُّكْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ. وَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ رِضَاهُ فِي الشُّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى {وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: 7]، فَالْإِنْسَانُ، عِبَادَ اللَّهِ، إِمَّا أَنْ يَشْكُرَ وَإِمَّا أَنْ يَكْفُرَ، وَلَا ثَالِثَةَ بَيْنَ الْإِنْتَيْنِ: {إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان].

عِبَادَ اللَّهِ:

وَصَفَّ اللَّهُ بِالشُّكْرِ ثَلَاثَةً مِنْ أَنْبِيَائِهِ، فَقَالَ عَنْ نُوحٍ {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: 3]، وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: {شَاكِرًا لِنِعْمَةِ} [النحل: 121]، وَنَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ يُبَيِّنُ أَنَّ مَا هُدِيَ إِلَيْهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى وَالدِّيَةِ لِلْإِسْلَامِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ فَقَالَ: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدِي} [النمل: 19]، وَوَاتَّبَعِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسَّجْنِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ لِهَذَا الْإِتِّلَاءِ الْعَظِيمِ فِي مُقَابِلِ نِعْمَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَهِيَ نِعْمَةُ الْهُدَايَةِ، فَقَالَ فِي سَجْنِهِ {ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: 38]. فَالشَّاكِرُونَ لَا يَشْكُرُونَ الْمَصَائِبَ، وَلَا يَنْسَوْنَ النِّعَمَ، بَلْ يَنْسَوْنَ مُصِيبَاتِهِمْ فِي مُقَابِلِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَالشُّكْرُ عِبَادَةُ اللَّهِ يَتَعَلَّقُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِالْقَلْبِ لِلْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَبِاللِّسَانِ لِلشَّعَائِرِ وَالْحَمْدِ، وَبِالْجَوَارِحِ لِاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَةِ الْمَشْكُورِ وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِيهِ، وَيَكُونُ الشُّكْرُ فِي جَانِبِ الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي جَانِبِ الْقَوْلِ، قَالَ تَعَالَى: { أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا } [سبأ: 13]، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفُومُ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ، وَتَتَوَرَّمُ سَاقَاهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، وَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» (36)، وَقَدْ صَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ شُكْرًا لِلَّهِ، ثُمَّ صَامَهُ نَبِيُّنَا ﷺ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَاطْلُتْكَ فِي صَلَاتِكَ، وَكَثُرَتْهُ صِيَامُكَ، وَبَذَلَكَ مِنْ مَالِكَ إِصْدَقَاتِكَ، وَعِنْدَمَا تَتَجَدَّدُ لَكَ نِعْمَةٌ أَوْ تَنْدَفِعَ عَنْكَ بَلِيَّةٌ تَخْرُ اللَّهُ سَاجِدًا سُجُودَ شُكْرٍ. وَدَوَامُ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى طَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابُ مَعْصِيَتِهِ، بِقَلْبٍ مُجِبٍّ، وَلِسَانٍ ذَاكِرٍ، وَجَوَارِحٍ مُتَقَرِّبَةٍ، مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ شُكْرِ اللَّهِ وَمِنْ ذَلِكَ الدُّعَاءُ صَبَاحًا وَمَسَاءً: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ» (37).

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ: ثَمَّةُ أُمُورٌ تُعِينُ عَلَى الشُّكْرِ، مِنْهَا:

الْإِلْتِمَاءُ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ وَالْإِلْحَاحِ، كَمَا فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ: «يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعُنْ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (38)، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مُطِيعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا» (39). وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: اسْتِحْضَارُ الْعَبْدِ كَمَالَ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَغِنَاهُ الْمُطْلَقَ، وَكَمَالَ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَحِلْمِهِ، وَلَقَدْ عَاتَيْنَا لِقَمْنَ الْحِكْمَةِ أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ { [لقمان: 12].

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: التَّفَكُّيرُ الدَّائِمُ فِي كَثْرَةِ نِعَمِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يُحْصِيهَا، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ { [إبراهيم: 34]. وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: التَّفَكُّيرُ فِي عِظَمِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حِينَ يُسْأَلُ الْعَبْدُ عَنْ شُكْرِ تِلْكَ النِّعَمِ، {ثُمَّ لِنُسَلِّنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: 8]، ثُمَّ النَّظَرُ فِيمَا فَضَّلَكَ اللَّهُ بِهِ.

(36) أخرجه البخاري في صحيحه، (1078).

(37) أخرجه أبو داود في سننه (5073).

(38) أخرجه أبو داود في سننه، (1522)، وصححه الألباني.

(39) أخرجه أبو داود في سننه، (1510)، وصححه الألباني.

الِاسْتِغْفَارُ... دَابُّ الْمُؤْمِنِينَ وَسَبِيلُ الصَّالِحِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ، يَجْتَنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأنعام: 54]، عَظَّمَ جَلْمُهُ بِخَلْقِهِ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا وَصِيَّةَ أَعْظَمَ وَلَا أَنْفَعَ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: 131].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ، وَدَوَاءُ الذُّنُوبِ، دَابُّ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ، وَسَبِيلُ الصَّالِحِينَ الْأَخْيَارِ، وَطَرِيقُ يَوْصِلُ إِلَى رَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ الْعَزِيزِ الْعَفَّارِ، نَدَمٌ وَاعْتِدَارٌ، وَتَذَلُّلٌ وَانْكِسَارٌ، فَضَائِلُهُ كَثِيرَةٌ، وَبَرَكَاتُهُ غَزِيرَةٌ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَأَنْشَى عَلَى أَهْلِهِ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: 135]: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 110]، إِنَّهُ الْإِسْتِغْفَارُ يَا عِبَادَ اللَّهِ: بِهِ تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَاتُ، وَبِهِ تُفْتَحُ عَلَى الْعِبَادِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ الْبَرَكَاتُ: {وَيَقُومُ اسْتَغْفَرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود: 52]، {وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: 12]، بِهِ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]، بِهِ تُنَالُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَالْمَتَاعُ الْحَسَنُ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: 3]، بِهِ تُنَالُ الرَّحْمَاتُ: {لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: 46].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

نَحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَرَانَ عَلَى قُلُوبِنَا بِذُنُوبِنَا بِسَبَبِ غَفْلَتِنَا عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ، ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ رَادَّ رَادَتْ، حَتَّى يَغْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّانَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ [?] فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14])) (40)

فَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ أَفْءُ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ مِنْهَا، وَمِنْ عَلَامَاتِ حَيَاةِ الْقَلْبِ النَّدَمُ عَلَى الْمَعَاصِي، وَالْمُبَادَرَةُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَمِنْ هُنَا فَرَّقَ الْعَارِفُونَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ

الَّذِي يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ الْفَاجِرِ الَّذِي يَرَىٰ ذُنُوبَهُ مِثْلَ ذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ فَذَبَّهَ عَنْهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الْإِسْتِغْفَارَ بِاللِّسَانِ لَا بُدَّ أَنْ يُصَاحِبَهُ اسْتِشْعَارٌ بِالْقَلْبِ، وَتَذَلُّلٌ وَانْكِسَارٌ، وَنَدَمٌ وَاعْتِدَارٌ، فَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَقَلْبُهُ مُصِرٌّ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، فَاسْتَغْفَرَهُ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِغْفَارٍ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

قَدْ وَصَفَ رَبُّنَا الْكَرِيمُ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ بِأَنَّهُ غَافِرُ الذَّنْبِ، وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَأَنَّهُ غَفُورٌ غَفَّارٌ، وَأَنَّهُ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّهُ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا: { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ } [البقرة: 221].

((يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا بَنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرُكَ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)) (41) يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)) (42)

فَلَا تَسْتَغْظِمُ ذُنُوبَكَ مَهْمَا بَلَغَتْ أَمَامَ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَمَنْ أَقْوَىٰ عَوَامِلِ حُصُولِ الْمَغْفِرَةِ: الْيَقِينُ وَالرَّجَاءُ بِاللَّهِ، وَعَدَمُ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ، أَوْ الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِهِ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ وَأَرْحَمُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ عَبْدًا لَجَأَ إِلَيْهِ، أَوْ قَلْبًا انْكَسَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

041 أخرجه الترمذي في سننه (3540)، وصححه الألباني.

042 أخرجه مسلم في صحيحه، (2577).

التَّسْبِيحُ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ: { وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرَةٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } ٢٥ وَلَهُ مَن فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ فَيُنْثَنُونَ } ٢٦ { [الروم] } وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } ٦٩ } وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ٧٠ { [القصص]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ كَثَرٌ مِنْ كُنُوزِ الْحَسَنَاتِ، وَسَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَعِبَادَةُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، افْتُتِحَتْ بِهِ سَبْعُ سُورٍ سُمِّيَتْ بِالسَّبْعَاتِ، هُوَ عَلَامَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ أَفْضَلِ الْكَلَامِ وَأَحَبِّهِ لِلرَّحْمَنِ، وَمِنْ أَثْقَلِ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، وَيُنَالُ بِهِ الْمَرْءُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالرَّضْوَانِ، حَقْلَ الْقُرْآنِ بِذِكْرِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ آيَةً، إِنَّهُ التَّسْبِيحُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلِمَجْدِهِ اللَّهُ لَهُ جَعَلَ هَذَا الْكُونَ كُلَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ: { تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء: 44].

التَّسْبِيحُ عِبَادَةُ اللَّهِ: هُوَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَوْفِيقٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ عِبَادَةُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: { كَيْ تَسْبِيحَكَ كَثِيرًا } [طه]، وَأَمَرَ اللَّهُ بِهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: { وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ } [آل عمران]، وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: { إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } [ص]، وَأَمَرَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالَ: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ } [الحجر]، وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَخْتِمَ حَيَاتَهُ: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ } [النصر]، وَالتَّسْبِيحُ عِبَادَةُ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَنِ: { وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } [غافر]، وَهُوَ ذِكْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: { دَعَوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } [يونس].

عِبَادَةُ اللَّهِ: وَبِفَضَائِلِ التَّسْبِيحِ خَفِلَتْ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (43)، وَفِي رَوَايَةٍ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» (44). وَالْإِكْتَارُ مِنَ التَّسْبِيحِ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ مِنَ الْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ، قَالَ تَعَالَى: { ١٤٢ } فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } ١٤٣ { لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [الصافات].

(43) أخرجه أحمد في مسنده، (21320)، وصححه الأرئوط.

(44) أخرجه مسلم في صحيحه، (2731).

والتَّسْبِيحُ عِبَادَةُ اللَّهِ: بَابٌ لِلْكَثَارَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَسَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيَعَجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» قَالُوا: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَيَحْطُ عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ» (45)، وَبِالتَّسْبِيحِ يَتَأَلَّى الْعَبْدُ السَّقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ جِئْتُ يُصْبِحُ وَجِئْتُ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» (46). وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَنْقُلَ مِيزَانُ حَسَنَاتِكَ فَاتَّكِرْ مِنَ التَّسْبِيحِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» (47)، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (48)، وَهُوَ مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» (49)، فَهَنِيئًا لِمَنْ كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَالْمُسْتَحِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ كَثِيرًا، وَمِمَّنْ يُسَبِّحُونَ لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.
إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَمَعْرِفَةُ مَعْنَى التَّسْبِيحِ تُعِينُ الْمَرْءَ عَلَى حُضُورِ قَلْبِهِ، وَمُوَاطَاةِ الْقَلْبِ لِمَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ، فَيُتِمُّ التَّسْبِيحُ تَعْظِيمًا لِلَّهِ، فَمَعْنَاهُ: تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَهُوَ التَّنَاءُ الْكَامِلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَحَقِيقَةُ تَعْظِيمِ اللَّهِ.
وَمِنَ الْأَذْكَارِ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَحْرَصَ عَلَيْهَا، مَا جَاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ جُؤَيْرِيَّةَ جِئْتُ صَبَّحَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا تَعَالَى النَّهَارُ، وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي مُصَلَّاها، فَقَالَ لَهَا: «لَمْ تَزَالِي فِي مَجْلِسِكَ هَذَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنَ بِجَمِيعِ مَا قُلْتُ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْفِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (50).

45) أخرجه مسلم في صحيحه، (2698).

46) أخرجه مسلم في صحيحه، (2692).

47) أخرجه البخاري في صحيحه، (6043).

48) أخرجه مسلم في صحيحه (223).

49) أخرجه الترمذي في سننه، (3464)، وصححه الألباني.

50) أخرجه مسلم في صحيحه، (2726).

" لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ "...سِرُّ الْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ، وَالتَّوَكَّلَ عَلَيْهِ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ أَعَانَهُ وَوَفَّقَهُ، وَمَنْ رَكَنَ إِلَى غَيْرِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَخَذَلَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَمَنْ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

ذِكْرٌ مِنَ الْأَذْكَارِ قَلِيلَةٌ مَبَانِيهِ، عَظِيمَةٌ مَعَانِيهِ، كَلِمَةٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَغِرَاسٌ مِنْ غِرَاسِهَا، يَشْعُرُ مَعَهُ الْعَبْدُ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ، جَاءَ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ، أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَوْصَى بِهِ أُمَّتُهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»، أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (51)، وَمَعْنَى الْكُنْزِ: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدْخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ كَمَا أَنَّ الْكُنْزَ أَنْفُسُ أَمْوَالِكُمْ، وَالْكُنْزُ مَالٌ مُجْتَمِعٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَنْتَضِمُ التَّوَكُّلُ وَالْإِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فَفِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ، إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

تَوْجِيدُ اللَّهِ وَتَعْظِيمُهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ، وَإِجْلَالُهُ وَتَقْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، كَلِمَةُ إِسْلَامٍ وَاسْتِسْلَامٍ، وَتَوَكُّلٌ خَالِصٌ، وَتَبَرُّرٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَاعْتِرَافٌ بِالْإِدْعَانِ لَهُ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا، وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ ضَرِّ، وَلَا قُوَّةَ فِي جَلْبِ خَيْرٍ أَوْ نَفْعٍ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَفِيهَا إِظْهَارُ الْفَقْرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِطَلَبِ الْمَعُونَةِ مِنْهُ عَلَى مَا يُحَاوِلُ مِنَ الْأُمُورِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ.

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ حَرَكَةٌ وَلَا تَحَوُّلٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَهُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْحَوْلُ كُلُّهُ وَالْقُوَّةُ كُلُّهَا. وَلِذَا كَانَ لَازِمًا عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَفْهَمَ وَيَفْقَهُ مَدْلُولَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَعْنَاهَا، لِيُؤْتِيَ الذِّكْرَ ثَمَرَاتِهِ، وَتَنْتَفِعَ بِهَا الدَّاكِرُ، فَانْفَعِ الذِّكْرَ أَنْتَرَا مَا وَاطَأَ فِيهِ الْقَلْبُ اللَّسَانَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمَ مَا يَوَاجُهُ بِهِ الْإِنْسَانُ تَقَلُّبَاتِ الْحَيَاةِ، وَتَحْصُلُ بِهِ الطَّمَانِينَةُ، أَنْ يَلْجَأَ إِلَى خَالِقِهِ، وَأَنْ يُلَوِّذَ بِهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَإِنَّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ دَاءِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَتَأْثِيرًا فِي مُعَالَجَةِ الْأَشْغَالِ الصَّعْبَةِ،

وَتَحْمِلِ الْمَسَاقَ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ [2]: "وَلْيَكُنْ هَجِيرَاهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا بِهَا تُحْمَلُ الْأَثْقَالُ، وَتُكَابَدُ الْأَهْوَالُ، وَيُنَالُ رَفِيعُ الْأَحْوَالِ". (52)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ كَفَاهُ وَوَفَّاهُ، وَحَفِظَهُ وَتَوَلَّاهُ، فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَخَذَلَهُ، فَمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُعَانُ، وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُولُ، وَهَذَا تَحْقِيقُ مَعْنَى لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَصِدْقَ الْإِسْتِعَانَةِ بِكَ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمَا فَتَحَتْ مَعَالِيْقُ الْأُمُورِ بِمَثَلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَمَنْ أَعْيَاهُ الشَّيْءُ وَعَجَزَ عَنْهُ، فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بَيِّقِينَ، أَعَانَهُ اللَّهُ. وَمَنْ كَثُرَتْهُ هُمُومُهُ وَعُمُومُهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَهِيَ كَلِمَةُ اسْتِعَانَةٍ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَمَنْ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَجَمِيعِ مَا يُصْلِحُهُ. وَهِيَ مِنْ خَيْرِ مَا يُرْجَى ثَوَابُهُ وَيُؤْمَلُ خَيْرُ عَاقِبَتِهِ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ بَرَكَةٌ مُعَجَّلَةٌ تَقْبِضُ عَلَى قَائِلِهَا، مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ.

وَقَدْ اتَّخَذَهَا الْمُؤَفَّقُونَ عُدَّةً لَهُمْ فِيمَا يُكَابِدُونَهُ مِنْ مَسَاقِ الْأُمُورِ، فَكَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِهَا الْفَرْجُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ؛ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا عُدَّةً فِي جِهَادِهِ. كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِقَائِدِهِ فِي مَعْرَكَةِ الْقَادِيسِيَّةِ، سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ [2]: «وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ((وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَّخِذُهَا زَادًا لَهُ فِي إِمْدَادِهِ بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَاكْثُرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ هَذَا الذِّكْرِ؛ فَقَدْ حَوَى مَعَانِي التَّوْحِيدِ مِنْ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالتَّدْبِيرِ، وَالتَّعَلُّقِ بِهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَكَمَالِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالتَّقْوِيصِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَإِظْهَارِ الْعَبْدِ عَجْزَهُ وَضَعْفَهُ وَفَقْرَهُ، وَتَبَرُّؤَهُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.

الدُّعَاءُ... بَيْنَ فَضْلِ الْعِبَادَةِ وَخَطَرِ الْمَوَانِعِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، فَتَحَ أَبْوَابَهُ لِلسَّائِلِينَ، وَأَطَهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِينَ، مُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَرَحْمَتُهُ قُرَيْبٌ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، يَدُهُ مَلَأَى لَا تَغْنِيهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يُجِبُ مَنْ عِبَادَهُ دَوَامَ الدُّعَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ دَأْبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسِمَةُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، مَفْرَغُ الْمَظْلُومِينَ، وَمَلَجَأُ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، يَظْهَرُ فِيهِ فَاقَتُهُ وَيُزْفَعُ فِيهِ حَاجَتُهُ، فَمَا اسْتَجَلِبْتَ النِّعَمَ وَلَا اسْتَدْفَعْتَ النِّقَمَ بِمِثْلِهِ، إِنَّهُ الدُّعَاءُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِّسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أَدْخَلَ الْبَحْرَ)). (53)

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ إِذَا دَعَوْهُ بِقُلُوبٍ مُّؤْمِنَةٍ مُّخْلِصَةٍ بِإِحْدَى ثَلَاثٍ، كَمَا أَخْبَرَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ حَيْثُ قَالَ: ((مَا مِنْ مُّسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَّحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعْجَلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا " . قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ؟ قَالَ: " اللَّهُ أَكْثَرُ)). (54)

فَلَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَنَّ نَتِيجَةَ الدُّعَاءِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

1. أَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ الْعَبْدَ سُؤْلَهُ وَيُجِيبَ دُعَاءَهُ، إِلَّا أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ، فَقَدْ يُؤَخَّرُ سُبْحَانَهُ تَحْقِيقَ طَلْبِ الْعَبْدِ لِحُكْمَةِ أَحَاطِ بِهَا عِلْمُهُ.
2. أَنْ يَصْرِفَ اللَّهُ عَنِ الْعَبْدِ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، كَأَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ ضَرًّا شَدِيدًا أَوْ بَلَاءً عَظِيمًا.
3. أَنْ يَدْخِرَ لَهُ دَعْوَتَهُ فِي الْآخِرَةِ فَيُجْزِيهِ بِهَا أَعْظَمَ الْأَجْرِ وَالتَّوَابِ، وَ{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ

وَأَبْقَى} [الأعلى: 17]

وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَجَابَ دُعَاءَ عَبْدِهِ يَخْتَارُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ الْأَنْفَعُ وَالْأَصْلَحُ لَهُ وَفَقَ حُكْمَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنْ إَعْطَاهُ اللَّهُ الْعَبْدَ أَوْ مَنَعَهُ مِمَّا سَأَلَ قَدْ يَكُونُ رَحْمَةً بِهِ، فَقَدْ يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ بِمَنَعِهِ مَا سَأَلَ، وَكَمْ مِنْ أَمْرِ أَحَبَّهُ الْإِنْسَانُ وَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَفِيهِ هَلَاقُهُ:

(53) أخرجه مسلم في صحيحه، (2577).

(54) أخرجه أحمد في مسنده، (11149)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216]

فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، وادعوه وأنتم موقنون بالإجابة. ففِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: ((إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي)). (55)

واعلموا أَنَّهُ بِقَدْرِ الْحُرْفَةِ وَالْفَاقَةِ فِي الْقَلْبِ تَكُونُ الْإِجَابَةُ: {أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: 62]، فَاللَّهُ أَرْحَمُ وَأَرْأَفُ مَنْ أَنْ يَرِدَ عَبْدًا لَجَأَ إِلَيْهِ أَوْ قَلْبًا انْكَسَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

وَقَدْ يَمْنَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ مَا سَأَلَ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ قَدْ تَكُونُ لَهُ عَقْبَةٌ تَمْنَعُ وَصُولَ ذَلِكَ الْخَيْرِ إِلَيْهِ إِذَا قَامَ بِهِ مَانِعٌ مِنْ مَوَانِعِ الْإِجَابَةِ، وَمَنْهَا:

1. أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ غَافِلًا لَا هَيَأَ حَالَ دُعَائِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ)). (56)

2. وَمَنْهَا أَكْلُ الْحَرَامِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ((ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمِهِ حَرَامٌ وَمَشْرَبِهِ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ)). (57)

3. وَمَنْهَا الْإِسْتِعْجَالُ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولَ يَقُولَ دَعْوَتِ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)). (58)

فَالْأَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ، فَلَا يَتَقَدَّمُ شَيْءٌ عَنْ إِبَانِهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ أَوَانِهِ، وَاللَّهُ يُجِيبُ الْإِلْحَاحَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنْ فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّعَاءِ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ.

055 أخرجه مسلم في صحيحه، (2675).

056 أخرجه الترمذي في سننه، (3479)، وحسنه الألباني.

057 أخرجه مسلم في صحيحه، (1015).

058 أخرجه البخاري في صحيحه، (5981).

الصلاة... عَمُودُ الدِّينِ وَعَنْوَانُ النَّجَاحِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ قُرَّةَ عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَشِعَارَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، أَمَرَ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا {حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قِنْتَيْنِ} [البقرة: 238]، رَفَعَ بِذِكْرِهِ مَنْ عَظَّمَهُ، وَأَقْبَلَ بِقَلْبِهِ عَلَيْهِ، وَخَذَلَ مَنْ تَكَاسَلَ وَتَنَاقَلَ عَنِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 28].

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وَصِلَةُ قَلْبِ الْعَبْدِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، غِذَاءُ الْقُلُوبِ وَحَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، وَعَنْوَانُ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ، مِيزَانُ تَعْظِيمِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ، أَكْثَرُ الْفَرَائِضِ ذِكْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُبِينِ، وَآخِرُ وَصِيَّةٍ وَصَّى بِهَا أُمَّتَهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ إِنَّهَا الصَّلَاةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ: أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهَرَّ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ قَدْرَ الصَّلَاةِ فِي قَلْبِهِ، وَلَا يَسْتَقِيمِ دِينَ الْمَرْءِ وَلَا تَصْلُحَ أَعْمَالُهُ إِلَّا بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، مُقْتَدِيًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)). (59)

عِبَادَ اللَّهِ:

تَرَحَّرَ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِأَحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ تُبَيِّنُ فَضْلَهَا وَأَثَرَهَا لِمَنْ أَقَامَهَا وَحَضَرَ قَلْبُهُ فِيهَا وَعَقَلَهَا، فَهِيَ كَالنَّهْرِ الْجَارِي الْعَذْبِ الَّذِي بِهِ طَهَارَةُ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ مِنَ الْإِثَامِ وَالْأَوْزَارِ، قَالَ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا» ((60))، وَهِيَ نُورٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، فِي قُلُوبِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ، وَفِي الْقَبْرِ وَيَوْمَ الْحَشْرِ، قَالَ ﷺ: ((وَالصَّلَاةُ نُورٌ)). (61)

وَلَمَّا فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، كَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَتَمِّهَا دَلَالَةً عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ، قَالَ ﷺ: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ)). (62)

(59) أخرجه البخاري في صحيحه، (605).

(60) أخرجه البخاري في صحيحه، (505).

(61) أخرجه مسلم في صحيحه، (223).

(62) أخرجه ابن ماجه في سننه، (277)، وصححه الألباني.

وَمِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ، فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)). (63)

وَهِيَ فُرَّةٌ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ ﷺ: ((وَجُعِلَتْ فُرَّةٌ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)) (64) إِنَّ فُرَّةَ الْعَيْنِ يَا عِبَادَ اللَّهِ هِيَ غَايَةُ الْمَحَبَّةِ، أَنْ تَرَى الشَّيْءَ فَتَنْعَمَ بِرُؤْيَيْهِ حَتَّى تَسْتَقِرَّ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، لَا تُرِيدُ مُفَارَقَتَهُ لِمَا حَلَّ بِكَ مِنَ السُّرُورِ، وَهَلْ لِلْقَلْبِ طُمَأْنِينَةٌ إِلَّا بِاللَّهِ؟ وَهَلْ لِلرُّوحِ حَيَاةٌ إِلَّا بِقَاءِ اللَّهِ؟

الصَّلَاةُ رَاحَةٌ لِلْقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَمَشَاغِلِهَا، لِمَنْ كَانَ خَاشِعًا فِيهَا وَمُحِبًّا لَهَا، لِمَا فِيهَا مِنْ مُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَاحَةٍ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ، قَالَ ﷺ: ((فَمَنْ يَا بَلَاءُ فَأَرَحْنَا بِالصَّلَاةِ)). (65)

وَالصَّلَاةُ مَفْزَعُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالنَّوَائِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} {وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى؛ أَيُّ لَجَأٍ إِلَى الصَّلَاةِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ تَدْفَعُ الْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ. الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: مُنَاجَاةُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَبْدِ، قَالَ ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ)). (66)

وَمَنْ ذَاقَ لَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ خَشَعَ قَلْبُهُ، وَاسْتَشْعَرَ عَظَمَةَ الْمَوْقِفِ الَّذِي شَرَفَهُ اللَّهُ بِالْوُقُوفِ فِيهِ، وَفُرَّبَ رَبِّهِ مِنْهُ قُرْبًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَيَا لِعَظَمَةِ تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ، الَّتِي تُثْمِرُ لِلْمُصَلِّي حُضُورَ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَخُشُوعَهُ لَهُ، وَتَأَدُّبَهُ فِي مَوْقِفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ، فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ بِقَلْبِهِ وَلَا بِبَدَنِهِ.

فَمَا أَعْظَمَ أَثَرَ الصَّلَاةِ إِذَا خَشَعَ فِيهَا الْقَلْبُ، وَمَا أَضْعَفَ أَثَرَهَا إِذَا غَفَلَ عَنْهَا الْقَلْبُ، فَالصَّلَاةُ بِلَا حُضُورِ قَلْبٍ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ.

ابْنُ آدَمَ، أَيُّ شَيْءٍ يَعْرِضُ عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُكَ؟

063 أخرجه البخاري في صحيحه، (6137).

064 أخرجه النسائي في سننه، (3940)، وصححه الألباني.

065 أخرجه أبو داود في سننه، (4986)، وصححه الألباني.

066 أخرجه البخاري في صحيحه، (403).

صَلَاةُ الْفَجْرِ... بَدَايَةُ النُّورِ وَبَرَكَةُ الْيَوْمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (٢٨١) [البقرة].

أَخُوَّةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ اخْتِبَارٌ لِلإِيمَانِ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ، وَالتَّخَلُّفُ عَنْهَا عَلَامَةٌ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، يُحْرِمُهَا مَنْ أَتَقَلَّبَ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، بِهَا يَسْتَقْبِلُ الْمُؤْمِنُ يَوْمَهُ، وَيَسْتَفْتِحُ بِهَا نَهَارَهُ وَعَمَلَهُ. إِنَّهَا صَلَاةُ الْفَجْرِ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ لِلشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَفَرَّانِ الْفَجْرِ إِنَّ فَرَّانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78]؛ لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهَا وَعَظِيمِ مَكَانَتِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَوْمُ الْمُسْلِمِ مُرْتَبِطٌ وَمُفْتَتَحٌ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ؛ فَمَنْ بَدَأَ يَوْمَهُ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ بَدَأَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهِيَ بَرَكَةُ يَوْمِهِ، وَنُورُهُ، وَطَمَائِينُهُ رُوحِهِ، وَطِيبُ نَفْسِهِ. دَعَاهُ دَاعِي الْفَلَاحِ، فَاسْتَشْعَرَ عُبُودِيَّةَ رَبِّهِ، فَأَجَابَهُ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَانْتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ وَهَوَاهُ.

أَخُوَّةُ الْإِيمَانِ:

حَفَلَتِ السُّنَّةُ بِبَشَارَاتٍ بَشَّرَ بِهَا مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، ﷺ، لِمَنْ حَافَظَ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ جَمَاعَةً فِي وَقْتِهَا. قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ» (67)، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» (68)، وَأَخْبَرَ أَنَّ صَاحِبَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَمْنَحُهُ اللَّهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلُمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (69)، وَهِيَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (70)، وَالْبَرْدَانِ هُمَا: الْعَصْرُ وَالْفَجْرُ. وَهِيَ سَبَبٌ لِرُؤْيَا وَجْهِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَصَافُونَ فِي رُؤْيَيْهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ

٦7) أخرجه مسلم في صحيحه، (656).

٦8) أخرجه مسلم في صحيحه، (657).

٦9) أخرجه أبو داود في سننه، (561)، وصححه الألباني.

٧0) أخرجه البخاري في صحيحه، (548).

أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». ثُمَّ قَرَأَ: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} ٣٩ { [ق] . (71)
وَهِيَ سَبَبٌ لِنَشَاطِ الْبَدَنِ وَطَيِّبِ النَّفْسِ؛ قَالَ ﷺ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ وَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةُ كُلِّهَا؛ فَاصْبَحْ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانً» (72)، وَقَالَ ﷺ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (73).

رَبَّنَا اجْعَلْنَا مُقِمْي الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.
الخطبة الثانية:

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

أخوة الإيمان:

وَمَنْ رَأَى نَفْسَهُ لَمْ تَحْرِكْهُ تِلْكَ الْفَضَائِلُ، فَلْيَتَذَكَّرِ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي تُوعَدُ بِهَا الْمُفَرِّطُونَ،
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، وَعَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ {قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} ٤ {الَّذِينَ هُمْ
عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ٥ { [الماعون: 4-5]، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: يُؤَخَّرُونَ عَنْ وَقْتِهَا
{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا} ٩٤ {،
قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْعَيُّ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ، وَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ
عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا» (74).
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ [؟]: "وَلَقَدْ رَأَيْنَا، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ". (75)

وَقَدْ جَاءَ الْوَعْدُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ الَّذِي يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ؛ فِي حَدِيثِ الرَّوْبِ:
«أَمَّا الَّذِي يُشْرَخُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ
الْمَكْتُوبَةِ» (76)، يَعْنِي: قَرَأَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ فِي الْكِتَابِ، وَعَلِمَهَا فَرَضًا، ثُمَّ فَرَطَ فِيمَا عَلِمَ،
وَتَرَكَ مَا أَمَرَ بِهِ؛ فَجَعَلَتِ الْعُقُوبَةُ فِي رَأْسِ صَاحِبِ هَذِهِ النَّوْمَةِ.

٧١ أخرجه البخاري في صحيحه، (529).

٧٢ أخرجه البخاري في صحيحه، (1091).

٧٣ أخرجه مسلم في صحيحه، (725).

٧٤ أخرجه البخاري في صحيحه، (626).

٧٥ أخرجه مسلم في صحيحه، (654).

٧٦ أخرجه البخاري في صحيحه (1092).

الْبَرَكَةُ الْإِلَهِيَّةُ: أَثَارُهَا وَأَسْبَابُهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، فَالْبَسَهُمْ لِبَاسَ التَّقْوَى خَيْرَ لِبَاسٍ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَنْفَعِ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِهِ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ أَنْفَعِ عِبَادِهِ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الْخَيْرَاتِ، وَبِهَا تُسْتَجْلَبُ الْبَرَكَاتُ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: 96]

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ عَطَاءُ إِلَهِيٍّ، وَسِرُّ رَبَّانِيٍّ، نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، وَاللَّهُ يَزُرُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَإِذَا صَدَّقَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَبَدَّلَ أَسْبَابَهَا، فَتَحَ لَهُ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ أَبْوَابَهَا. إِنَّهَا الْبَرَكَةُ؛ إِذَا حَلَّتْ فِي الشَّيْءِ عَمَّ نَفْعُهُ، وَدَامَ خَيْرُهُ، وَهِيَ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ لَا تُقَاسُ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِّيَّةِ، وَلَا بِالْعَمَلِيَّاتِ الْحِسَابِيَّةِ، هِيَ ثُبُوتُ الْخَيْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الشَّيْءِ، وَكَثْرَتُهُ، وَدَوَامُهُ، وَثَمَرَتُهَا صَفَاءُ النَّفْسِ، وَطِيبُ الْقَلْبِ، وَهَنَاءُ الْعَيْشِ، وَفَرَّةُ الْعَيْنِ، وَالْفَنَاءُ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْبَرَكَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةً، بِتَصْرِيْفَاتِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، وَبَيَّنَ لَنَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُثَالِ بِهَا، وَمِنْ أَعْظَمِهَا: تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى؛ فَهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ.

وَمِنْهَا: الْعَيْشُ مَعَ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً، وَتَدْبِيرًا، وَعَمَلًا؛ فَمَنْ أَحْسَنَ صُحْبَةَ الْقُرْآنِ عَمَرَتْهُ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، قَالَ تَعَالَى {كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ} [ص].

وَمِمَّا تُثَالِ بِهِ الْبَرَكَةُ: الصَّدَقُ فِي الْمُعَامَلَاتِ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَتِجَارَةٍ وَشِرَاكَةٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَإِنْ صَدَقًا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمْ»⁽⁷⁷⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: اخْتِيارُ الْمَالِ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ، مِنْ غَيْرِ شَرِّهِ وَلَا إِحْلَاحٍ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ»⁽⁷⁸⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ: كَسْبُ الْمَالِ مِنْ حَلَالٍ. وَمِنْ أَسْبَابِهَا: الْاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتُ»⁽⁷⁹⁾، «وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي»⁽⁸⁰⁾.

⁽⁷⁷⁾ أخرجه البخاري في صحيحه، (1973).

⁽⁷⁸⁾ أخرجه البخاري في صحيحه، (1403).

⁽⁷⁹⁾ أخرجه أبو داود، (1425)، قال الألباني: صحيح.

⁽⁸⁰⁾ أخرجه الترمذي في سننه، (3500) قال الألباني: ضعيف لكن الدعاء حسن.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ: الْإِكْتِنَارُ مِنَ النَّفَقَةِ وَبَذْلُ الصَّدَقَةِ، قَالَ تَعَالَى: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } [سبا: 39].

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: التَّبَكُّيرُ فِي الْأَعْمَالِ، وَذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَحِلُّ بِذِكْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن: 78].
وَمِنْ أَسْبَابِ نَيْلِ الْبَرَكَةِ: الْإِسْتِغْفَارُ، وَالْمُواظَبَةُ عَلَى الْأَذْكَارِ، وَتَعْلِيمُ النَّاسِ الْخَيْرَ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَصَلَاةُ الْإِسْتِخَارَةِ.
اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ كَالْغَيْثِ؛ إِنْ أَقْبَلَ فَرَحَ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حَلَّ فِي مَكَانٍ عَمَّ نَفْعُهُ، وَإِنْ رَحَلَ بَقِيَ أَثَرُهُ؛ إِنَّهُ الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ، قَالَ تَعَالَى: { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ } [مريم: 31].
الرَّجُلُ الْمُبَارَكُ قَوِي الصِّلَةِ بِاللَّهِ، عَالِي الْأَخْلَاقِ، نَافِعٌ لِلنَّاسِ، يُذَكِّرُ بِاللَّهِ، وَيَسْعَى فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، كَثِيرُ الْإِنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ، حَافِظٌ لَوْقَتِهِ، مُصْلِحٌ فِي حَيَاتِهِ، لَا يَنْقَطِعُ أَثَرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِقَضَاءِ حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُبَارَكِينَ، وَاجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ.

أمن الأوطان هبة الكريم الرحمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، وَاسِعِ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، أَمْتَنَ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فَجَعَلَ بِلَادَهُمْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَسْلِيماً كَثِيراً، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشُّكْرَ لَا يُبَالُ إِلَّا بِالنَّقْوَى، فَمَنْ أَرَادَ بُلُوغَ مَقَامِ الشَّاكِرِينَ فَلْيَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ هِبَةٌ مِنَ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، لَا تُقَدَّرُ بِالْأَثْمَانِ، وَلَا يَهْنَأُ عَيْشُ بِدُونِهَا، وَلَا تَطْيِبُ حَيَاةٌ بِفَقْدِهَا، بِهَا تُصَانُ الْأَنْفُسُ، وَتُحْمَى الْأَعْرَاضُ، وَتُحْفَظُ الْأَمْوَالُ، وَتُعْمَرُ الْمَسَاجِدُ، وَتُقَامُ الشَّعَائِرُ، إِنَّهَا نِعْمَةُ الْأَمْنِ يَا عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ وَأَعْظَمِهَا، وَحَقُّ النِّعَمِ أَنْ تَشْكُرَ فَلَا تُكْفِرَ، فَالنِّعَمُ إِذَا شُكِرَتْ قَرَّتْ، وَإِذَا كُفِرَتْ قَرَّتْ، فَأَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا قَلِيلًا مَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ فَكَادَتْ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْنُ مِنْ مَقَاصِدِ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَرَنَ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - طَلَبَ الْأَمْنِ بِالتَّوْحِيدِ فَقَالَ: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمْنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم]، فَلَمَّا دَعَا بِالْأَمْنِ مِنْ فَسَادِ الْأَبْدَانِ دَعَا بِالْأَمْنِ مِنْ فَسَادِ الْأَدْيَانِ، وَلِعَظُمَ هَذِهِ النِّعْمَةُ أَمْتَنَ اللَّهُ بِهَا عَلَى فُرَيْشٍ فَقَالَ تَعَالَى: { أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمْنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [القصص: 57]، وَذَكَرَهُمْ سُخَّانُهُ بِأَحْوَالِ الَّذِينَ فَقَدُوهَا مِنْ حَوْلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا أَمْنًا وَيَنْحَطِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ } [العنكبوت: 67]، وَامْتَنَ اللَّهُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مُخَاطِبًا أَصْحَابَ نَبِيِّهِ ﷺ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِنِعْمَتِهِ: { وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنِصْرَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [الأنفال: 26]، وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْظَمَ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَبَدَأَ بِهَا فَقَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ أَمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». (81)

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالْأَمْنِ مَتَى مَا آمَنُوا بِهِ وَوَحَّدُوهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَقَامُوا شَعَائِرَ دِينِهِ وَنَصَرُوهُ، فَالْأَمْنُ قَرِينُ الْإِيمَانِ، يَزِيدُ بِزِيَادَتِهِ وَيَنْقُصُ بِفَقْدِهِ، وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ يُمْرُ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: 82]، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ لِوَلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ
جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَسْبَابِ الْأَمْنِ، وَجَمَاعِ الْأَمْرِ فِي الْإِسْتِقَامَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ
اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلُّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: 153]
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ أَنَّ الْعُقُوبَاتِ تَنْزِلُ بِالْأَمَمِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ إِذَا فَشَتْ فِيهَا
الْمُنْكَرَاتُ، وَضُيْعَتْ شَعِيرَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، قِيلَ: أَنَّهُلِكَ وَفِينَا
الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ» (82)، وَالْمُنْكَرُ إِذَا عَمِلَ فِي الْمُجْتَمَعِ وَلَمْ يُنْكَرْ فَإِنَّ
سُوقَهُ تَقْوَمُ، وَغُودُهُ يَشْتَدُّ، وَمَا تَزَالُ الْمُنْكَرَاتُ تَفْشُو حَتَّى يَكْثُرَ الْخَبَثُ، وَيَسْتَعْلِي أَهْلُ
الْفَسَادِ، فَتَنْزِلُ بِالْمُجْتَمَعَاتِ سُنَنُ اللَّهِ، وَمِنْ سُنَنِ اللَّهِ أَنَّ مَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ، وَلَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ
عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْلُبُهَا مِنْهُ، وَيُذِيقُهُ ضِدَّهَا، كَمَا حَدَّثَ مَعَ الْقُرَى الَّتِي كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ:
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [النحل] {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا} [القصص].
هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَجَمَكُمْ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ
جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا} [سُورَةُ الْأَحْزَابِ: 56].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ
الْدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَعَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَنْزِلَةُ عِبَادَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْإِسْلَامِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ أَكْرَمُ مَا أَسْرَرْتُمْ، وَأَزْيَنُ مَا أَظْهَرْتُمْ، وَأَعْظَمُ مَا ادَّخَرْتُمْ، اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الصَّالِحِينَ الْأَتْقِيَاءِ، يَنَالُ بِهِ صَاحِبُهُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَيَرْفَعُ بِهِ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، مَنْ أَعْظَمَ مَوَاهِبَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، وَسَبَّبَ لِلْقُرْبِ مِنْهُ وَنِيلَ مَحَبَّتِهِ، مِنْ عَلَامَاتِ الْإِيمَانِ وَدَلَائِلِ السَّعَادَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَمِنْ أَفْضَلِ مَا أُعْطِيَ الْمُسْلِمُ. سَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ؟» قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ» (83)، وَقَالَ: «وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ» (84)، وَقَالَ: «وَأَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (85)، وَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذَرِّكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (86).

وَحُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟» فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» (87) وَقَالَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ» (88). وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» (89).

عِبَادَةُ اللَّهِ الْإِيمَانُ: كَثِيرًا مَا يَرِدُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْجَمْعُ بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمَا مُتَلَازِمَانِ لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ؛ فَتَقْوَى اللَّهِ شَجَرَةٌ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ظِلٌّ وَثَمَرَةٌ، وَهِيَ أَسَاسٌ، وَهُوَ بِنَاءٌ، وَهِيَ سِرٌّ، وَهُوَ صُورَةٌ لِأَخْلَاقِهِ الْبَاطِنَةِ. وَحَيْثُ

(83) مصنف ابن أبي شيبة، (25315).

(84) أخرجه الترمذي في سننه، (2002)، وصححه الألباني.

(85) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكايني (1/ 185).

(86) أخرجه أبو داود في سننه، (4798)، وصححه الألباني.

(87) أخرجه الترمذي في سننه، (2004) وحسنه الألباني.

(88) أخرجه أبو داود في سننه، (4800) وحسنه الألباني.

(89) أخرجه الترمذي في سننه، (2018) وصححه الألباني.

اِنَّتَقَىٰ حُسْنَ الْخُلُقِ اِنَّتَقَتِ التَّقْوَىٰ، وَضَعْفُهُ ذَلِيلٌ ضَعْفُهَا؛ فَهُوَ بُرْهَانُهَا وَالذَّلِيلُ عَلَيْهَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [7]: "جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ؛ لِأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُصْلِحُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُصْلِحُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَتَقْوَى اللَّهِ تُوْجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ" (90). أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُنَالُ بِهَا مَنْزِلُهُ عِبَادَةُ الْخُلُقِ:

الاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَمِنَ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» (91)، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ» (92).

وَكَذَلِكَ: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَتَرْوِيضُهَا عَلَى التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْعِلْمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ» (93)، وَحُسْنُ الْخُلُقِ نَوْعٌ مِنَ الْهَدَايَةِ يَحْصُلُ عَلَيْهَا الْمَرْءُ بِالْمُجَاهَدَةِ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69].

وَكَذَلِكَ: مُصَاحَبَةُ الْأَخْيَارِ وَأَهْلِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِمَّا تُكْتَسَبُ بِهِ مَحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (94).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ أَيْضًا: قِرَاءَةُ سِيرَةِ ذَوِي الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِمَنْ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ، وَخَيْرُ قُدْوَةٍ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا أَكْمَلَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ خُلُقِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم]، وَلَمَّا سُئِلَتْ عَائِشَةُ □ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ» (95).

(90) الفوائد، (ص: 54).

(91) أخرجه أحمد في مسنده، (803)، وصححه أحمد شاكر.

(92) أخرجه الترمذي في سننه، (3591)، وصححه الألباني.

(93) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، (2663).

(94) أخرجه أحمد في مسنده، (8028)، وجوده إسناده شعيب الأرناؤوط.

(95) أخرجه أحمد في مسنده، (24601).

حُسْنُ الْخُلُقِ: سَبِيلُ الرِّفْعَةِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ أَكْرَمُ مَا أَسْرَرْتُمْ، وَأَعْظَمُ مَا ادَّخَرْتُمْ، وَأَزِينُ مَا أَظْهَرْتُمْ، اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، يُدْرِكُ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَالَ الْإِيمَانِ، وَيَبَالُ بِهِ مَحَبَّةَ الرَّحْمَنِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ مِنْهُ فِي الْمِيزَانِ، يَبْلُغُ بِهِ الْمَرْءُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، هُوَ جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَغُنْوَانُ صَلَاحِ النَّفْسِ وَصَفَاءِ الْقَلْبِ، يَتَّصِفُ بِهِ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَسَمَتْ نَفْسُهُ، إِنَّهَا صِفَةُ الْأَخْيَارِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، إِنَّهُ حُسْنُ الْخُلُقِ.

مَا أَحْوَجَنَا عِبَادَ اللَّهِ فِي زَمَنِ شَحَتْ فِيهِ الْأَخْلَاقُ إِلَى أَنْ نُذَكِّرَ بِفَضَائِلِهَا وَثَمَرَاتِهَا، لِنَتَخَلَّى بِهَا نَفُوسَ غَلْظَتْ طِبَاعُهَا وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهَا، فَأَرْعَ لَهَا سَمْعَكَ يَا رَعَاكَ اللَّهُ.

قَالَ ﷺ: ((مَا شَيْءٌ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)). (96)

وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ يَبَالُ الْمَرْءُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَرْتَقِي إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْجَنَّةِ، قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (97)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا)) (98)، وَقَالَ: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتِي فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ)). (99)

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ أَلْوَسَائِلِ الَّتِي تُكْتَسَبُ بِهَا الْأَخْلَاقُ وَتُهَدَّبُ بِهَا النَّفُوسُ:

الاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ اهْدِنِي لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لَأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ)). (100)

96 أخرجه أبو داود في سننه، (4798)، وصححه الألباني.

97 أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، (471).

98 أخرجه الترمذي في سننه، (2018)، وصححه الألباني.

99 أخرجه أبو داود في سننه، (4800) وحسنه الألباني.

100 أخرجه أحمد في مسنده، (803)، وصححه: أحمد شاكر.

وَمِنْهَا مُجَاهِدَةُ النَّفْسِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ)) (101)، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ يُمَكِّنُ اكْتِسَابَهَا وَالْوُصُولَ إِلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ التَّعَوُّدِ عَلَيْهَا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [?]: "كَثْرَةُ الْمُرَاطَلَاتِ تُعْطِي الْمَلَكَاتِ، فَتَبْقَى لِلنَّفْسِ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ وَمَلَكََةٌ ثَابِتَةٌ" (102)

وَمِنْهَا: صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)) (103)

وَمِنْهَا: التَّأَمُّلُ وَدَوَامُ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَسِيرَتِهِ، وَسِيرَةِ صَحَابَتِهِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاعْلَمُوا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْتَفِعُ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ صَاحِبُهُ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ، وَمَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ طَابَ فِرَاقُهُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ أَعْظَمَ مَا يُتَكَلَّى بِهِ الْمَرْءُ هُوَ اخْتِبَارُ الْأَخْلَاقِ فِي وَقْتِ الشَّدَّةِ وَسَاعَاتِ الْغَضَبِ؛ فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ تُكْتَسَفُ فِي سَاعَةِ الشَّقَاقِ، هُنَاكَ تُعْرِفُ مَعَادِنَ الرِّجَالِ، حِينَ يَمْلِكُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَيَكْظُمُ غَيْظَهُ، وَيَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَذَرُ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، {وَمَا يُقْلَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلَهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:35]. فَمَا أَعْظَمَ أَنْ يَزْرَعَ الْمَرْءُ خُلُقَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَهْمَا جَفَّتْ، وَيَغْرَسَ إِحْسَانَهُ فِي الْقُلُوبِ وَإِنْ قَسَتْ، وَيَسْقِيَ لِلنَّاسِ لُطْفَهُ وَلَوْ لَمْ يُرِدَّ الْجَمِيلُ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يَضِيعُ.

وَعَلَيْنَا أَنْ نُرَبِّي أَبْنَاءَنَا عَلَى هَذَا الْفَهْمِ، وَأَنْ نُعَلِّمَهُمْ بِأَفْعَالِنَا قَبْلَ أَقْوَالِنَا، وَيَرَوْا فِيْنَا قُدْوَةً حَسَنَةً، وَلَا سَيِّئًا فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ؛ فَهُمْ كَالثَّمَرِ عَلَى الشَّجَرِ، مِنْهُ مَا يَطِيبُ بِحُسْنِ التَّأْدِيبِ، وَمِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى رِعَايَةٍ وَتَهْذِيبٍ، فَلَا دَبَّ مِنَ الْأَبَاءِ، وَالصَّلَاحُ مِنَ اللَّهِ. اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

101) أخرجه البخاري في صحيحه، (1400).

102) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (1/ 284).

103) أخرجه أبو داود في سننه، (4833)، وحسنه الألباني.

بَذْلُ الْمَعْرُوفِ... طَرِيقُ الْبِرِّكَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَتَحَ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لِلْعَامِلِينَ، وَجَعَلَ رَحْمَتَهُ قَرِيبًا مِنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، وَخَصَّ بِفَضْلِهِ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ، فَكُتِبَ لَهُمْ ذِكْرًا حَسَنًا فِي الْعَالَمِينَ، وَلِسَانُ صِدْقِي فِي الْآخِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا، وَاتَّبَعَهَا مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: 131].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَهَدْيٍ مِنْ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَبَالُ بِهَا مَحَبَّتَهُ، وَيَنْتَفِعُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، بَذْلُ الْمَعْرُوفِ لِلنَّاسِ، وَالسَّعْيُ فِي نَفْعِ الْآخِرِينَ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، جَعَلَ اللَّهُ فِعْلَ الْخَيْرِ سَبَبَ الْفَلَاحِ: {الْخَيْرُ لِعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ} [الحج: 77]، وَيَنْفَعُ الْآخِرِينَ يَسْمُو الْمَرْءُ إِلَى مُنْزَلَةِ عَظِيمَةٍ يَبَالُ بِهَا مَحَبَّةَ اللَّهِ: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ)) (104)، ((مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعُ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ)) (105). وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنَحْلِهَا عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

فِي نَفْعِ النَّاسِ: تَخْلِيدُ الْأَجُورِ وَطَيْبُ الذِّكْرِ وَالْمَاتِرِ: {وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّتُ فِي الْأَرْضِ} [الرعد: 17]. وَفِي نَفْعِ النَّاسِ: اسْتِجْلَابُ مَوَدَّتِهِمْ وَذَهَابُ وَحَرِ صُدُورِهِمْ، وَحَبْلُ اللَّهِ مَمْدُودٌ بِالرِّزْقِ وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ مَا دَامَ حَبْلُ نَفْعِ الْمَرْءِ لِلنَّاسِ بَاقِيًا: ((وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ)) (106)، ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)) (107). وَنَفْعُ النَّاسِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - مِنْ أَسْبَابِ الْوَقَايَةِ مِنَ الْمَخَازِي وَالْمَهَالِكِ، وَسَبِيلُ لِلظَّفَرِ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ، وَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَكَا: ((صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي

104) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (36)، وحسنه الألباني في الصحيحة (906).

105) أخرجه أحمد في مسنده، (14269) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

106) أخرجه البخاري في صحيحه، (2310).

107) أخرجه مسلم في صحيحه، (2699).

مَصَارِعِ السُّوءِ وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي
الْآخِرَةِ)). (108)

وَفِي نَفْعِ النَّاسِ: تَفْرِيجُ كَرْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ
الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)). (109)

وَفِي نَفْعِ النَّاسِ، وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ: أَمَانٌ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ؛ قَالَتْ حَدِيثُهَا □ لِلنَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَهُ الْوَحْيُ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ: (110)، وَمِنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ
لَا يُخْزِيهِ اللَّهُ، وَبَرَكَهَ الْعَبْدُ تُدْرِكُ بِمَدَى نَفْعِهِ: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} [مريم: 31]؛
أَيُّ: نَافِعًا لِلنَّاسِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَأَصْحَابُ الْمَعْرُوفِ مِمَّنْ تَوَاصَلَ بِرُحْمٍ، وَزَادَ إِحْسَانُهُمْ، تُقَدِّرُهُمُ الرِّجَالُ، وَيَبْقَى
ذِكْرُهُمْ فِي الْأَجْيَالِ، إِنَّ غَيْبَ الْمَوْتِ أَجْسَادُهُمْ بِقِيَّتِ مَكَارِمُهُمْ وَأَثَارُهُمْ.
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ فَضَائِلُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتٌ

عِبَادَ اللَّهِ:

وَعَلَى كُلِّ مَنْ قَدَّمَ مَعْرُوفًا أَنْ يُخْلَصَ اللَّهُ نِيَّتَهُ، وَيَبْتَغِيَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ:
{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ تُجَوِّلُهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: 114].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ أَظْلَمَتْ قُلُوبُهُمْ، وَضَاقَتْ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ صُدُورُهُمْ،
فَخَبَا ذِكْرُهُمْ وَسَاءَتْ سُمْعَتُهُمْ: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {
[الدخان: 29]، فَالْمَرْءُ بِمَا مَعْرُوفٍ كَالْأَرْضِ الْبَوَّارِ، لَيْسَ لَهُ أَثَارٌ صَالِحَةٌ، وَلَا أَعْمَالٌ
نَافِعَةٌ، فَلَا يَرَى لَهُمْ شَاكِرٌ، وَلَا يَذْكُرُهُمُ بِالْخَيْرِ ذَاكِرٌ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْحِرْمَانِ.

108) أخرجه الحاكم في مستدركه، (429)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (3795).

109) أخرجه أحمد في مسنده، (7421) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

110) أخرجه البخاري في صحيحه، (3).

الألفة... رُوحُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى الْخَيْرِ وَالتَّقْوَى أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَبِالْإِسْلَامِ اجْتَمَعُوا وَعَلَى هُدَاهُ تَأَلَّفُوا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا، وَاتَّبَعَهَا مَا وَصَّى اللَّهُ بِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} [النساء: 131].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةُ التَّأَلُّفِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ: {فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103]، فَمَنْ رَزَقَ هَذِهِ النِّعْمَةَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 63]، وَلِيَبَيِّنَ أَهَمِّيَّةَ الْمَحَبَّةِ وَالْأَلْفَةِ سَبَقَتْ دَعْوَةُ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ طَلَبَ الْغَدَاءَ وَالرَّزْقَ: {فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِذَا اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ أَثْمَرَ إِخَاءً وَخُبًّا لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ} [الحجرات: 10]، وَمَعْنَاهَا: مَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا أَخٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَكُلَّمَا طَهَّرْتَ الْقُلُوبَ وَزَكَّيْتَ النُّفُوسَ أَحَبَّتْ بِصَدْقِ فِدَاقَتِ النَّعِيمِ وَرَاحَةِ الْبَالِ، فَمَا أَسْعَدَ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي تُصْبِحُ وَتُمْسِي لَا تَحْمِلُ حِفْظًا عَلَى أَحَدٍ، فَالْأَلْفَةُ ثَمَرَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالنَّفَرُ ثَمَرَةُ سُوءِ الْخُلُقِ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّحَابَّ، وَالتَّأَلُّفَ وَالتَّوْفَاقَ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُثْمِرُ التَّبَاغُضَ وَالتَّحَاسُدَ وَالتَّنَازُرَ، وَفِي الْحَدِيثِ «أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُؤْطَنُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ» (111)، فَالْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ لِحَسَنِ أَخْلَاقِهِ، وَسُهُولَةِ طِبَاعِهِ وَلِينِ جَانِبِهِ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ؛ لِضَعْفِ إِيمَانِهِ وَعُسْرِ أَخْلَاقِهِ وَسُوءِ طِبَاعِهِ، فَالْعِلُّ يُفْسِدُ الْقَلْبَ وَيُضَيِّقُ الصَّدْرَ وَيَجْعَلُ صَاحِبَهُ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ، وَيَسْتَنْقِلُهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْأَلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ جَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى الرَّأْسُ نَدَّاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (112)، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: "وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ يَسْرُهُ مَا يَسُرُّ

111) أخرجه الطبراني في معجمه الصغير (4422)، وحسنه الألباني في صحيح الترهيب (20).

112) أخرجه البخاري في صحيحه، (5665).

الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْأَلُهُ مَا يَسْأَلُهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ» (113)، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». (114)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ تَرْسِيخَ الْمَحَبَّةِ وَالْأَلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ رَبَطَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ بِالْمَحَبَّةِ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَتَحَابُّوا» (115)، وَبَيَّنَ أَنَّ اللَّيْنَ وَالسَّمَاحَةَ سَبَبَ لِرِضَا اللَّهِ وَالتَّجَاةِ مِنَ النَّارِ. «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ كُلِّ هَيْئٍ، لَيِّنٍ، قَرِيبٍ، سَهْلٍ» (116) فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ سَمَحَ النَّفْسِ، طَلَّقَ الْوَجْهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، يَجْتَرُّ الْخَوَاطِرَ وَيُرَاعِي الْمَشَاعِرَ، لَا يَعْرِفُ الْجَفَاءَ وَلَا الْقَسْوَةَ؛ لِأَنَّ الْغِلْظَةَ تُفْسِدُ الْإِحَاءَ وَتُتَقَرُّ الْقُلُوبُ. أَمَّا اللَّيْنُ وَالْبِشْرُ وَحُسْنُ الْمُعَامَلَةِ فَهِيَ مَفَاتِيحُ الْقُلُوبِ، وَمَنْحُ رِيَايَةٍ مِنَ اللَّهِ، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، فَمَنْ رَزَقَ الرَّحْمَةَ فَقَدْ رُحِمَ، وَمَنْ حُرِمَهَا ابْتَعَدَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَخَسِرَ الْأَلْفَةَ بَيْنَهُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْوَفَاءَ لِمَنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ وَأَوْضَحَ الْبَرَاهِينِ عَلَى طِيبِ الْأَصْلِ وَشَرَفِ الْعُنْصُرِ، تَأَمَّلُوا مَعِيَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10].

سُبْحَانَ اللَّهِ إِخْوَةُ الْإِيمَانِ، تَبَقَى بَعْدَ الْوَفَاءِ فَتَذَكَّرُ أَمْوَاتَ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَيْرِ، فَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ وَتَرْجُو لِمُحْسِنِهِمْ، وَتَدْعُو لِمُسِيئِهِمْ أَنْ يَشْمَلَهُ اللَّهُ بِعَفْوِهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَجَدَهُ يَهْدِي إِلَى هَذِهِ الْمَحَبَّةِ، مَا أَوْثَقَهَا مِنْ أَوَاصِرَ تَرْبِطُ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِآخِرِهَا وَآخِرِهَا بِأَوَّلِهَا، تَتَخَطَّى الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، وَالْجِنْسَ وَالنَّسَبَ، فَيَدْعُو الْمُؤْمِنُ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بَعْدَ فُرُوقِ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَا يَعْرِفُونَ وُجُوهُهُمْ وَلَا أَسْمَاءَهُمْ، وَلَا مَنْ وَأَيْنَ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ وَلِدُوا، وَيَدْعُونَ لَهُمْ وَيُسَمُّونَهُمْ إِخْوَانَنَا؛ وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ الْإِيمَانِ أَنْ يَنْتَفِعَ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَيَدْعُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِي الْإِيمَانِ الْمُفْتَضِي لِعَقْدِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّتِي مِنْ ثَمَارِهَا أَنْ يَدْعُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَأَنْ يُحِبَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمَا حَالُ قُلُوبِنَا مَعَ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ؟ وَلَيْسَالُ كُلُّ مَنَا نَفْسُهُ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ؟

113) مجموع الفتاوى، (2/ 373).

114) أخرجه البخاري في صحيحه، (677).

115) أخرجه الترمذي في سننه، (2510).

116) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (1/ 480).

جَبْرُ الْخَوَاطِرِ ... عِبَادَةُ خَفِيَّةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ يُحْسِنُ إِلَى أَخِيهِ وَيَرْحَمُهُ، وَيَصِلُهُ وَيَنْفَعُهُ، وَيُبْعِضُ مَنْ يُسِيءُ إِلَى أَخِيهِ وَمِنْ الْخَيْرِ يَمْنَعُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ ثَمَارِ التَّقْوَى تَهْدِيبَ النَّفْسِ، وَصَلَاحَ الْعَمَلِ، وَحُسْنَ الْمُعَامَلَةِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سَجِيَّةٌ مِنْ سَجَايَا الْكِرَامِ، وَخُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَخَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ، خُلُقٌ يَذُلُّ عَلَى سَلَامَةِ صَدْرِ صَاحِبِهِ، وَطَهَارَةٌ نَفْسِهِ، وَنَقَاءٌ سَرِيرَتِهِ، هُوَ بَلَسَمٌ لِلنُّفُوسِ وَتَطْيِيبٌ لِلْقُلُوبِ، يَجْعَلُ النَّاسَ مُتَحَابِّينَ مُتَأَلِّفِينَ، هَذَا الْخُلُقُ يَتَحَلَّى بِهِ كِرَامُ النَّاسِ؛ إِنَّهُ مُرَاعَاةُ الْمَشَاعِرِ وَجَبْرُ الْخَوَاطِرِ، وَهُوَ مِنْ خَيْرِ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الْمَرْءُ، وَيَرْفَعُ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ النَّاسِ، وَيَكْسِبُهُ السَّعَادَةَ وَطَيْبَ الْحَيَاةِ، وَمَحَبَّةَ الْآخَرِينَ.

وَالْمَرْءُ بِالْأَخْلَاقِ يَسْمُو ذِكْرُهُ وَبِهَا يُفْضَلُ فِي الْوَرَى وَيُوقَرُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَالْفُدُوءُ الْأُسُوءَةُ الْعُظْمَى فِي ذَلِكَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَّقُهُ أَصْحَابُهُ، وَيُؤَاسِيهِمْ، وَيُطِيبُ خَوَاطِرَهُمْ، وَيُرَاعِي مَشَاعِرَهُمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [?] قَالَ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَشْهَدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا. قَالَ: «أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا...» [الْحَدِيثُ (117)]

وَفِي هَذِهِ الْبُشْرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرٍ مَا يُنْبِئُ قَلْبَهُ، وَيُرِيلُ انْكِسَارَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ.

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَا أَعْتَمِدُ بِكَفِيدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ - فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ جِئِن رَأَيْتِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِِي، ثُمَّ قَالَ: «أَبَا هُرَيْرَةَ»، قُلْتُ: لَنَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ»، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ... وَفِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «فَأَخَذَ رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَبَسَ، فَقَالَ: أَبَا هُرَيْرَةَ اشْرَبْ. فَشَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ: اشْرَبْ. فَلَمْ أَزَلْ أَشْرَبُ وَيَقُولُ: اشْرَبْ، حَتَّى قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلُكًا». (118)

وَمَنْ تَتَبَعَ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ وَجَدَهَا حَافِلَةً بِالْمَوَاقِفِ الْمُشْرِقَةِ فِي مُرَاعَاةِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَشَاعِرِ أَصْحَابِهِ، وَجَبْرِ خَوَاطِرِهِمْ، وَتَطْيِيبِ قُلُوبِهِمْ.

عِبَادَ اللَّهِ:

كَمْ مِنْ حَزِينٍ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُرَاعِي مَشَاعِرَهُ، وَيَجْبُرُ خَاطِرَهُ بِكَلِمَاتٍ حَانِيَةٍ تُضَمِّدُ جِرَاحَ قَلْبِهِ، وَكَمْ مِنْ مَظْلُومٍ بِأَمْسٍ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يَقِفُ مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِهِ، وَيُخَفِّفُ عَنْهُ مَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ أَلَمِ الظُّلْمِ وَالْقَهْرِ، وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى يَتَمَتَّى أَنْ يَجِدَ أَخًا صَادِقًا يُصَبِّرُهُ فِي بَلَائِهِ، وَيُقَوِّيه، وَيَشُدُّ أَرْزَهُ، وَيُسَلِّيه، وَيُعِينُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَكَمْ مِنْ مَهْمُومٍ وَمَكْرُوبٍ أَثْقَلَتْهُ الْمَصَائِبُ وَالْخُطُوبُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَتَفَقَّدُ مَشَاعِرَهُ، وَيَقِفُ مَعَهُ وَيُؤَازِرُهُ، ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)). (119)

وَقَدْ عَلَّمَنَا دِينُنَا أَنْ نَنْصُرَ الْمَظْلُومَ، وَنُؤَايِيَ الْمَكْلُومَ، وَنُعْطِيَ الْمَحْرُومَ: {وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَتَفَقَّدُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ إِذْ غَلَبَ عَلَى أَهْلِهَا الْأَثَرَةُ وَطُغْيَانُ حُبِّ الذَّاتِ، وَهِيَ مِنْ أَسْبَابِ تَفَكُّكِ الْأَسْرِ، وَتَقَطُّعِ الْعَلَاقَاتِ، وَنُشُوءِ الْخِلَافَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ، تَفَقَّدُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ عِنْدَ أَهْلِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ، الْفُظَّةِ الْغَلِيظَةِ، سَيِّئَةِ الطَّبَاعِ وَالْأَخْلَاقِ، عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ.

(118) أخرجه البخاري في صحيحه، (6087).

(119) أخرجه مسلم في صحيحه، (2699).

الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ ... جِسْرُ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَكُونُ عِنْدَهُ دُخْرًا، أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَنْ يَنْتَقُوا مِنَ الْكَلِمَاتِ أَطْيَبَهَا، وَمِنَ الْأَلْفَافِ أَوْفَقَهَا، وَمِنَ الْأَقْوَالِ أَحْسَنَهَا (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) [الإسراء: 53]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُرُوءَةِ وَدَلَالِلِ الْإِيمَانِ، وَمَنْ أَعْظَمَ مَا يَبْعِدُ الْمَرْءَ عَنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ رِضَى الرَّحْمَنِ، تَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ عَلَى صَاحِبِهَا، وَيَكْسِبُ بِهَا مَحَبَّةَ النَّاسِ، فَهِيَ عُثْرَانُ الْمَرْءِ، تَكْشِفُ عَنْ صِدْقِ قَلْبِهِ، وَتَدُلُّ عَلَى طَيِّبِ نَفْسِهِ وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ؛ إِنَّهَا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْأَمْرُ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ فِي مَوَاضِعَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: 83]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: 70]، ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء: 59]، ﴿ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء: 28]، ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: 23]، وَالْمُتَأَمِّلُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَلْحَظُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَجَّهَ عِبَادَهُ إِلَى انْتِقَاءِ أَحْسَنِ الْأَقْوَالِ، وَأَطْيَبِ الْكَلِمَاتِ، وَأَجْمَلَ الْأَلْفَافِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَقَامٍ؛ فَالْقَوْلُ الْحَسَنُ هُوَ مَا جَمَعَ بَيْنَ حُسْنِ اللَّفْظِ، وَجَمَالِ الْمَعْنَى، وَصِدْقِ الْمَقْصِدِ، وَلِينِ الْأَسْلُوبِ؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَغْرِسُ الْمَحَبَّةَ، وَيَزْرَعُ الْأَلْفَةَ، وَيُطْفِئُ نَارَ الشَّيْطَانِ وَتَحْرِيشَهُ بَيْنَ النَّاسِ: رُقْيُ الْكَلِمَاتِ، وَرِفْقُ الْعِبَارَاتِ، وَلِينُ الْخِطَابِ.

إِخْوَةُ الْإِسْلَامِ:

أَلَسَنَةُ النَّاسِ فِيهَا ثُعَرَاتٌ يَصْطَادُ بِهَا الشَّيْطَانُ، وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ يَسُدُّ هَذِهِ الثُّعَرَاتِ، وَيَقْوِي بِهَا الْأُخُوَّةَ، وَيُعَلِّقُ أَبْوَابَ الشَّقَاقِ وَالْخِصَامِ. الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَخْرُجُ إِلَّا مِنْ طَابِ خُلُقِهِ، وَصَفَا قَلْبِهِ، وَزَكَتْ نَفْسُهُ، وَحَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ، وَمَنْ كَمَلَ عَقْلُهُ حَسَنَ لَفْظُهُ، وَإِذَا شَرَفَ الْخُلُقُ لَطَفَ النُّطْقُ.

إخوة الإيمان:

وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِالْحَدِيثِ عَلَى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ، قَالَ ﷺ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (120)، وَقَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيْكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (121)، وَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (122)، وَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ مُوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ» (123).
تَأَمَّلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ كَيْفَ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ شَأْنِ الْكَلِمَةِ، وَبَيَّنَ لَنَا عَظِيمَ مَنْرِ لَتِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

مَا أَكْثَرَ مَا تَقَارَبَ النَّاسُ بِلُطْفِ الْعِبَارَةِ، وَتَفَرَّقُوا لِخُسُوفَةِ الْكَلِمَةِ الْجَارِحَةِ؛ فَالْكَلِمَةُ مِفْتَاحُ الْقُلُوبِ، فَمَا أَنْ يُفْتَحَ بِهَا وَدٌّ، أَوْ يُغْلَقَ بِهَا بَابٌ لَا يُفْتَحُ.
سَمُّوْ الْعِبَارَاتِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ صَفَاءِ الْعَلَاَقَاتِ، الْكَلِمَةُ جِسْرٌ بَيْنَ الْأَفْوَاهِ؛ فَإِنْ كَانَتْ طَيِّبَةً قَرَّبَتْ، وَإِنْ كَانَتْ قَاسِيَةً قَطَعَتْ.
اللَّهُمَّ اهْدِنَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَاهْدِنَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.
الخطبة الثانية:
الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إخوة الإيمان:

الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَبْدَأُ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ، مَعَ الْوَالِدَيْنِ، وَبَيْنَ الرُّوَجَيْنِ، وَمَعَ الْأَوْلَادِ؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ دَاخِلُ الْبَيْتِ تُشَيِّعُ الْمَوَدَّةَ، وَتَنْشُرُ الْأَلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ، وَتُسَهِّمُ فِي اسْتِقْرَارِ الْأُسْرَةِ وَدَوَامِ الْعِشْرَةِ، ثُمَّ تَنْسُجُ صَدَقَةَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ مَعَ أَرْحَامِكَ وَجِيرَانِكَ وَأَصْدِقَائِكَ، مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ. ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة]؛ اجْعَلْهَا شِعَارَكَ وَعُنْوَانَكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ صَلَاحَ اللِّسَانِ مِنْ صَلَاحِ الْقَلْبِ؛ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْسِنْ كَلَامَكَ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يُعْرَفُ بِمَنْطِقِهِ، فَعَوْدُ لِسَانِكَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ خُلُقًا وَسَجِيَّةً، ثُلَازُكَ فِي بَيْتِكَ وَعَمَلُكَ وَسُوقُكَ وَمَجْلِسُكَ، مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَمَعَ مَنْ يَخْتَلِفُ مَعَكَ.
اللَّهُمَّ اهْدِنَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَاهْدِنَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

120) أخرجه البخاري في صحيحه، (2827).

121) أخرجه مسلم في صحيحه، (1016).

122) أخرجه البخاري في صحيحه (5672).

123) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، (469)، وصححه الألباني في الصَّحِيحَةِ: (1035).

الْقَنَاعَةُ... سِرُّ السَّعَادَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف:32]، كَتَبَ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ رِزْقَهُ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَهِيَ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا } { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } [الطلاق:4].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّهَا كُنْزٌ مَعْنَوِيٌّ عَظِيمٌ يَتَحَقَّقُ بِهَا الرِّضَا وَالْفَلَاحُ، مَنْ وَفَّقَ إِلَيْهَا اسْتَعْنَى وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالرِّضَا وَسَلِمَ مِنَ النَّسَخِ وَالشُّكُوى، فَهِيَ سِرُّ الْغِنَى الْحَقِيقِيِّ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ يَزِدْهُ الْمَالُ غِنًى، وَإِنْ فَاضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا إِنَّهَا الْقَنَاعَةُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: «وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ» (124).

فَلَمْ يَقُلْ ﷺ: مَنْ كَثُرَ مَالُهُ أَوْ عَظُمَ جَاهُهُ، بَلْ قَالَ: مَنْ رَضِيَ، فَالْقَلْبُ الرَّاغِبِي هُوَ الْغِنَى، وَلَوْ خَلَتْ يَدُهُ مِنْ كُلِّ زِينَةِ الدُّنْيَا. قَالَ ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كِفَافًا وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ» (125).

فِي الْقَنَاعَةِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، رَاحَةُ الْبَالِ وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ، وَسَكُونُ النَّفْسِ؛ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْغِنَى الْحَقِيقِيِّ، فَإِنَّ الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، قَالَ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (126)؛ فَالْقَنَوعُ أَهْلُ النَّاسِ عَيْشًا وَأَسْلَمُهُمْ قَلْبًا، فَمَنْ غَنِيَ قَلْبُهُ غَنِيَتْ يَدَاهُ، وَمَنْ أَفْقَرَ قَلْبُهُ لَمْ يَنْفَعْهُ غِنَاهُ، وَمَنْ قَنَعَ لَمْ يَتَسَخَّطْ بِلِ عَاشٍ أَمَّا مُطْمَئِنًّا، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ لَمْ تَهْدَأْ رَغْبَتُهُ فِيمَا فَاتَهُ، بَلْ يَكُونُ أَسِيرَ الْحَسْرَةِ وَاللَّدَمِ.

أَوْصَى أَحَدُ الْحُكَمَاءِ ابْنَهُ فَقَالَ: "يَا بُنَيَّ، إِذَا طَلَبْتَ الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَنَاعَةٌ لَمْ يُغْنِهِ مَالٌ"، مَنْ لَمْ يَقْنَعْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَزْدَادَ قَلْفَهُ وَتَسَخَّطَهُ، وَحَرَّمَ مِنَ الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، فَلَا يَرْضِيهِ طَعَامٌ يُشْبِعُهُ وَلَا لِبَاسٌ يَلْبِسُهُ وَلَا مَرْكَبٌ يَحْمِلُهُ وَلَا بَيْتٌ يُؤْوِيهِ.

124) أخرجه الترمذي في سننه، (2305)، وحسنه الألباني.

125) أخرجه مسلم في صحيحه، (1054).

126) أخرجه البخاري في صحيحه، (6081).

مَا الَّذِي يَجْعَلُ قُلُوبًا يَهْنَأُ وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُهُ، وَآخِرُ يَضِيقُ قَلْبُهُ وَإِنْ فَاضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا؟
كَمْ مِنْ غَنِيٍّ ضَاقَ صَدْرُهُ رَغْمَ سَعَةِ مَا يَمْلِكُ، وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ أَشْرَقَتْ نَفْسُهُ وَهُوَ لَا يَجِدُ إِلَّا
قُوتَ يَوْمِهِ.

مَا أَحْوَجُنَا، عِبَادَ اللَّهِ، إِلَى الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَنَا فِي زَمَنِ تَكَالَبَ فِيهِ كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْعَمَسُوا فِي شَهَوَاتِهَا، وَكَثُرَ فِيهِ النَّسَخُطُ وَالشُّكُوى، وَضَعُفَ فِيهِ
الْيَقِينُ. فَالطَّمَأْنِينَةُ وَرَاحَةُ الْبَالِ لَا تُفَاسِدُ بِنَا فِي الْيَدِ، بَلْ بِمَا فِي الْقَلْبِ، {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ
إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَى {
[طه:131].

اللهم قنعنا بما رزقنا وبارك لنا فيه، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

عباد الله:

وَمِنْ سُبُلِ تَحْصِيلِ الْقَنَاعَةِ: الْيَقِينُ بِأَنَّ الرِّزْقَ مَكْتُوبٌ، وَالْإِيمَانُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَّاقُ، كَتَبَتْ الْأَرْزَاقُ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الْعِبَادُ، ((وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا
وَأَجَلَهَا)). (127)

وَمِنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِهَا أَيْضًا أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، قَالَ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى
مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ». (128)

وَمِنْ أَسْبَابِ تَحْصِيلِهَا أَيْضًا الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الْقَنَاعَةَ. وَمِنْ الدُّعَاءِ
الْمَأثور: «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ». (129)

وَتَرْبِيَةُ النَّفْسِ عَلَى الْاِقْتِنَادِ فِي الْإِنْفَاقِ، وَعَدَمِ الْإِسْرَافِ وَالتَّبَذِيرِ، وَالْاِعْتِقَادُ بِأَنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ جَعَلَ التَّفَاوُتَ فِي الْأَرْزَاقِ بَيْنَ النَّاسِ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف:32].

وَأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْفَقْرَ وَالْغِنَى ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ. وَلِيَقْرَأَ الْمَرْءُ سِيرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ
أَعْظَمُ نُمُودَجٍ فِي الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا.

127) أخرجه ابن ماجه في سننه، (2144)، وصححه الألباني.

128) أخرجه مسلم في صحيحه، (2963).

129) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، (29633).

إِفْشَاءُ السَّلَامِ... مِفْتَاحُ الْمَحَبَّةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} (٧٠) {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} (٧١) { [الأحزاب: 71].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، حَنَّتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ، وَهُوَ عَلَامَةُ نَقَاءِ السَّرِيرَةِ، وَتَرْكِ الْهَجَرِ وَالشُّحْنَاءِ وَالْقُطَيْعَةِ، مِفْتَاحُ الصِّفَاءِ وَبَابُ عَوْدَةِ الْإِخَاءِ، فَتَحَ لِبَابِ الْأَنْسِ وَالْمَوَدَّةِ، وَسَبَبُ لِلْأَلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ، حَفَلْ بِذِكْرِهَ الْقُرْآنُ، وَرَزَى اللَّهُ هَذِهِ التَّحِيَّةَ وَوَسَمَهَا بِالْبَرَكَةِ وَالْأَمَانِ، وَأَمَرَنَا بِالْقَائِمَةِ وَأَنْ لَا نَعْدِلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ} [النور: 61].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِفْشَاءُ السَّلَامِ حَقٌّ دَعَا إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ عِظَمِ شَأْنِ السَّلَامِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِالسَّلَامِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ» (130)، وَهُوَ تَحِيَّةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب]، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: {سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ}، {وَتَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ} {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [يونس: 10].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ السَّلَامَ حَقًّا مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ فِي الْحَدِيثِ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، وَذَكَرَ مِنْهَا قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» (131)، وَجَعَلَ الْبِدَايَةَ بِهِ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ وَسَبَبًا لَوْلَايَتِهِ «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمُ بِالسَّلَامِ» (132)، «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» (133). وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ طَرِيقٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالتَّأَلُّفِ «أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟

130) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (21184).

131) أخرجه أحمد في مسنده (8845)، وصححه الأرناؤوط.

132) أخرجه أبو داود في سننه، (5197)، وصححه الألباني.

133) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (21293).

أَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (134)، وَإِفْسَاءُ السَّلَامِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى خَيْرِيَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَيَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عُرِفَ وَمَنْ لَمْ يُعْرَفْ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُسَلِّمُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ، وَهَذَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ» (135).

عِبَادَ اللَّهِ:

وَإِفْسَاءُ السَّلَامِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْمُشَافَهَةِ، بَلْ يَكُونُ كَذَلِكَ كِتَابَةً، وَيَجِبُ رَدُّهُ إِذَا بَلَغَ، فَذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُ الْمَحَبَّةَ وَيُوثِّقُ الْمَوَدَّةَ. وَيَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَى السَّلَامِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، وَلَا سِيَّامًا فِي بَدْءِ الْمُكَالِمَاتِ وَخَتَامِهَا، كَمَا يُشْرَعُ السَّلَامُ عِنْدَ الْفَيْامِ مِنَ الْمَجْلِسِ، فَالسَّلَامُ عِنْدَ الْفَيْامِ وَالْفِرَاقِ سُنَّةٌ جَامِعَةٌ لِلْأَجُورِ، نَاشِئَةٌ لِلْأَلْفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلْيَسِتِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ» (136).

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هَذِهِ شَعِيرَةُ السَّلَامِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا، فَلْنُحْيِهَا فِي مُجْتَمَعِنَا عَلَى مَنْ عَرَفْنَا وَمَنْ لَمْ نَعْرِفْ، وَلْنَعْلَمُهَا أَهْلِيْنَا وَأَوْلَادِنَا بِأَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا مَعَهُمْ، وَأَنْ نَجْعَلَهَا عَلَى أَلْسِنَتِنَا عِنْدَ دُخُولِنَا وَخُرُوجِنَا فِي مَسَاجِدِنَا وَبُيُوتِنَا وَمَجَالِسِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَأَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ فِي اتِّصَالَاتِنَا وَمُرَاسَلَاتِنَا، وَأَنْ لَا نُبَدِّلَهَا بِغَيْرِهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْبُخْلَ بِالْقَاءِ السَّلَامِ أَمَارَةٌ عَلَى غِلْظِ الطَّبْعِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَآفَةٌ قَلْبِيَّةٌ مَصْدَرُهَا كِبَرٌ أَوْ جَفْدٌ أَوْ بَغْضَاءٌ أَوْ جَهْلٌ، يَنْتُجُ عَنْهَا التَّهَاجُرُ وَالْوَحْشَةُ وَالْجَفَاءُ، وَتَنَافُرُ الْقُلُوبِ، وَضَعْفُ رَوَابِطِ الْمَحَبَّةِ، وَزَوَالُ الْبَرَكَاتِ مِنَ الْمَجَالِسِ وَالْعَلَقَاتِ. فَأَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَنَالُوا رِضًا رَبِّكُمْ، وَتُحْيُوا الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِكُمْ، فَتَنَالَفَ الْقُلُوبُ، وَتَطَهَّرَ النُّفُوسُ، وَتَجَلَّ السَّكِينَةُ، وَتَتَنَشَّرَ الطَّمَانِينَةُ، وَتَذْهَبَ الْأَحْقَادُ، وَتَنْقَطِعَ أَسْبَابُ الْجَفَاءِ وَالتَّبَاعَدِ، وَتَعُودَ الْبَرَكَاتُ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْعَلَقَاتِ؛ فَالسَّلَامُ عُنْوَانُ الْأُخُوَّةِ، وَمِفْتَاحُ الْأَلْفَةِ، وَسَبِيلُ الرِّضْوَانِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحْيَاهُ، وَسَعِدَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

134) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (20489).

135) أخرجه أحمد في مسنده (3848)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

136) أخرجه أبو داود في سننه (5208)، وحسنه الألباني.

الأخوة الإيمانية... حق واجب

الحمد لله، الذي أَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَهُمْ إِخْوَانًا، وَعَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرُ الْوَصَايَا وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا تَقْوَى اللَّهِ { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: 131].

إخوة الإيمان:

وَاجِبٌ أَكَّدَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَوَصَفَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ، أَلَا وَهُوَ وَاجِبٌ تَنْمِيَةِ الْأَخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ؛ فَمِنْ عَظَمِ الْأَخُوَّةِ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا الْوَصْفَ الْأَكْمَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ لِثَبَّتِ عَظَمَ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات: 10]، وَمِنْ لَوَارِمِ هَذِهِ الْأَخُوَّةِ: الْاهْتِمَامُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّرَاحُمُ وَالتَّعَاطُفُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: 29]، وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثَلُ جَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى الرَّأْسُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». (137)

فَأَهْلُ الْإِيمَانِ يَسْتَشْعِرُونَ آلامَ بَعْضِهِمْ وَمَصَائِبَهُمْ بِالْعَوْنِ، وَمُسَاعَدَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، كُلُّ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ، وَلِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحُقُوقِ بِذِكْرِهِ هَذَا الْوَصْفَ، وَهُوَ وَصْفُ الْأَخُوَّةِ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ». (138)

عباد الله:

الْمُؤْمِنُ لَا يَعِيشُ لِنَفْسِهِ فَقَطْ، بَلْ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ وَيُؤَاسِي إِخْوَانَهُ فِي مَصَائِبِهِمْ، وَيَهْتَمُّ بِمُسَاعَدَةِ الْأَخْرَيْنَ وَبِالْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِهِمْ فِي أَرْمَاتِهِمْ وَتَنْبِيئِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ؛ فَيَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ صِدْقُ الْإِخَاءِ الْإِيمَانِيِّ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالنَّاسِ، فَكَانَ يُؤَاسِي أَهْلَ الْعَذَابِ وَيُطْمَنِّنُهُمْ بِالْجَنَّةِ، كَمَا فَعَلَ مَعَ آلِ يَاسِرٍ «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ». (139)

إخوة الإيمان:

وَمِنْ وَاجِبَاتِ تَجَاهِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ الدُّعَاءُ لَهُمْ؛ فَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، يَسْتَدْفِعُ بِهِ الْبَلَاءَ، وَيَرُدُّ بِهِ سُوءَ الْقَضَاءِ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [?] قَالَ: ((لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَنِيفٍ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ، فَاسْتَقْبَلَ

137) أخرجه البخاري في صحيحه، (5665).

138) أخرجه البخاري في صحيحه، (2310).

139) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، (140/1).

النَّبِيُّ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي؟ اللَّهُمَّ أَنْجِرْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَلَا تُعْبَذُ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا"، فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ [9]، وَيَدْعُوهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَرَدَّاهُ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَذَاكَ مُنَاسِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ [9]: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُّمِدِّكُمْ بِالْفِأَفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال:9]، فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ». (140)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَصُدِّقَ اللَّهَ فِي دُعَائِنَا، وَنَلْجَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَرْفَعَ مَا نَزَلَ بِإِخْوَانِنَا، بِقُلُوبٍ مُمْتَلِئَةٍ بِالثِّقَةِ وَالْيَقِينِ، وَأَنْ يُنْجِيَ اللَّهَ الْمُسْتَضْعِفِينَ الْمُسْتَظْهِدِينَ فِي سُجُودِنَا وَخَلَوَاتِنَا. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ سَيِّدُ الْمُتَأَثِّرِينَ بِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، هُوَ قُدُوثُنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ [9] قَالَ: ((كُنَا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَهُ قَوْمٌ غَرَاةٌ مُجْتَابِي الْيَمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، غَامَتْهُمْ مِنْ مُضَرٍ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍ، فَتَمَعَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، — بِمَعْنَى تَغَيَّرَتْ مَلَامِحُ وَجْهِهِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الْإِيمَانِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَشْعِرُ مَصَائِبَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ فَتَبَدُّوْا عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِهِ — فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ — حَتَّى قَالَ — وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ — فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعَجَّرُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهِبَةٌ)) (141)؛ يَعْنِي: قُطْعَةٌ مُطْلَبَةٌ بِالذَّهَبِ. وَمِمَّا حَزَنَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حُزْنًا شَدِيدًا، أَنَّهُ ظَلَّ يَقْنُتُ شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْفُرَاءُ السَّبْعُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا وَجَدَ عَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ قُتِلُوا، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ مَصَائِبَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، ((فَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ)). (142)

140) أخرجه مسلم في صحيحه، (1763).

141) أخرجه مسلم في صحيحه، (1017).

142) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، (1/ 151).

حُسْنُ الْجَوَارِ ... خُلُقُ الْكِرَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَمَرَ عِبَادَهُ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَأَحَبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ كَالنَّبِيِّانِ، وَأَمَرَ أَنْ تُؤْتِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَمَنْ قَامَ بِهِ آتَاهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَجَعَلَهُ مَحْبُوبًا عِنْدَ خَلْقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَالْوَصِيَّةُ بِنُفُوزِ اللَّهِ هِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: 131]. اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

حُقُوقُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُقُوقِ وَآكِدَهَا، وَأَدْبِئْتُهُ مِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ وَكَبَائِرِهَا، إِكْرَامُهُ مِنْ سِمَاتِ الْأَبْرَارِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ كَمَالِ الْإِيمَانِ، إِنَّهُ حُسْنُ الْجَوَارِ وَإِكْرَامُ الْجَارِ. إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلْجَارِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

يَهْدَفُ الْإِسْلَامُ إِلَى إِقَامَةِ مُجْتَمَعٍ مُتَمَاسِكٍ قَوِيٍّ الْبِنَاءِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، تَسْمُو بَيْنَ أَهْلِهِ رُوحُ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ، يَشْعُرُ بَعْضُهُمْ بِشُعُورِ بَعْضٍ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مِثْلُ جَسَدٍ وَاحِدٍ، إِذَا اسْتَكَى الرَّأْسُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى» (143). وَتَحْقِيقًا لِهَذَا الْأَمْرِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ، وَإِصَالَ الْخَيْرِ إِلَيْهِ، وَكَفَّ الْأَدَى عَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَلَّمِ الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ مَعَ الْأُسْرَةِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ، لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ الْأُسْرَةِ الْكَبِيرَةِ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَيْرٌ لِأَهْلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ لغيرِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَمْنَحْ أَهْلَهُ الْفَضْلَ وَالْمَعْرُوفَ وَالْإِحْسَانَ، فَلَنْ يَكُونَ مِنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

وَلِعَظَمِ حَقِّ الْجَارِ جَاءَتْ وَصِيَّةُ اللَّهِ بِهِ مَقْرُونَةً بِتَوْجِيدِهِ وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ [النساء: 36]. وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ تَحْتُ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّ الْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُنِي» (144)، «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ

143 () أخرجه البخاري (5665).

144 () أخرجه البخاري في صحيحه، (5669).

جَارُهُ» (145). «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ» (146)، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». (147)

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الدِّيَارَ لَا تَقَاسُ حَقِيقَةَ بَيْتَانِهَا، وَإِنَّمَا تَعْلُو وَتَرُخُّصُ بِجِيرَانِهَا. اخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ جِيرَانًا تَجَاوَرُهُمْ لَا تَصْلُحُ الدَّارُ حَتَّى يَصْلُحَ الْجَارُ. وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى جَارِهِ نَزَلَتْ الْبَرَكَاتُ فِي دَارِهِ، وَحُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ، وَمَنْ قَفَذَتْ مُوَانِسَتُهُ ثَقُلَتْ مُجَاوَرَتُهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْجِيرَانِ تَتَحَقَّقُ الْمَحَبَّةُ وَالْأُلْفَةُ، وَتَحْصُلُ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَتَتَمَاسِكُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَتَرْوُلُ الْأَحْقَادُ وَالْأَضْعَانُ؛ فَالْمُؤْمِنُ يَهْتَمُّ بِإِخْوَانِهِ وَيُصْلِحُ صِلَاتَهُمْ وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ كَمَالَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ يَكْمُنُ فِي نَقْلِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ إِلَيْهِ، وَدَفْعِ الشَّرِّ وَالْأَذَى عَنْهُ وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ (148)، فَوَا عَجَبًا لِمَنْ يَضْطَرُّ جَارُهُ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ. وَالْمُؤْمِنُ إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا الْإِذْعَانُ وَالتَّسْلِيمُ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب: 36]، فَإِذَا كَانَ حَقُّ الْجَارِ قَدْ عَظُمَ فِي شَرِّعِنَا، وَتَكَثَّرَتْ فِيهِ وَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ، فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ طَرِيقَةً حَيَاتِيَّةً، يُحْسِنُ إِلَى جَارِهِ، وَيَكْفُ عَنْهُ أَذَاهُ، وَيَحْمِلُ لَهُ فِي قَلْبِهِ الْخَيْرَ وَالْدُّعَاءَ، لِيَكُونَ مِنَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي طَاعَتِهِمْ، وَامْتَنَلُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ. فَطُوبَى لِمَنْ أَكْرَمَ جَارَهُ طَاعَةً لِلَّهِ، وَنَالَ بِذَلِكَ رِضَا رَبِّهِ، وَأَسْهَمَ فِي صَلَاحِ بَيْنِهِ وَمُجْتَمَعِهِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ إِلَى جِيرَانِنَا، الْقَائِمِينَ بِحُقُوقِهِمْ.

145) أخرجه البخاري في صحيحه، (5673).

146) أخرجه مسلم في صحيحه، (47).

147) أخرجه مسلم في صحيحه، (45).

148) أخرجه النسائي في سننه، (8/ 274): بلفظ «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَايَةِ

يَتَحَوَّلُ عَنْكَ».

مَالَاتِ هَمِّ الدُّنْيَا وَهَمِّ الْآخِرَةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَغِيثُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَ أَهْلَهَا بِالْبُشْرَى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٦٢) (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ وَتَنْتَرَكِي بِهِ النُّفُوسُ حَدِيثٌ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى؛ حَيْثُ النُّورُ وَالْحَقُّ وَالْهُدَى؛ فَحَدِيثُهُ مِنْهُجُ حَيَاةٍ، وَطَرِيقُ نَجَاةٍ، لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، نَقَفَ وَإِيَّاكُمْ مَعَ قَبَسٍ مِنْ كَلَامِهِ ﷺ: قَلِيلٌ فِي مَبَانِيهِ، عَمِيقٌ فِي ذِلَالَاتِهِ وَمَعَانِيهِ؛ حَيْثُ يُبَيِّنُ لَنَا حَقِيقَةَ الْهَمِّ وَعَاقِبَةَ صَاحِبِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ، جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ)) (149).

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

جَعَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِ الْهَمِّ الْآخِرِيِّ ثَلَاثَ مَنَحٍ يَتَّقِي ظِلَالَهَا: الْأُولَى: أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَمْعُ الشَّمْلِ هُوَ الْاجْتِمَاعُ بِكُلِّ مَا يَغْنِيهِ مِنْ عُمُومٍ، يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَى صَاحِبِ الْهَمِّ الْآخِرِيِّ قَلْبَهُ وَفِكَرَهُ وَمَقْصِدَهُ وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَقَرِيبَهُ وَصَدِيقَهُ وَأَهْلَهُ وَتِجَارَتَهُ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ، وَيَكْتُبُ لَهُ الْقَبُولَ. وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَهَذَا هُوَ الْغِنَى الْحَقِيقِيُّ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)) (150)، غِنَى الْقَلْبِ يَا عِبَادَ اللَّهِ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ)) (151)، غِنَى الْقَلْبِ عَزِيزٌ فِي دُنْيَا النَّاسِ، شَرِيفٌ بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَعَفَّ بِغِنَاهُ عَمَّا فِي أَيْدِي الْآخَرِينَ.

149) أخرجه أحمد في مسنده، (21590) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

150) أخرجه أحمد في مسنده، (21590) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

151) أخرجه أحمد في مسنده، (8095) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

وَتَالِثُ نِعْمَةٍ يَلْقَاهَا صَاحِبُ الْهَمِّ الْآخِرُوي: هِيَ مَجِيءُ الدُّنْيَا لَهُ وَهِيَ رَاغِمَةٌ، فَيَأْتِيهِ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَيَجْعَلُ لَهُ رَبُّهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يُسْرًا، فَيُوقِفُ فِي دُنْيَاهُ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ، كَافَأَهُ رَبُّهُ بِنَظِيرِ قَصْدِهِ؛ فَلَمَّا جَرَدَ هَمَّهُ لِلْآخِرَةِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هَمُّ الْآخِرَةِ مَبْدَأُ رَبِّي النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ؛ فَكَانَ يَغْرُسُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ هَذَا الْهَمَّ، فَكَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا يُسْمِعُ أَصْحَابَهُ: لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ، {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: 19].
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَأَمَّا صَاحِبُ هَمِّ الدُّنْيَا فَيُعَاقَبُ بِثَلَاثِ عُقُوبَاتٍ:
الأولى: أَنْ يُشَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، فَتَرَاهُ هَائِمَ الْفِكْرِ، مُضْطَرِبَ النَّفْسِ، كَثِيرَ الْقَلَقِ، يُصْبِحُ وَيُمْسِي مُشَقِّبًا نَفْسَهُ.
والعقوبة الثانية: يَجْعَلُ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، لَا يَعِيشُ حَيَاةَ الْقَنَاعَةِ أَبَدًا، يَرَى خَطَرَ الْفَقْرِ مَاتِلًا أَمَامَهُ، وَمُخَيِّمًا عَلَى خَاطِرِهِ، هَلَعٌ شَدِيدٌ مِنْ خَوْفِ ضِيَاعِ الْمَالِ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ.

وَأَمْرٌ ثَالِثٌ يَلَاقِيهِ صَاحِبُ هَذَا الْهَمِّ: أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، فَهُوَ وَإِنْ تَعَنَّى وَكَدَحَ فَلَنْ يَسْتَعْجَلَ أَوْ يَزِيدَ فِي رِزْقِ اللَّهِ لَهُ، بِهَذَا نَفَذَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رُوحِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ)). (152)
أَصْحَابُ هَذَا الْهَمِّ اسْتَعَاذَ مِنْ خَالِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا)). (153)

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ.
هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَجَمَكُمْ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلٌّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ٥٦ { [الأحزاب: 56]

152) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، (21167).

153) أخرجه الترمذي في سننه: (3502)، وحسنه الألباني.

التَّئِبْتُ فِي الْأُمُورِ... صِيَانَةُ لِلْمَرْءِ مِنَ الزَّلَلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ، وَقَالَ قَوْلًا سَدِيدًا يَلْتَمِسُ فِيهِ رِضَاهُ، أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَهُ وَيُصْلِحَ أَعْمَالَهُ وَيُحَسِّنَ عَاقِبَتَهُ وَمَالَهُ، فَأَلْكَمَهُ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَرْفَعُ صَاحِبَهَا فِي الْجَنَّةِ دَرَجَاتٍ، وَالْكَلِمَةُ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ دَرَكَاتٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} ٧٠ {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} ٧١ { [الأحزاب: 70-71].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

أَمْرٌ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَبِهِ يُعْرَفُ دِينُ الْمَرْءِ وَعَقْلُهُ، وَرَزَانَتُهُ وَوَعْيُهُ، فِيهِ صِيَانَةُ لِلْمَرْءِ مِنَ الزَّلَلِ وَالنَّدَمِ، إِنَّهُ التَّئِبْتُ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّحَرِّيَ مِنْ صَحَّةِ الْخَبَرِ قَبْلَ نَشْرِهِ.

وَتَزْدَادُ أَهَمِّيَّةُ التَّئِبْتُ يَا عِبَادَ اللَّهِ وَتَعْظُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي زَمَنِ وَقُوعِ الْفِتَنِ وَاضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ، فِي زَمَنِ تَنَوَّعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ وَالِاتِّصَالَاتِ، فِي زَمَنِ صَارَ تَحْقِيقُ السَّبْقِ فِيهِ مَطْمَعًا لِضَعْفَاءِ الْعُقُولِ، وَلِكُلِّ مَفْتُونٍ يَتَخَطَّفُ الْأَخْبَارَ وَيُسَارِعُ فِي إِرسَالِهَا، لِيُفَاجِرَ بِأَنَّهُ حَازَ السَّبْقَ فِي نَشْرِهَا، وَكُلَّمَا كَثُرَ جَهْلُ الْمَرْءِ وَخَفَّتْ عَقْلُهُ، وَضَعُفَتْ إِيْمَانُهُ وَقَلَّ وَرَعُهُ، كَانَ أَشَدَّ وَاجِرًا وَأَسْرَعَ فِي النَّشْرِ، يَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ: { وَتَحَسِّبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } [النور: 15].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَانَ اللِّسَانُ فِيمَا مَضَى هُوَ مَلِكُ النَّيَّانِ، أَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ تَحَوَّلَ مِنَ اللِّسَانِ إِلَى الْأَصَابِعِ وَالْأَنَامِلِ، فَصَارَتْ أَصَابِعُ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ تَتَحَدَّثُ أَكْثَرَ مِنَ أَلْسِنَتِهِمْ بِمَا فُتِحَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَسَائِلِ الْإِتِّصَالِ وَالتَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ؛ حَتَّى غَدَتْ أُنَامِلُ الْمَرْءِ صُورَةً لِفِكْرِهِ وَعَقْلِهِ، وَمَا لَمْ يَكُنِ الْمَرْءُ يَتَجَرَّأُ عَلَيْهِ بِشَفَقَتِهِ تَجَرَّأَ عَنْهُ بِأُنَامِلِهِ؛ لِسَهُولَةِ تِلْكَ الْوَسَائِلِ، مِمَّا أَفَرَزَ غِيَابًا لِهَيْبَةِ الْكَلِمَةِ وَعَدَمَ اسْتِشْعَارِ عَظَمَتِهَا وَخَطُورَتِهَا، وَمَا أَيْسَرَهَا عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ، وَمَا أَنْفَلَهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَلْكَمَهُ مَسْئُولِيَّةً وَأَمَانَةً: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ لِرَبِّهِ طَائِرُهُ فِي عُنْفُوَةٍ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا} ١٣ { أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } ١٤ { [الإسراء: 13-14]: { فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة: 79].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ اسْتِحْضَارَ الْمَرْءِ حَرَكَةَ أَقْلَامِ الْحَافِظِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ وَتَقْيِينَهُ بِاطِّلَاعِهِمْ عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ كَفِيلٌ بِاسْتِحْيَائِهِ مِنَ اللَّهِ ثُمَّ مِنْهُمْ: {وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحِظَاتٌ

﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ { [الانفطار: 10-12]: } هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { [الجاتية: 29].
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ:

وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَا يَبْلُغُهُ، وَكَمْ مِنْ نَاصِحٍ يَنْشُرُ الْإِثْمَ بِجَهْلِهِ، فَإِنْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْبِدْعِ مَنْ يَنْشُرُ غَيْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ فِي صُورَةٍ مَنْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، فَيُشْبِعُونَ أَحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ وَقِصَصًا مَكْذُوبَةً وَأَعْمَالًا غَيْرَ مَشْرُوعَةٍ فَيَتَلَقَّفُهَا جُهَالٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَتَسَرَّعُونَ فِي نَشْرِهَا مُحْتَسِبِينَ أَجْرَهَا فَيَبْذُرُونَ بِإِثْمِهَا، وَكَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا وَإِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَيُنْسِ مَطْيَةَ الرَّجُلِ "قَالُوا وَزَعَمُوا": {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا { [الإسراء: 36].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَإِنْ مِمَّا يَنْسَاهُلُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِرْسَالُ مَقَاطِعَ تَحْتَوِي عَلَى مُخَالَفَاتٍ شَرِّعِيَّةٍ فَيَبْذُرُونَ بِإِثْمِهَا وَوزَرَهَا وَوزَرِ مَنْ عَصَى اللَّهَ بِسَبِّبِهَا: {وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ { [العنكبوت: 13]، فَخَفِّ يَا عَبْدَ اللَّهِ ظَهْرَكَ فَإِنَّ الْعَقَبَةَ كُودٌ.

اهْتِمَامُ الْإِسْلَامِ بِطَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْأَبْدَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، وَأَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، نَحْمَدُهُ أَنْ هَدَانَا لِهَذَا الدِّينِ وَجَعَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، دِينٌ يَدْعُو إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَتَقَوَى اللَّهُ خَيْرُ الرِّزَادِ دُخْرًا { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } [سورة الطلاق: 4].

عِبَادَ اللَّهِ:

خَصَلَتْ مِنْ خِصَالِ الدِّينِ كَرِيمَةٍ، عَظِيمَةُ الْقَدْرِ حَثَّتْ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ، جَبَلَ اللَّهُ النَّفُوسَ عَلَى حُبِّهَا وَحُبِّ مَنْ انْتَصَفَ بِهَا؛ إِنَّهَا النَّظَافَةُ وَالطَّهَارَةُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. فِدِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، أَمَرَ بِطَهَارَةِ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالْمُسْلِمُ يَجْمَعُ بَيْنَ نَظَافَتَيْنِ وَطَهَارَتَيْنِ؛ فَمَعَ تَطْهِيرِ الْبَاطِنِ وَالْمُعْتَقِدِ أَمَرَ اللَّهُ بِتَطْهِيرِ وَتَنْظِيفِ الظَّاهِرِ وَالْحَسَنِ: {وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ} ٤٠ {وَالرَّجَزَ فَاهْجَزَ} ٥٠ { [المدثر: 4-5]، وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَالطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)) (154)، وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحَبَةِ اللَّهِ: { إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة: 222].

وَالْبَاطِنُ زِينَةٌ كَمَا لِلظَّاهِرِ زِينَةٌ، وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ)) (155)، وَالْقَلْبُ شَدِيدُ الصَّفَاءِ سَرِيعُ التَّأَثُّرِ، أَدْنَى مَعْصِيَةٍ تُؤَثِّرُ فِيهِ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُفِلَ مِنْهَا)) (156)؛ أَيْ أزيلَ مَا عُلِقَ بِهَا وَتَقَيَّتْ. وَكَمَا أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِطَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ وَاهْتَمَّ بِنَظَافَةِ الْإِنْسَانِ؛ حَثَّ عَلَى نَظَافَةِ الْبَيْتَةِ وَالْمَكَانِ، فَجَعَلَ إِمَامَةً الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهَا الْأَجْرَ الْعَظِيمَ وَالْمَغْفِرَةَ؛ قَالَ ﷺ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَجَدَ غُصْنًا شَجَرَةٍ - أَوْ غُصْنًا شَوْكٍ - فَأَخْرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ)) (157)، وَفِي رِوَايَةٍ: مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَقَالَ: ((وَاللَّهِ لَا تُجِيبُ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يُؤْذِيَهُمْ، فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ)) (158)، وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضِيلَةِ كُلِّ مَا فِيهِ نَفْعٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَإِزَالَةٌ الصَّرَرِ عَنْهُمْ وَمَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَلَا يَسْتَنْصِرُ الْمُسْلِمُ هَذَا الْعَمَلُ فَلَعَلَّهُ سَبَبٌ بِفَضْلِ اللَّهِ - لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالتَّقَلُّبِ فِي نَعِيمِهَا.

154) أخرجه مسلم في صحيحه، (223).

155) أخرجه النسائي في سننه (1305) وصححه الألباني.

156) أخرجه مسلم في صحيحه، (144).

157) أخرجه البخاري في صحيحه، (2340).

158) أخرجه مسلم في صحيحه، (1914).

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ مَظَاهِرِ الطُّهْرِ وَالْجَمَالِ وَالنَّظَافَةِ فِي تَوْجِيهَاتِ الْإِسْلَامِ الْحِرْصُ عَلَى الْوَقَايَةِ الْمُحْكَمَةِ فِي آدَابِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَوَّثَ بِهَا مَاءٌ عَامٌّ، وَلَا أَنْ يَتَنَجَّسَ بِهَا طَرِيقٌ أَوْ مُسْتَظَلٌّ؛ قَالَ ﷺ: ((اتَّقُوا الْمَلَاعِينَ الثَّلَاثَ: الْبِرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ)) (159)، وَفِي الْحَدِيثِ: ((مَنْ آدَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ)) (160)، وَالْمَفْصُودُ أَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِعِصَابِ اللَّهِ وَدَمِ النَّاسِ لِإِفْسَادِهِ الطَّرِيقَ وَحِرْمَانِهِ لَهُمْ مِنَ التَّمَتُّعِ فِي أَمَاكِنِ الرَّاحَةِ. وَيُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّ مَنْ يُلَوِّثُ الْأَمَاكِنَ الْعَامَّةَ بِالْفَضَلَاتِ أَوْ الْقَادُورَاتِ أَوْ النِّفَايَاتِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الْأَدَى الْمُحَرَّمَ، وَمُنَافٍ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَضَعْفِ مَحَبَّةِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، وَهُوَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْأَنَانِيَّةِ وَضَعْفِ اسْتِشْعَارِ حَقِّ الْأَخْرَيْنِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَفِي مَوَاسِمِ الرَّبِيعِ وَالْإِجَارَاتِ يَخْرُجُ النَّاسُ إِلَى الْبَرِّ وَأَمَاكِنِ النَّزْهَةِ، يَلْتَمِسُونَ صَفَاءَ النَّفْسِ وَسَكِينَةَ الْمَكَانِ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِجَمَالِهِ وَهُدُوءِهِ، وَيَتَأَمَّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ: {فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم: 50]، {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [ق]، وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ تُصَانَ مِنَ التَّلَوُّثِ، وَأَنْ يُحْفَظَ الْمَكَانُ عَنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُ نِقَاءَهُ جِسًّا وَمَعْنَى.

وَمِنْ صُورِ الْأَدَى الْمَعْنَوِيِّ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي يُفْسِدُ الْقُلُوبَ وَيُؤْذِي عِبَادَ اللَّهِ: التَّلَوُّثُ الصَّوْتِيُّ بِرَفْعِ أَصْوَاتِ الْمَوْسِيقَى وَالْمَزَامِيرِ وَالطَّبُولِ وَتَحْوِهَا، وَالصَّخَبِ الَّذِي يُذْهِبُ السَّكِينَةَ وَيُؤْذِي الْمُتَنَزِّهِينَ وَيَقْطَعُ عَلَيْهِمْ رَاحَتَهُمْ وَطُمَأْنِينَتَهُمْ وَأَنْسَهُمْ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَمَا خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْبَرِّ إِلَّا لِيَسْتَمْتِعُوا بِجَمَالِهِ وَهُدُوءِهِ، فَلَا تَكُونُوا سَبَبًا فِي آذِيَةِ غَيْرِكُمْ، وَاحْفَظُوا لِلدِّينِ حُرْمَتَهُ، وَلِلْمَكَانِ سَكِينَتَهُ، وَلِلْبَيِّنَاتِ نِظَافَتَهَا، وَلِلنَّاسِ حُقُوقَهُمْ؛ لِيَتَبَقَى أَيَّامُ الرَّبِيعِ مَوَاسِمَ خَيْرٍ وَذِكْرِ وَشُكْرِ وَبِرٍّ وَتَقْوَى، لَا مَوَاسِمَ أَشْرٍ وَبَطَرٍ وَكُفْرٍ بِالنِّعْمَةِ وَأَدَى.

(159) أخرجه أبو داود في سننه، (26)، وحسنه الألباني.

(160) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، (3050).

الظلم ظلماتٌ وعاقبتهُ الهلاكُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَهَى عَنِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَجَعَلَ عَاقِبَةَ أَهْلِهِ الْهَلَاكَ وَالْخُسْرَانَ، وَالذِّلَّ وَالْخِزْيَ وَالْهَوَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [البقرة: 281].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ، وَنَهَايَةُ أَهْلِهِ أَلِيمَةٌ، مَا ظَهَرَ فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ بِهَلَاكِهَا وَلَا فِي دَوْلَةٍ إِلَّا كَانَ سَبَبًا فِي زَوَالِهَا، مُوجِبٌ لِلنِّقَمِ، وَمُزِيلٌ لِلنِّعَمِ، وَمِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَمِ، حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مُحَرَّمًا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» (161)، وَلِشَنَاعَتِهِ نَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْهُ: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا } [يونس: 44].

وَالظُّلْمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ نَوْعَانِ: ظُلْمُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَأَعْظَمُ صُورِهِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَابِنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان: 13].

وَمِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ: الْإِعْرَاضُ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا } [سورة الكهف: 57]. وَمِنْ صُورِ الظُّلْمِ كَذَلِكَ الْوُقُوعُ فِي الْمَعَاصِي مِنْ كَبَائِرِ وَصَغَائِرِ، قَالَ تَعَالَى: { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ } [الطلاق: 1]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: { وَمَنْ لَمْ يَتَّخِذْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الحجرات: 11]. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ غَيْرَ التَّائِبِ وَالْمُصِرَّ عَلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ يُعَدُّ ظَالِمًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ: ظُلْمُ الْعَبْدِ لِعَبِيدِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ

يُؤْخَذُ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ». (162)

وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلْمِ أَكْلُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: 10]. وَظُلْمُ الْأَجْرَاءِ بِخُسْفِهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ... وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» (163)، وَالْمُطَاظَلَةُ فِي سَدَادِ الدِّينِ لِمَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى سَدَادِهِ: «وَمَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» (164). وَالْحَلْفُ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٌ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَإِنْ كَانَ شَيْبًا يَسِيرًا؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ شَيْءٌ يَسِيرٌ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضَيْتُ مِنْ أَرَاكِ، وَإِنْ قَضَيْتُ مِنْ أَرَاكِ» (165).

وَمِنْهُ ظُلْمُ الشُّرَكَاءِ وَالْأَقَارِبِ؛ بِأَكْلِ الْحُقُوقِ أَوْ التَّعَدِّي فِي الْقِسْمَةِ أَوْ الْمِيرَاثِ، وَكُلُّ أَدَى لِلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ ظُلْمٌ. وَمِنْ صُورِهِ أَنْ يَسْتَغِلَّ بَعْضُ النَّاسِ نُفُودَهُمْ فَيَمْنَعُوا الْمُسْتَحِقِّينَ حُقُوقَهُمْ وَيَقْدِمُوا غَيْرَهُمْ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْ صُورِ الظُّلْمِ فِي الْبُيُوتِ ظُلْمُ بَعْضِ الْأَرْوَاجِ لِرُزُوجَاتِهِمْ بِالْقَسْوَةِ فِي الْقَوْلِ، أَوْ امْتِنَاهَانِ الْكَرَامَةِ بِكَلِمَةٍ جَارِحَةٍ أَوْ تَصَرْفٍ مُهِينٍ، وَمَنْعُ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ مِنْ نَفَقَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ مُعَاشَرَةٍ بِالْمَعْرُوفِ.

وَالظُّلْمُ يَا عِبَادَ اللَّهِ سَبَبُ خَرَابِ الدِّيَارِ وَهَلَاكِهَا: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا} [النمل: 52]، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ الظُّلْمُ عَنِ ظُلْمَةِ الْقَلْبِ، وَمَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

162) أخرجه البخاري في صحيحه (2394/5): (6169).

163) أخرجه البخاري في صحيحه (776/2): (2114).

164) أخرجه البخاري في صحيحه، (799 /2): (2166).

165) أخرجه مسلم في صحيحه (122/1): (137).

عِبَادَ اللَّهِ:

وَاللَّظُمُ عَوَاقِبُ وَخِيَمَةٌ وَنِهَايَاتُ أَهْلِهِ أَلِيْمَةٌ، { وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا } [طه: 111]. وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ جَبَابٌ» (166)، لِيَتَذَكَّرَ الظَّالِمُ وَفُوقَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ: { الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [غافر: 17].

فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي رَدِّ الْحُقُوقِ وَالْمَظَالِمِ إِلَى أَهْلِهَا أَوْ تَحَلَّلُوا مِنْ أَصْحَابِهَا؛ قَالَ ﷺ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». (167)

أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الظُّلْمِ.

166 (أ) أخرجه البخاري في صحيحه، (544/2): (1425).

167 (أ) أخرجه مسلم في صحيحه (1997/4): (2581).

الْحَسَدُ... دَاءُ الْقُلُوبِ، أَسْبَابُهُ وَعِلَاجُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَسَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ مَعِيشَتَهُمْ بِعِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ بِقَضَائِهِ وَقُدْرَتِهِ، حَذَّرَهُمْ مِنْ فَسَادِ الضَّمَائِرِ، وَذَكَرَهُمْ بِيَوْمِ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:102].

عِبَادَ اللَّهِ:

مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، دَاءٌ قَلْبِيٌّ يَفْتَكُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ فَتَكًا وَيُؤْزِرُهُ إِلَى الْغَلِّ أَرَا، يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ وَيُورِثُ الْحَسَرَاتِ، مُفْسِدٌ لِلْمَحَبَّةِ قَاطِعٌ لِجِبَالِ الْمُودَةِ، إِنَّهُ الْحَسَدُ؛ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ شَرِّهِ. جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنْهُ وَالنَّحْذِيرِ مِنْهُ نُصُوصٌ مُتَكَثِرَةٌ وَأَحَادِيثٌ مُتَطَافِرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النساء:32]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ} [النساء:54]. فَتُهَوِّا عَنِ التَّحَاسُدِ وَعَنْ تَمَنِّي مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ التَّفْضِيلَ قِسْمَةٌ مِنَ اللَّهِ صَادِرَةٌ عَنْ عِلْمٍ وَحُكْمَةٍ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ. وَالْحَسَدُ اعْتِرَاضٌ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، فَعَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَيَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف:32]، وَجَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي النَّحْذِيرِ مِنْهُ، قَالَ ﷺ: ((لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)) (168)، ((إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ)) (169).

عِبَادَ اللَّهِ:

صَلَّاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَاحِ الْقَلْبِ، وَإِصْلَاحُ الْقَلْبِ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ، وَلَا يَنَالُ الْمُسْلِمُ الْكَمَالَ إِلَّا بِزَوَالِ مَا بَقِيَ مِنْ الْحَسَدِ وَالْأَضْغَانِ. الْحَاسِدُ -وَقَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ شَرَّهُ- كَالشَّيْهَابِ لَا يُبَالِي مَنْ أَصَابَ، الْحَقْدُ مَذْفُونٌ فِي صَدْرِهِ، وَالْغِلُّ يَمْلَأُ قَلْبَهُ، الْحَاسِدُ مُبْغِضٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، يَتَأَلَّمُ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ تَظْهَرُ أَوْ مَنَقِبَةٍ تُشْكِرُ، لِسَانُهُ يُخْرِجُ سَوَادَ قَلْبِهِ.

(168) أخرجه البخاري في صحيحه، (5718).

(169) أخرجه أبو داود في صحيحه، (4903).

وَالْحَسَدُ دَاءٌ فِي الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ يَنْدَارَكَ بِالدُّعَاءِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ أَظْلَمَ بِهَا الْقَلْبُ، وَمَا دَخَلَ الْحَسَدُ قَلْبًا إِلَّا أَفْسَدَهُ وَأَهْلَكَ حَاضِرَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ، الْحَاسِدُ لَا يَرْضَى بِقَضَاءٍ وَلَا يَقْنَعُ بِعَطَاءٍ، يَغْتَرِضُ عَلَى اللَّهِ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمَتِهِ، وَيَغْتَاطُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَقِسْمَتِهِ.

وَعِلَاجُ الْحَسَدِ يَا عِبَادَ اللَّهِ يَكُونُ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِ بِأَنْ يَعْلَمَ الْحَاسِدُ أَنَّ الْحَسَدَ ضَرَرٌ عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَأَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، فَمَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يُسْخِطْهُ أَحَدٌ، وَمَنْ قَنَعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ. وَالدُّعَاءُ بِصِدْقٍ بِأَنْ يُطَهَّرَ اللَّهُ الْقَلْبَ مِنَ الْحَسَدِ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: { وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا }

[الحشر: 10]، وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: ((وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي)). (170)

وَأَنْ يُكْثِرَ الْمَرْءُ دَائِمًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يَرَاهُ وَيُعْجِبُهُ، وَأَنْ يَدْعُو لِصَاحِبِهِ بِالْبِرَّةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبِرَّةِ)). (171)

وَأَنْ يَسْتَشِيرَ كُلَّ حَاسِدٍ أَنْ حَسَدَهُ لِلْآخَرِينَ إِنَّمَا هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَعَلَى فَضْلِهِ وَرِزْقِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ عِبَادَهُ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْحَسَدَ يُحْرِقُ الْحَسَنَاتِ وَيَجْلِبُ لِصَاحِبِهِ الْحَسَرَاتِ؛ فَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَدْخُرُهُ الْمَرْءُ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ سَلَامَةً صَدْرِهِ.

اللَّهُمَّ اسْأَلْ سَخَائِمَ صُدُورِنَا، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ **الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِمَّا يَنْقَى بِهِ شَرُّ الْحَاسِدِ النَّعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ، وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْإِخْلَاصُ لَهُ، وَتَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ؛ فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيَهُ فَلَا مَطْمَعَ فِيهِ لِعَدُوِّهِ وَلَا يَضُرُّهُ، { وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } [آل عمران]، وَتَحَرِّيُ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَّطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ، وَالصَّدَقَةُ وَالْإِحْسَانُ؛ فَإِنَّ لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ وَشَرِّ الْحَاسِدِ، فَلَا يَكَادُ الْأَذَى وَالْحَسَدُ يَتَسَلَّطُ عَلَى صَاحِبِ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ كَانَ مُعَامَلًا فِيهِ بِاللُّطْفِ وَالْمَعُونَةِ وَالتَّأْيِيدِ.

170) أخرجه الترمذي في سننه، (3551)، وصحه الألباني.

171) أخرجه ابن ماجه في سننه (3509)، وصحه الألباني.

تَحْذِيرُ النَّبَلَاءِ مِنْ خَطُورَةِ الشَّحْنَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَنْ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، فَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَطَهَرَ صُدُورَهُمْ مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالْأَضْغَانِ، سَلَّ مِنْ قُلُوبِهِمُ السَّخِيمَةَ، وَسَلَّمْ صُدُورَهُمْ الصَّغِيمَةَ: {وَمَا يُقْلَقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلَقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت:35]. {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة:4]، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَهِيَ: عُنْوَانُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٦٢) {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (٦٣) {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس:62-63].

عِبَادَ اللَّهِ:

أَفَهُ تَمَرَضُ بِسَبَبِهَا الْقُلُوبُ، وَتَفْسُدُ بِهَا النُّفُوسُ، تَقْطَعُ حَبْلَ الْمَوَدَّةِ وَالْوَصَالِ، وَتُوَحَّرُ بِسَبَبِهَا رَفْعُ الْأَعْمَالِ، يُؤْزِرُ بِهَا الشَّيْطَانُ جُودَهُ أَرَا، وَيَمْلَأُ بِهَا الْقُلُوبَ غَيْظًا، أَفَهُ يَشْقَى بِهَا أَصْحَابُهَا؛ فَيَتَكَدَّرُ بِسَبَبِهَا عَيْشُهُمْ، وَتَضِيقُ بِهَا صُدُورُهُمْ، وَتَقْسُو بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَيُوْذِي الْمَرْءُ بِهَا نَفْسَهُ قَبْلَ غَيْرِهِ، إِنَّهَا يَا عِبَادَ اللَّهِ الشَّحْنَاءُ الَّتِي تَمْلَأُ الصَّدْرَ بِالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، فَمَا أَفْسَدَ الْعِلَاقِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مِثْلُ الشَّحْنَاءِ وَالضَّغَائِنِ، حَدَّرَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ» (172)، فَتَذْهَبُ بِدِينِ الْمَرْءِ وَخُلُقِهِ وَحَسَنَاتِهِ، وَتُفْسِدُ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ فَيَذْهَبُ نُورُهَا وَيُسْلَبُهَا صَفَوَتُهَا، فَكَيْفَ لِقَلْبٍ أَنْ يَتَذَوَّقَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَقَلْبُهُ مُكَدَّرٌ بِالْأَضْغَانِ؟

عِبَادَ اللَّهِ:

نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالْبَغْضَاءِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَجُلُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (173)، مَا أَعْظَمَ نَفْعَ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَكْثَرَ فَوَائِدِهِ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَقَلَهُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

حَدَّرَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ ضَعَائِنِ الصُّدُورِ، الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا لِلْفُطَيْعَةِ وَالْهَجَرِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْمُتَشَاجِنِينَ لَا تُرْفَعُ لَهُمْ أَعْمَالٌ حَتَّى يَصْطَلَحَا، قَالَ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُعْفَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،

172) أخرجه الترمذي في سننه، (2509)، وصحه الألباني.

173) أخرجه البخاري في صحيحه، (5718).

إِلَّا مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» (174)، وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ تَكُونَ قُلُوبُهُمْ مُجْتَمِعَةً غَيْرَ مُتَفَرِّقَةٍ، مُتَحَابَّةً غَيْرَ مُتَبَاغِضَةٍ: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: 10]، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَإِذَا وَصَلْتَ الشَّخْنَاءَ إِلَى حَدِّ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَقَدْ ارْتَكَبَ الْمَرْءُ بِهَذِهِ الْقَطِيعَةِ كَبِيرَةً مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ تَسْتَوْجِبُ لَعْنَةَ اللَّهِ، أَفَرُّوْا إِنْ شِئْتُمْ: {٢١} (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ٢٢ (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ) [محمد: 22-23] {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [الرعد: 25].
وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» (175)، وَ«أَنَّ الرَّحِمَ تَتَعَلَّقُ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ فَتَقُولُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكَ» (176).

فَلْيَحْذَرِ الْمَرْءُ أَنْ يُوْرثَ الشَّخْنَاءَ وَالْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ لِأَوْلَادِهِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا حَصَلَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْحَامِهِ قَطِيعَةٌ أَثَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ أَقْوَامَ ارْتَكَبُوا مَا يَسْتَوْجِبُ لَعْنَةَ اللَّهِ، وَلْيَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَلْيَسْتَغْفِرُوهُ.
هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا.

174) أخرجه أبو داود في سننه (4916)، وصححه الألباني.

175) أخرجه البخاري في صحيحه، (5638).

176) أخرجه البخاري في صحيحه، (4552).

الْغَيْبَةُ... سُمُّ الْمَجَالِسِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاسِعِ الْمَجِيدِ، يَهْدِي إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ، أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، {مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:18]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يَكْتُوبِ اللَّهُ لَكُمْ بِهِ رِضَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صِفَةُ ذَمِيمَةٍ، وَعَادَةٌ مَقِيَّتَةٌ، سَبَبٌ لِلْكَرَاهِيَةِ وَالضَّغِينَةِ، مَرَعَى لِلنَّامِ، وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الْأَثَامِ، دَاءٌ غَضَالٌ يُوْغِرُ الصُّدُورَ، وَيُمَرِّقُ أَوَاصِرَ الْمَوَدَّةِ، وَيُورِثُ الْبَغْضَاءَ، وَيُفْسِدُ الْمَحَبَّةَ، مِنْ أَشَدِّ آفَاتِ اللِّسَانِ ضَرَرًا، وَأَعْظَمَهَا إِثْمًا، مُضَيِّعَةٌ لِلْأُجُورِ وَالْحَسَنَاتِ، هِيَ انْتِقَالُ حَسَنَاتِكَ مِنْ صَحِيفَتِكَ إِلَى صَحِيفَةِ غَيْرِكَ: إِنَّهَا الْغَيْبَةُ، الَّتِي حَذَرَ اللَّهُ مِنْهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: {وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَجِيمٌ} [سورة الحجرات:12]؛ فَهَذَا نَهْيٌ فُرْأَنِي عَنِ الْغَيْبَةِ مَعَ إِبْرَادٍ مِثْلٍ لِذَلِكَ يَزِيدُهُ شِدَّةً وَتَغْلِيظًا، وَالْمَعْنَى: فَارْكُزُوا غَيْبَتَهُ حَيًّا كَمَا كَرِهْتُمْ لَحْمَهُ مَيْتًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ غَيْبَتَهُ حَيًّا كَمَا حَرَّمَ أَكْلَ لَحْمِهِ مَيْتًا. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَابْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ» (177).

شَرُّ الْوَرَى مَنْ بَغَيْبِ النَّاسِ مُسْتَغْلًا مِثْلَ الدَّبَابِ يَرَاعِي مَوْضِعَ الْعِلَلِ

عِبَادَ اللَّهِ:

وَقَطْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْغَيْبَةِ كَفِيلَةٌ بِأَنْ تُعْكَرَ وَتُكْدَّرَ مَاءَ الْبَحْرِ كُلُّهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا» تَعْنِي قَصِيرَةً، قَالَ: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» (178)؛ أَي: خَالَطَتْهُ مَخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ وَرِيحُهُ؛ لِشِدَّةِ مَتْنِهَا وَقُبْحِهَا. يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ قَالَ الْحَسَنُ: "وَاللَّهُ لِلْغَيْبَةِ أَسْرَعُ فِي دِينِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْأَكْلَةِ فِي جَسَدِهِ" (179).

177) أخرجه مسلم في صحيحه، (2589).

178) أخرجه أبو داود في سننه، (4875) وصححه الألباني.

179) ذم الغيبة والنميمة، لابن أبي الدنيا، (ص21).

وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَوْلِ الْغَيْبَةِ: مَا يَكُونُ كَذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ بِمَا يَكْرَهُ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، سَوَاءً أَنْشَأْتَ الْمُقُولَةَ أَوْ نَقَلْتَهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْإِثْمِ سَوَاءً. وَالْغَيْبَةُ عِبَادَ اللَّهِ يَتَضَاعَفُ خَطَرُهَا إِذَا تَضَاعَفَ أَثَرُهَا، وَبِحَسَبِ حَالِ مَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْغَيْبَةُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَمْ أَفْسَدَتِ الْغَيْبَةُ مِنْ أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ، وَكَمْ أَحْبَطَتْ مِنْ أَجُورِ الْعَامِلِينَ، وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ سَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: ((وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)) (180)، وَحِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِيمَانِ، وَمَا اتَّقَى اللَّهُ أَحَدٌ حَقَّ تَقَاتِهِ حَتَّى يَخْزَنَ مِنْ لِسَانِهِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَاهْدِنَا إِلَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَسَامِعُ الْغَيْبَةِ شَرِيكَ الْمُعْتَابِ، فَالْمُسْتَمِعُ لِلْغَيْبَةِ شَرِيكُ فِيهَا، وَلَا يَتَخَلَّصُ مِنْ إِثْمِ سَمَاعِهَا إِلَّا أَنْ يُنْكِرَ بِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَيَقْلِبْهُ، وَإِنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ أَوْ قَطَعَ الْكَلَامَ بِكَلَامٍ آخَرَ لَزِمَهُ ذَلِكَ. وَمَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْءِ إِذَا سَمِعَ مَنْ يَعْتَابُ أَحَدًا أَنْ يَكْفِتْ غَيْبَتَهُ، وَأَنْ يَسْعَى فِي إِسْكَاتِهِ، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ، فَيَقُولَ: مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْ يَذْكُرَ مَحَاسِنَهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ.

النَّظَرُ الْمُحَرَّمُ... مِفْتَاحُ الشَّهَوَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ:2]، {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر:19]، {لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الحديد:5]، {جَعَلَ لِعِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ نُورًا يَمْشُونَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور:40]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد:28].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

سَبَبُ الْأَفَاتِ، وَمِفْتَاحُ الشَّهَوَاتِ، يُورِثُ فِي الْقَلْبِ الْحَسَرَاتِ، يُشَبِّثُ الْقَلْبَ وَيُفْسِدُهُ، وَيُضْعِفُهُ وَيُحْزِنُهُ، وَيُكْسِبُهُ ظُلْمَةً وَيُورِثُهُ قَسْوَةً، يَذْهَبُ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ، وَيَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ السَّرِيرَةِ، سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ يَفْتِكُ بِقَلْبِ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ النَّظَرُ الْحَرَامُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

الْعُيُونُ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ، وَبَابُ الْفِتَنِ، وَالْعَيْنَانِ هُمَا رَبِيبَةُ الْقَلْبِ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَعْضَاءِ أَشَدُّ ارْتِبَاطًا بِالْقَلْبِ مِنَ الْعَيْنَيْنِ، وَلِهَذَا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَلْبُ أَقْدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ} [الأنعام:110]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ} [النور:37]؛ وَلَئِنْ كَلَيْتُمَا لَهُ النَّظْرُ: فَنَظَرُ الْقَلْبِ الظَّاهِرِ بِالْعَيْنَيْنِ، وَالْبَاطِنِ بِهِ وَحْدَهُ، وَأَكْثَرُ فَسَادِ الْقَلْبِ مِنْ تَخْلِيطِ الْعَيْنِ، وَإِذَا أَدْمَنَ الْمَرْءُ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ تَشَرَّبَ الْقَلْبُ مَحَبَّتَهَا فَانْطَفَأَتْ فِيهِ أَنْوَارُ الْإِسْقَامَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ أَدْرَانَ الْقُلُوبِ وَفِتْنَتَهَا تَتَرَاكُمُ بِإِدْمَانِ النَّظْرِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ، فَرُبَّ نَظْرَةٍ أَعْقَبَتْ حَسَرَاتٍ، وَمَنْ تَتَابَعَتْ نَظْرَاتُهُ دَامَتْ حَسَرَاتُهُ، وَضَاعَتْ عَلَيْهِ أَوْقَاتُهُ، وَمَنْ أَطْلَقَ نَظْرَهُ كَثُرَ أَسْفُهُ، وَأُطْلِقَ الْبَصَرُ يُوجِبُ اسْتِحْكَامَ الْعَقْلِ عَنِ اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ، وَالنَّظْرَةُ تَفْعَلُ فِي الْقَلْبِ مَا يَفْعَلُهُ السَّهْمُ فِي الرَّمِيَةِ فَإِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ جَرَحَتْهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

نَعِيشُ فِي زَمَنِ كَثُرَتْ فِيهِ فِتْنُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَلَا سِيَّامَ مَعَ انْفِتَاحِ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ وَالِاتِّصَالَاتِ، وَتَقْنُنُهَا فِي إِثَارَةِ الْعَرَائِزِ وَتَأْجِيجِ الشَّهَوَاتِ، وَنَسَاهِلِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالنَّظْرِ الْحَرَامِ مَعَ انْتِشَارِ تِلْكَ الصُّوَرِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ حَتَّى افْتَحَمَتْ تِلْكَ الصُّوَرُ بُيُوتَهُمْ، وَوَلَجَتْ جُيُوبَهُمْ، ثَرَفَتْهُمْ أَيُّمًا حَلُّوا فَأَضْعَفَتْ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ

اِنْكَارَهَا، وَأَمَاتَ الْإِحْسَاسَ بِحُرْمَتِهَا فَأَلْفَنَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّفُوسِ، وَشَخَّصَتْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ الْعُيُونِ فَأَفْسَدَتْ الْقُلُوبَ وَسَعَرَتِ الشَّهَوَاتِ وَقَادَتْ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كَلَّمَا عَظُمَ الْبَلَاءُ وَاشْتَدَّتْ الْفِتْنَةُ فَقَابَلَهَا الْمُؤْمِنُ بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ نَالَ عَظِيمَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ، وَكَلَّمَا كَانَ التَّحَرُّرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَكْثَرَ صُعُوبَةً كَانَ الْأَجْرُ عَلَيْهِ أَكْبَرَ: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} [النور: 30].
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْبَصَرُ هُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ، وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِ إِلَيْهِ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ كَثُرَ السَّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ وَوَجَبَ التَّحْذِيرُ مِنْهُ، وَغَضُّهُ وَاجِبٌ عَنْ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ وَكُلِّ مَا يُخْشَى الْفِتْنَةُ مِنْ أَجْلِهِ، وَبَدَأَ بَعْضُ الْبَصَرِ قَبْلَ الْفَرْجِ؛ لِأَنَّ الْبَصَرَ رَأْدُ الْقَلْبِ، وَلِأَنَّ غَضَّ الْبَصَرِ أَصْلُ لِحْفَظِ الْفَرْجِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْعَيْنَ مِرَاةً لِلْقَلْبِ فَإِذَا غَضَّ الْعَبْدُ بَصَرَهُ غَضَّ الْقَلْبُ شَهْوَتَهُ وَإِرَادَتَهُ، وَإِذَا أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَطْلَقَ الْقَلْبُ شَهْوَتَهُ، كَمْ أَصَابَ سَهْمُ النَّظَرَةِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ قَلْبٍ فَأَدَمَاهُ، وَأَعَقَبَهُ حَسْرَةً فَأَرَادَاهُ.
اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْحَرَامِ، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَارْزُقْنَا غَضَّ الْبَصَرِ وَثَوْرَ الْبَصِيرَةِ.

الْغَفْلَةُ...طَرِيقُ الْهَلَاكِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَيْقَظَ قُلُوبَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ، فَكَتَبَ لَهُمْ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَخَذَلَ مَنْ شَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، مَنْ أَعْرَضَ وَتَوَلَّى عَنْ ذِكْرِهِ، فَجَعَلَهُمْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَأَمَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الْغَفْلَةِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الأنفال:29].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ أَعْظَمُ أَدْوَاءِ الْقُلُوبِ خَطَرًا، وَأَشَدُّهَا قِتْلًا وَضَرَرًا؛ تُصِيبُ الْقُلُوبَ فَتُفْسِدُهَا، وَتَحْجُبُهَا عَنْ رَبِّهِ وَتُبْعِدُهَا، هِيَ سَبَبٌ فِي تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَعَاقِبَتُهَا النَّدَمُ وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؛ إِنَّهَا دَاءُ الْغَفْلَةِ الَّتِي حَدَرْنَا اللَّهُ مِنْهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهَا تَصُدُّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ {أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ جِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝۱} مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝۲} لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ { [الأنبياء:1-3].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

الْغَافِلُ لَا هَ عَمَّا خُلِقَ لِأَجْلِهِ، سَاهٍ سَادِعٌ فِي دُنْيَاهُ، غَرَّهُ طُولُ أَمَلِهِ، مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ، مُفَرِّطٌ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَمَوْلَاهُ، لَا يُفَكِّرُ بِإِقَاءِ اللَّهِ، مُفَرِّطٌ فِي شَهَوَاتِهِ، مُسْتَعْرِقٌ فِي مَلَذَاتِهِ، مُشْغِلٌ قَلْبَهُ بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرُخْرَفِهَا؛ نَاسِيًا آخِرَتَهُ وَهَوْلَ مَطْلَعِهَا، مُتَهَالِفٌ فِي آدَاءِ الصَّلَوَاتِ، مُتَكَاسِلٌ عَنْ شُهُودِ الْجُمُعِ وَالْجَمَاعَاتِ، زَاهِدٌ فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ، مُسْتَصْغِرٌ لِلذُّنُوبِ وَالْمَحْرَمَاتِ، لَيْسَ لَهُ مُعْتَنَمٌ فِي صِيَامِ أَيَّامٍ فَاضِلَةٍ، وَلَا احْتِسَابٌ فِي صَدَقَةٍ بَاقِيَةٍ، مُضَيِّعٌ لِمَوَاسِمِ الْفَضِيلَةِ، مُفَرِّطٌ فِي سَاعَاتِ الْعُمُرِ؛ سَاعَاتِ عُمُرِ الْغَافِلِ أَهْوَنُ مَا يَمْلِكُهُ، وَأَرْخَصُ مَا يَبْدُلُهُ، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْغَفْلَةِ:

الْجَهْلُ بِاللَّهِ؛ فَأَكْثَرُ النَّاسِ غَفْلَةٌ أَبْعَدُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [الحشر:19].

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: هَجْرُ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا، كَيْفَ وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا } [الشورى:52]، فَأَلْقُرْآنُ رُوحَ الْقَلْبِ، فَإِذَا أَهْمِلَ الْقُرْآنُ مَاتَ الْقَلْبُ كَمَا تَمُوتُ الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ؛ فَهُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَنُورُهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: صُحْبَةُ الْغَافِلِينَ، فَصُحْبَتُهُمْ ثَوْرُ الْغَفْلَةِ { وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا } [الكهف:28].

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: تَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَطَوَّلَ الْأَمَلُ {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر:3].
وَمِنْ أَسْبَابِهَا أَيْضًا: اللَّهُ وَ الْمُفْرِطُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ صَاحِبُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ هَذَا اللَّهُ وَ فِي زَمَانِنَا مَا يُسَمَّى بِالْأَلْعَابِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ الَّتِي أَسْرَتِ الْقُلُوبَ، وَشَتَّتِ الْعُقُولَ، وَضَيَّعَتِ الْأَوْقَاتَ، وَأَلْهَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنعام:32].
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَبُضِيذُهَا تَتَّبِعُ الْأَشْيَاءَ؛ فَإِذَا عُرِفَ الدَّاءُ عُرِفَ الدَّوَاءُ، وَعِلَاجُ الْغَفْلَةِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، مِنْ أَعْظَمِهَا:
مَعْرِفَةُ اللَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَمُلَازِمَةُ كِتَابِهِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا، وَمُصَاحَبَةُ الصَّالِحِينَ، وَحُضُورُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ، وَصِدْقُ اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِكْتِنَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَقِصَرِ الْأَمَلِ: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ» (181)، وَمِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». (182)
اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْغَافِلِينَ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

(181) أخرجه الترمذي في سننه، (2307)، وصحه الألباني.

(182) أخرجه البخاري في صحيحه، (3607).

الجَفَاءُ... سَبَبُ الْقَطِيعَةِ وَفَسَادِ الْقُلُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الرَّحْمَةَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، وَأَمَرَ بِهَا عِبَادَهُ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ فَجَعَلَهُمْ رَحَمَاءَ، وَأَبْعَدَ عَنْهُمْ الْغِلْظَةَ وَالْجَفَاءَ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَتِ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ أَثْمَرَتْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صِفَةُ مَذْمُومَةٍ، وَدَاءٌ يَزْرَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغِينَةَ، وَيُورِثُ الْبَغْضَاءَ وَالْقَطِيعَةَ، هُوَ سَبَبٌ فِي هَدْمِ الْعَلَاqَاتِ وَجَرَمَانِ كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ سُوءِ الْخُلُقِ لَا يَزِيدُ الْمَرْءَ إِلَّا بُعْدًا عَنِ النَّاسِ، إِنَّهُ دَاءُ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفَضَاضَةِ، قَالَ تَعَالَى: {فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159]، نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ وَذَمَّ أَهْلَهُ: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} ١٠٠ هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنِمِيمٍ ١١٠ {مَنَاعَ الْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ} ١٢٠ {عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ} ١٣٠ {[القلم: 10-13]، وَالْعَتَلُ هُوَ الشَّدِيدُ الْجَافِي، وَالْفُظُّ الْغَلِيظُ، وَقَدْ حَدَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْغِلْظَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى الْخُلُقِ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَاطُ وَالْجَعْظَرِيُّ» ((قَالَ: الْجَوَاطُ الْغَلِيظُ الْفُظُّ. (183) وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ: {أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة: 54]؛ أَي: مُتَوَاضِعُونَ رَحَمَاءَ، لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ غِلْظَةٌ وَلَا جَفَاءٌ. وَأَمَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِالْإِنَّةِ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَاللُّطْفِ فِي خُطَابِهِمْ، وَالتَّوَدُّدِ لَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَأَحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} ٨٨ {[الحجر: 88].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صَاحِبُ الْجَفَاءِ سَيِّئٌ فِي أَقْوَالِهِ، غَلِيظٌ فِي عِبَارَاتِهِ، حَادٌّ فِي كَلَامِهِ، قَاسٍ قَلْبُهُ، جَافٌ فِي عَاطِفَتِهِ وَمَشَاعِرِهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْفَضَاضَةُ وَالْغِلْظَةُ نَفَرَتْ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ الْقُلُوبُ، وَانْفَضَّ عَنْهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَاسْتَنْقَلَهُ مَنْ يَضْطَرُّهُ الْجُلُوسُ إِلَيْهِ، { وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران: 159].

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ صُورِ الْجَفَاءِ غِيَابُ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَغِيَابُ الْإِبْتِسَامَةِ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَالْبَشَاشَةِ، وَانْقِبَاضُ الْيَدِ عَنِ الْعَطَاءِ، وَالْجِدَّةُ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّنَقُّصُ وَالْإِزْدِرَاءُ. صَاحِبُ الْجَفَاءِ كَلِمَاتُهُ قَاسِيَةٌ، وَنَظَرَاتُهُ سَاحِرَةٌ، وَعِبَارَتُهُ جَارِحَةٌ، يَعْيشُ مَعَ النَّاسِ بِجَسَدِهِ، وَلَكِنَّهُ بَعِيدٌ عَنْهُمْ

بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ، يَرَاهُمْ وَلَا يَشْعُرُ بِهِمْ، قَدْ يَمُرُّ بِجَانِبِهِمْ فَلَا يُلْقِي السَّلَامَ عَلَيْهِمْ، يَتَوَارَى إِنْ أُخْرِجَ لِحُضُورِ مُنَاسَبَةٍ، وَيُسْرِعُ بِالْخُرُوجِ - مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ - إِذَا صَلَّى مَعَ الْجَمَاعَةِ، يُسِيءُ الْعِشْرَةَ وَيُكْثِرُ الْعِتَابَ، غَرِيبٌ بَيْنَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَأَرْحَامِهِ بِسَبَبِ جَفَائِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

الْجَفَاءُ مَعَ الْخَلْقِ عَلَامَةُ الْجَفَاءِ مَعَ الْخَالِقِ؛ فَالْمَحْرُومُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَحْرُومٌ مِنْ رَحْمَةِ الْخَلْقِ، وَمَنْ جَفَّ قَلْبُهُ عَنِ النَّاسِ جَفَّ النَّاسُ عَنْهُ، وَمَنْ رَقَّ قَلْبُهُ رَقَّ النَّاسُ لَهُ، وَمِنْ الْجَزَاءِ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَمِيلُ لِمَوْعِظَةٍ، وَلَا يَخْشَعُ لِنَذِيرَةٍ. عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

لِنُعِيدَ مَشَاعِرَ الْعُطْفِ وَالْمَحَبَّةِ وَاللُّطْفِ وَالْمَوَدَّةِ إِلَى بُيُوتِنَا وَمَسَاجِدِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا؛ فَإِنَّ الْحِدَّةَ وَالْجَفَاءَ لَا يَقُومُ بِهِمَا دِينَ، وَلَا تُبْنَى بِهِمَا أُمَّةٌ، وَلَا يُنْبَتَانِ وُدًّا، وَلَا يُقِيمَانِ بَيْنًا، وَلَا يُنْمِيَانِ مُجْتَمَعًا؛ فَإِنَّ الْقِسْوَةَ تُزِيلُ اللَّيْنَ، وَتَجْلِبُ الْجَفَاءَ، وَتَقْطَعُ الْمَوَدَّةَ، وَتُورِثُ الْكِبْرَ. ابْدُؤُوا بِالسَّلَامِ، وَالْبَيِّنَا الْكَلَامَ؛ فَمَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَى جِيرَانِكُمْ، وَتَعَاهَدُوا إِخْوَانَكُمْ وَأَصْدِقَاءَكُمْ، وَتَلَطَّفُوا مَعَ مَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، وَتَعَافَلُوا عَنِ الزَّلَّاتِ؛ فَهِيَ سِمَةُ أَصْحَابِ الْمُرُوءَاتِ { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: 199].

الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَأْلَفُونَهُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ. قَالَ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرِّمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ». (184) اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

الطَّمَعُ... مَرَضُ النَّفْسِ وَسَبَبُ الْهَوَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَهَى عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَخَيْرَ الْوَصَايَا لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا تَقْوَى اللَّهِ: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: 131].

عِبَادَ اللَّهِ:

أَفَةٌ مِنْ أَفَاتِ النَّفْسِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى الدَّنَاءَةِ وَالْمَهَانَةِ وَشُحِّ النَّفْسِ، خُلِقَ يُدَبِّسُ صَاحِبَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ الْقَادِحَةِ، صَاحِبُهُ لَا يَقْنَعُ بِمَا أُوتِيَ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا لِأَجْلِ شَرِّهِ، وَلَا يَسْتَكْفٍ مِمَّا مُنِعَ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا لِقِلَّةِ أَنْفَتِهِ، يَذْهَبُ بَرَكَةُ الْمَالِ وَيُبْذَلُ أَغْنَاكَ الرِّجَالِ. اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ» (185)؛ إِنَّهَا أَفَةُ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ، تَسْكُنُ نَفْسًا لَا تَشْبَعُ، تَلْهَثُ خَلْفَ الْمَالِ بِمَا يَنْجَاوِرُ الْحَدَّ وَالْإِعْتِدَالَ. حَذَرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَهُوَ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ» (186)، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدَ لِدِينِ الْمَرْءِ مِنَ الطَّمَعِ فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا. قَالَ ﷺ: «مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ جِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». (187)

وَمَنْ كَانَ ذَا طَمَعٍ مُسْتَطِرٍّ عَلَى قَلْبِهِ فَإِنَّ الدُّلَّ قَرِينُهُ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام [2]: "الْعُبُودِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ رِقُّ الْقَلْبِ، فَمَا اسْتَرْقَّ قَلْبُكَ وَاسْتَعْبَدَهُ فَهُوَ عَبْدُهُ، وَإِذَا اسْتَرْقَّ الْقَلْبُ الْمَالُ صَارَ عَبْدًا لِهَذَا الْمَالِ" (188)، وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فَقَالَ: «تَعَسَ عَبْدُ الدُّنْيَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَسَ». (189)

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ صُورِ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ الْمَذْمُومَةِ مُبَالَغَةُ بَعْضِ مُلَّاكِ الْعَقَارِ فِي النَّبْيِ أَوْ الْإِيجَارِ، حَتَّى بَلَغَ الْأَمْرُ حَدًّا أَضَرَّ بِالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْمُشْتَرِينَ وَالْمُسْتَأْجِرِينَ، وَقَدْ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنِ الْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ. قَالَ ﷺ: «مَنْ ضَارَّ أَضَرَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» (190)؛

185) أخرجه مسلم في صحيحه، (2722).

186) أخرجه الحاكم في مستدركه (7928)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي.

187) أخرجه الترمذي في سننه، (2376)، وصححه الألباني.

188) مجموع الفتاوى (10 / 181).

189) أخرجه البخاري في صحيحه، (2730).

190) أخرجه أبو داود في سننه، (3635)، وحسنه الألباني.

أَيُّ: مَنْ أَضَرَّ غَيْرَهُ بِقَصْدٍ، وَتَسَبَّبَ لَهُ بِمَا يَسُوُّهُ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ، أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ، أَيُّ جَعَلَ اللَّهُ جَزَاءَهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، فَيَقُومُ بِهِ بِمِثْلِ مَا أَضَرَّ بغيرِهِ. وَكُلُّ مُعَامَلَةٍ أَضَرَّ بِهَا غَيْرَهُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُبَارِكُ لَهُ فِيهَا؛ لِأَنَّ مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ ضَارَّهُ اللَّهُ تَرَحَّلَ عَنْهُ الْخَيْرُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ الشَّرُّ، وَذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ وَهُوَ مُسْتَجِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ. وَيَذِلُّ الْحَدِيثُ بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ مَنْ أزالَ الضَّرَرَ وَالْمَشَقَّةَ عَنِ الْمُسْلِمِ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْلِبُ لَهُ الْخَيْرُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضَّرَرَ وَالْمَشَاقَّ جَزَاءً وَفَاقًا، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [?]: "قَالُوا وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {جَزَاءٌ وَفَاقًا} [النَّبَأُ: 26]، أَيُّ: وَفَقَ أَعْمَالِهِمْ، وَهَذَا ثَابِتٌ شَرْعًا وَقَدَرًا". (191)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْمَعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَنَالُ بِهِ رَحْمَتَهُ، النَّيَّسِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمُعَامَلَتُهُمْ بِالسَّمَاحَةِ وَالرَّفْقِ وَاللِّينِ. قَالَ ﷺ: «أَحَبُّ اللَّهِ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا قَضَى، سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى» (192). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ، وَلَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» (193). وَرَحْمَةُ الْعَبْدِ بِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِلْقَبُولِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْبَرَكَاتِ.

وَمَنْ عَامَلَ عِبَادَ اللَّهِ بِصِفَةِ عَامَلِهِ اللَّهُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ بَعَيْنَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ لِعَبْدِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ لِخَلْقِهِ. فَكَمَا تُدِينُ نُدَانُ؛ فَمَنْ رَفَقَ بِعِبَادِ اللَّهِ رَفَقَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَجَمَهُمْ رَجَمَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ نَفَعَهُمْ نَفَعَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ خَيْرَهُ مَنَعَهُ اللَّهُ خَيْرَهُ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَاقِبَتَهُ الدَّلَّ وَالْخُسْرَانَ. اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِعِبَادِكَ فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ.

191 () تهذيب سنن أبي داود، (3/ 130).

192 () أخرجه البخاري في صحيحه، (1970).

193 () أخرجه أبو داود في سننه، (4942)، وحسنه الألباني.

الْفَرَاغُ... نِعْمَةٌ وَحَسْرَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، تَتَابَعَتْ عَلَى الْعِبَادِ نِعْمُهُ، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِمْ مِنْهُ، وَاللَّهُ يُجِبُّ الشَّاكِرِينَ، وَعَدَهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ، وَلَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَخَيْرُ الْوَصَايَا، وَأَعْظَمُهَا لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا، تَقْوَى اللَّهِ، { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء: 131].

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ نِعْمَةٌ لِمَنْ اغْتَنَمَهَا، وَحَسْرَةٌ عَلَى مَنْ ضَيَّعَهَا؛ نِعْمَةٌ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا فَعَمَّرَ فِيهَا دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَخَسَارَةٌ لِمَنْ جَهَّلَهَا فَأَضَاعَ آخِرَتَهُ، نِعْمَةٌ مُوقَّتَةٌ لَا تَدُومُ، وَسُرْعَانِ مَا تَزُولُ، نِعْمَةٌ يُعْبَنُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ إِنَّهَا نِعْمَةُ الْفَرَاغِ. قَالَ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (194)، وَالْمَعْنَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ؛ حَيْثُ لَا يَكْسِبُونَ فِيهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ كِفَايَةَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ وَآخِرَتِهِمْ، فَيَنْدُمُونَ عَلَى تَضْيِيعِ أَعْمَارِهِمْ فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّلَاقِ} [التغابن: 9].

عِبَادَ اللَّهِ:

قَدْ يَكُونُ الْمَرْءُ صَاحِبًا وَلَا يَكُونُ مُتَقَرِّغًا لِإِنْشِغَالِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا وَلَا يَكُونُ صَاحِبًا؛ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُودُ، وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التِّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ؛ فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُودُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا أَوْ اسْتَعْمَلَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُودُ، فَالْفَرَاغُ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةُ تَعْقُبُهَا السَّقَمُ. الْعَاقِلُ يَا عِبَادَ اللَّهِ مَنْ يَجْعَلُ أَعْمَالَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَوْقَاتِهِ، حَتَّى لَا يَجْعَلَ لِلْفَرَاغِ عَلَى نَفْسِهِ سَبِيلًا؛ فَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ. فَالْأَصْلُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ أَنَّهُ لَا مَكَانَ لِلْفَرَاغِ فِي حَيَاتِهِ؛ {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} [7: الشرح]، وَلَمْ يُذَكَّرْ فِي الْآيَةِ الْمَفْرُوعُ مِنْهُ؛ لِيَعْمَ كُلُّ عَمَلٍ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ عَمَلٍ بَدَأَ فِي آخَرٍ. وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُجْهِدًا، فَإِنَّ الْفَرَاغَ مَفْسَدَةٌ، وَأَكْثَرُ مَا يَرْتَعُ الشَّيْطَانُ فِي بَيْتَةِ الْفَرَاغِ؛ لِأَنَّهُ مَرْتَعٌ لِلْأَوْهَامِ وَالْهَوَاجِسِ وَالْخَيَالَاتِ وَالْوَسَاوِسِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ، وَأَيَّامٌ مَحْدُودَةٌ، وَيُوشِكُ أَنْ تَنْتَهِيَ الْأَيَّامُ، وَتَقِفَ الْأَنْفَاسُ، وَتَظْهَرَ النَّتَائِجُ يَوْمَ التَّلَاقِ، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ

مُحَضَّرًا وَمَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا } [آل عمران:30]، {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى } [النازعات:35].

عِبَادَ اللَّهِ:

يَقُولُ بَعْضُ السَّائِفِ: مِنْ عَلَامَاتِ الْمَقْتِ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ، يَعْنِي: مِنْ عَلَامَاتِ مَقْتِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَبُغْضِهِ لَهُ إِضَاعَةُ وَقْتِهِ، وَمِنْ عَلَامَاتِ خِذْلَانِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ شُغْلَهُ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ، وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامَكَ، فَانْظُرْ فِيمَا أَقَامَكَ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبَ لَكُمْ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الْحِفَاظَ عَلَى الْوَقْتِ يَحْتَاجُ إِلَى هِمَّةٍ، وَعَزِيمَةٍ، وَقُوَّةٍ إِرَادَةٍ؛ فَاحْرِصُوا عَلَى مَا يَنْفَعُكُمْ، وَاشْحَذُوا لِأَجْلِهِ هِمَمَكُمْ، وَتَمَرُّوا فِيهِ أَوْقَاتَكُمْ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِي أَعْمَارِكُمْ، وَكُونُوا عَوْنًا لِأَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ عَلَى جَفْظِ أَوْقَاتِهِمْ، وَاعْتِنَامِ فَرَاعِهِمْ، وَلَا سِيَّما عِنْدَ مُوجِبَاتِ الْفَرَاغِ، كَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمُنَاسَبَاتِ؛ وَذَلِكَ بِإِعَانَتِهِمْ بِوَسَائِلِ عَمَلِيَّةٍ فِي اسْتِثْمَارِ أَوْقَاتِهِمْ بِالنَّافِعِ الْمُفِيدِ، كَالْحَلَقِ الْقُرْآنِيِّ، وَالدُّوَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَوِ الْمِهْنِيَّةِ، أَوِ الْمَرَائِزِ الصِّفِيَّةِ الْهَادِفَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَرَامِجِ وَالْمَشْرُوعَاتِ الَّتِي تَحْفَظُ أَوْقَاتِهِمْ.

آفة السَّهَرِ وَأَثَارُهَا عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَجَعَلَ لِنِظَامِ الْكُونِ مَوَاقِيتَ وَسُنَنًا، {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [يونس: 67]، خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ النَّفْوَى أَنَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فِي آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [يونس: 6].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

آفةُ اجْتِمَاعِيَّةٌ تُعَارِضُ السُّنَّةَ الْكُونِيَّةَ وَالْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ، وَعَادَةً تُخَالِفُ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ وَالْفِطْرَةَ الْبَشَرِيَّةَ، وَتُضَادِمُ الْقَوَاعِدَ الصَّحِيَّةَ، آفةٌ تُخَالِفُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ؛ إِنَّهَا آفةُ السَّهَرِ الَّتِي تَسَلَّلَتْ إِلَى الْبُيُوتِ، فَأَفْسَدَتْ عَلَى النَّفُوسِ صَفَاءَهَا، وَعَلَى الْقُلُوبِ طُمَائِنَتَهَا، وَعَلَى الْأَبْدَانِ رَاحَتَهَا، فَأَوْهَنْتِ الْأَبْدَانِ، وَأَضْعَفَتِ الْإِيمَانَ، وَأَوْرَثَتْ الْأَرْقَ وَالتَّوَثُرَ وَالْقَلَقَ، وَكَمْ هُوَ مُؤْلِمٌ أَنْ تَرَى لَيْلَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ سَهْرًا وَلَهُوَ وَعَبَا.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَنْ سَهَرَ لَيْلُهُ أَضَاعَ يَوْمَهُ، فَالسَّهَرُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ يُخْلُ بِنِظَامِ الْحَيَاةِ وَيَضُرُّ بِالْإِيمَانِ وَالْدُّنْيَا. وَخَلَقَ اللَّهُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنَ فِيهِ، وَجَعَلَهُ رَاحَةً لِلْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ، تَهْدَأُ بِهِ الْأَنْفَاسُ، وَتَسْكُنُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ وَالْحَوَاسُّ.

النَّوْمُ فِي اللَّيْلِ سُنَّةٌ كُونِيَّةٌ وَرَحْمَةٌ إِلَهِيَّةٌ، جَيْنَمَا يَسِيرُ الْإِنْسَانُ عَلَى خُطَاهَا يَسْتَرِيحُ الْفُؤَادُ، وَتَصِحُّ الْأَبْدَانُ، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} [الفرقان: 47]. النَّوْمُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ لِرَاحَةِ الْبَدَنِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي هُدُوءِ اللَّيْلِ وَطُمَائِنَتِهِ، وَنَوْمُ أَوَّلِ اللَّيْلِ لَا يَعْدِلُهُ نَوْمُ آخِرِ اللَّيْلِ، وَنَوْمُ آخِرِ اللَّيْلِ لَا يَعْدِلُهُ نَوْمُ النَّهَارِ، وَقَلِيلُ نَوْمِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ نَوْمِ النَّهَارِ لِجِسْمِ الْإِنْسَانِ وَعَقْلِهِ وَذَاكِرَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَعَنْ عَائِشَةَ □ قَالَتْ: «مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا» (195)، فَهَذَا هَدْيُهُ الدَّائِمُ. وَمَا نُقِلَ مِنْ سَهَرِهِ وَحَدِيثِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَهُوَ عَارِضٌ لِحَاجَةٍ دَعَتْ إِلَيْهِ. وَلِذَا كَانَ ﷺ يَذُمُّ السَّهَرَ وَيَعِيبُهُ، وَعَنْ

ابْنِ مَسْعُودٍ [؟] قَالَ: قَالَ: «جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّمَرُ بَعْدَ الْعِشَاءِ» (196)، أَيِ عَابَهُ وَذَمَّهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَيَعْظُمُ خَطَرُ السَّهَرِ، وَتَشْتَدُّ حُرْمَتُهُ إِنْ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ تَضْيِيعُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، وَقَدْ وَرَدَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي عُقُوبَةِ مَنْ نَامَ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَمَنْ سَهَرَ لَيْلُهُ أَضَاعَ فَجْرَهُ، وَهِيَ الصَّلَاةُ الْفَارِقَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

نَتَاجُ السَّهَرِ تَضْيِيعُ الصَّلَوَاتِ، وَإِهْدَارُ لِلْخُفُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَتَكَاسُلٌ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَذَهَابٌ لِلْبَرَكَاتِ، وَضَيَاعٌ لِلْعُمْرِ، وَتَقْصِيرٌ فِي الطَّاعَةِ. وَمَنْ سَهَرَ عَلَى بَاطِلٍ نَامَ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ فَرَطَ فِي سُكُونِ اللَّيْلِ حُرِمَ لَذَّةَ الْقِيَامِ، وَضَعُفَتْ هِمَّتُهُ فِي الطَّاعَةِ. فَيَا مَنْ أَسْهَرْتَ لَيْلَكَ، إِنَّ الشَّاشَاتِ لَا تَنَامُ، وَالْأَحَادِيثُ لَا تَنْقُضِي، فَالْتَّبَكُّيرُ بِالنَّوْمِ سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ وَصِيحَةٌ بَدَنِيَّةٌ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطية الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

لَأَهْلِ الطَّبِّ أَبْحَاثٌ وَدِرَاسَاتٌ فِي أَضْرَارِ السَّهَرِ وَاتِّخَاذِهِ عَادَةً، فَالسَّهَرُ مِنْ أَقْوَى الْعَوَامِلِ الْمُؤَثِّرَةِ عَلَى الْجِهَازِ الْمَنَاعِيِّ، وَالْمُنْتَبِطَةِ لِنَشَاطِ ذَاكِرَةِ الْجِسْمِ الْمَنَاعِيَّةِ وَحَرَكَةِ خَلَايَا الْجِهَازِ الْمَنَاعِيِّ. وَفِي السَّهَرِ سَهَامٌ تُصِيبُ الْبَدَنَ بِالْوَهْنِ، وَتُشَوِّتُ الدِّهْنَ، وَتُضْعِفُ التَّرْكِيزَ، وَتُسَبِّغُ الْمَرَاجَ، وَتَزِيدُ سُرْعَةَ الْإِنْفِعَالِ وَسُرْعَةَ الْإِجْهَادِ. وَالْجِسْمُ، كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الطَّبِّ، لَا يَرِمُّ نَفْسَهُ إِلَّا أَثْنَاءَ نَوْمِ اللَّيْلِ، وَالْهَزْمُونَ لَا تَعْمَلُ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ إِلَّا فِي اللَّيْلِ، وَأَيُّ اخْتِلَالٍ فِي ذَلِكَ يُضْعِفُ مَنَاعَةَ الْجِسْمِ تَدْرِيجًا.

وَمِمَّا تَجَدُّرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَجَاءَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يُرَاعِيَ أُمُورًا شَرْعِيَّةً وَأُمُورًا تَنْظِيمِيَّةً؛ فَأَمَّا الْأُمُورُ الشَّرْعِيَّةُ فَعَلَى الْحَاجِّ أَنْ يَتَّقَهُ فِي أَحْكَامِ الْحَجِّ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحْجُ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» (197). وَأَمَّا الْأُمُورُ التَّنْظِيمِيَّةُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْحَاجِّ أَنْ يَأْخُذَ بِتَعْلِيمَاتِ وَتَنْظِيمَاتِ الْجِهَاتِ الْمَسْئُولَةِ، الَّتِي تَبْدُلُ جُهْدًا مَشْكُورَةً فِي الْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ بِوُفُودِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ذَلِكَ إِصْدَارُ التَّنْصِيحِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُيسِّرَ لِلْحَاجِّ حَجَّ بَيْتِهِ، اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَهُمْ حَجَّ بَيْتِكَ، وَاحْفَظْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

196) أخرجه ابن ماجه في سننه: (703)، وحسنه الأرئووط.

197) أخرجه مسلم في صحيحه، (1297).

عَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ وَمَكَايِدُهُ فِي إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَذَرَنَا مِنْ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ سُلْطَانٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّاهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [الحج:4]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَفِي تَقْوَاهُ سَعَادَةُ الْأُولَى وَالنَّجَاةُ فِي الْآخِرَةِ.

عِبَادُ اللَّهِ: هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْأَعْدَاءِ فَتَكَا، وَأَمْضَاهُمْ كَيْدًا، وَأَقْدَمَهُمْ عَدَاوَةً وَمَكْرًا؛ عَدُوٌّ حَذَرْنَا اللَّهُ مِنْهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَبَيَّنَ لَنَا شِدَّةَ عَدَاوَتِهِ، وَوُجُوبَ مَجَاهَدَتِهِ، وَقَطَعَ وَسَائِلَهُ، وَالْحَذَرَ مِنْ خُطَوَاتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:6].

وَقَدْ أَفْسَمَ هَذَا الْعَدُوُّ أَنْ يُغْوِي بَنِي آدَمَ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ يَقْعُدَ لَهُمْ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ: {قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [سورة الأعراف:16].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ فَهْمِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ تَأْتِيهِ نَزْعَاتُ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَزَالُ يَطْرُقُ الْقَلْبَ بِمَذَاحِلِهِ، وَيَتَسَلَّلُ إِلَى النَّفْسِ بِأَسَالِيْبِهِ، وَيُشَامُ قَلْبَ الْعَبْدِ، وَيَدْخُلُ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي تُحِبُّهُ وَتَهْوَاهُ.

عِبَادُ اللَّهِ: وَمِنْ أَعْظَمِ طُرُقِهِ فِي الْإِغْوَاءِ الْوَعْدُ الْكَاذِبَةُ، وَالتَّغْيِيرُ بِالْأَمَانِيِّ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَتَرْبِيْنُ رُخْرِفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِغْرَاقُ الْقَلْبِ فِي الْعَقْلَةِ عَنِ الْمَوْتِ وَنَسْيَانِ الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: {يَعِدُّهُمْ وَيُؤْمِنُهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء:120].

وَمِنْ أَعْظَمِ كَيْدِهِ أَيْضًا تَحْسِينُ الْقَبِيحِ وَتَقْبِيحُ الْحَسَنِ، فَيَرْبِيْنُ الْمَعْصِيَةَ حَتَّى تُرَى رَاحَةً وَسَلْوَةً، وَيُثْقِلُ الطَّاعَةَ حَتَّى تُرَى عَنَاءًا وَمَسَقَةً، قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} [النحل:24]. وَمِنْ ذَلِكَ تَرْبِيْنُهُ كَشَفَ الْعُورَاتِ، وَهَنْكَ السِّتْرِ، وَإِسَاعَةَ الْفَوَاحِشِ، لِإِيقَاعِ الْفِتْنَةِ، وَإِيقَادِ نَارِ الشَّهْوَةِ، وَسَلْبِ نُورِ الْإِيمَانِ، وَتَغْيِيرِ فِطْرَةِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا: {يَبْنِي عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ لِبَاسِهِمَا} [الأعراف:27].

عِبَادُ اللَّهِ: وَمِنْ مَكَايِدِهِ أَنَّهُ يَتَدَرَّجُ مَعَ الْعَبْدِ فِي الْإِغْوَاءِ، فَيَبْدَأُ بِالتَّوَسُّعِ فِي الْمُبَاحَاتِ، ثُمَّ التَّسَاهُلِ فِي الْمُشْتَبِهَاتِ، ثُمَّ الْوُقُوعِ فِي صَعَائِرِ الذُّنُوبِ، حَتَّى يَجْرَهُ إِلَى الْكِبَائِرِ، وَمِنْ أخطر ذَلِكَ مَا نَرَاهُ فِي الْمَكَاسِبِ الْمُحَرَّمَةِ، مِنَ التَّحَايِلِ عَلَى الرَّبِّ، وَتَسْمِيَتِهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، وَالتَّسَاهُلِ فِي مُعَامَلَاتِ هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّبِّ مِنْهَا إِلَى الْبَيْعِ، وَمِنْ مَكَايِدِهِ التَّحْرِيشَ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَلَا سِيَّما بَيْنَ الرُّوَحَيْنِ.

إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ بِكَيْدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَصُدَّهُ عَنْهَا ثَقَلَهَا عَلَيْهِ، وَرَبَّيْنِ لَهُ التَّرَاحِيَّ وَالتَّسْوِيفَ وَصَرَفَهُ عَنْهَا بِصَوَارِفِ الْمُلهِيَّاتِ؛ فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى صَلَاتِهِ أَقْبَلَ عَدُوُّ اللَّهِ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ وَيُلْبِسَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ فَيَسْلُبَ مِنْهُ الْخُشُوعَ الَّذِي هُوَ رُوحُهَا وَلُبُّهَا.

وَمِنْ مَكْرِهِ وَكَيِّدِهِ إِقْفَاءُ الشُّكُوكِ عَلَى الْعَبْدِ فِي بَابِ الْعِبَادَاتِ، وَالشُّكُوكُ إِذَا كَثُرَتْ طُرِحَتْ، وَلَا يَلْتَقِ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَالشُّكُّ فِي الْعِبَادَةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا لَا يُؤْتِرُ؛ وَمَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الْبَابَ تَلَاعَبَ بِهِ الشَّيْطَانُ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ نَزَاغَاتِ الشَّيَاطِينِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.
عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنْ أخطر مَا يَحْضُرُهُ أَنْ يَحْضُرَهُ عِنْدَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لِإِضْلَالِهِ بِنَزَاغَاتِهِ، وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ» (198)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكُونُ فِي حَالٍ أَشَدَّ عَلَى ابْنِ آدَمَ مِنْهُ مِثْلُ مَا هُوَ فِي حَالِ الْمَوْتِ، وَإِلَّا فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.
وَمِنْ سُبُلِ الْوَقَايَةِ مِنْ كَيْدِهِ وَشَرِّهِ تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ؛ فَكَلَّمَ قَوِيَّ الْإِيمَانِ ضَعُفَ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ، وَالْإِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ وَصِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: 99]، وَالْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ: {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: 200]، وَقِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْمُعَوِّذَاتِ وَالْمُدَاوِمَةُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا جِرٌّ لِلْمُؤْمِنِ وَحِصْنٌ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالْبُعْدُ عَنْ مَوَاطِنِ الْفِتَنِ وَغَضُّ الْبَصَرِ وَحِفْظُ اللِّسَانِ.

الْفِتْنُ... أَسْبَابُ الْوُقُوعِ فِيهَا وَالنَّجَاةُ مِنْهَا

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: ٢٨]

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

كُلَّمَا قَرَّبَ الزَّمَانُ مِنَ السَّاعَةِ كَثُرَتِ الْفِتْنُ وَتَعَظَمَتْ، وَصَفَهَا النَّبِيُّ ﷺ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، السَّعِيدُ مَنْ جَنَّبَهَا، وَالْمَوْفِقُ مَنْ ابْتَعَدَ عَنْ مَوَاطِنِهَا، تَنَسَّقُ لِمَنْ لَا يَتَوَقَّعُ انْسِيَاقَ السَّيْلِ إِلَى مُنْحَدِرِهِ، إِنَّهَا الْفِتْنُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ إِبْلِيسَ وَخُيُودَهُ يَسْعَوْنَ لِفِتْنَةِ الْمُسْلِمِ وَسَلْبِ إِيْمَانِهِ، تَارَةً بِالشُّبُهَاتِ وَتَارَةً بِالشَّهَوَاتِ، وَالْمُؤْمِنُ مَا دَامَ حَيًّا لَا يَأْمَنُ عَلَى دِينِهِ، فَقَدْ خَافَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ قَائِلًا: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ أَمْنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامًا} [إبراهيم: 35]، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ زَمَانِ الْفِتْنِ الَّذِي يَبِيعُ فِيهِ النَّاسُ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ يَأْمَنُ الْعَبْدُ فِي زَمَانٍ تَمُوجُ فِيهِ الْفِتْنُ؟

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ لِلتَّائِثِ بِالْفِتْنِ أَسْبَابًا فَاخْذَرُواهَا؛ فَمِنْهَا: مَرَضُ الْقَلْبِ وَزَيْغُهُ وَقَسْوَتُهُ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ مَرَضُ الْمَرْءِ ازْدَادَ تَقَبُّلُهُ لِلْفِتْنِ وَإِسْرَاعُهُ إِلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} [الحج: 53]. وَيَقُولُ ﷺ: «تُعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرَضَ الْحَصِيرِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِنَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِنَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: أَبْيَضٌ مِثْلَ الصَّفَا لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرَبَّدٌ كَالْكُوزِ مُجَحَّيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ.» (199))

وَمِنْ أَسْبَابِهَا: التَّعَرُّضُ لِلْفِتَنِ وَالْإِفْتِرَابُ مِنْهَا؛ فَلَا يَزَالُ الْمَرْءُ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْفِتَنِ وَيَقْتَحِمُهَا، فَيَدْخُلُ فِي الْمَوَاقِعِ، وَيَتَابِعُ الْحِسَابَاتِ، وَيَسْتَمِعُ لِلشُّبُهَاتِ، وَيَنْظُرُ لِلْعُورَاتِ، حَتَّى يَقَعَ فِي شِرَاكِ الْفِتْنَةِ.

وَمِنْهَا: هِجْرَانُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَرْكُ الْإِعْتِصَامِ بِهِمَا؛ فَإِنَّ الْبُعْدَ عَنْ أَنْوَارِ الْوَحْيِ يُفْقِدُ الْقَلْبَ بَصِيرَتَهُ، فَإِذَا عَرِضَتْ لَهُ الْفِتْنَةُ وَجَدَتْ مَحَلًّا قَابِلًا لِلْبَذْرِ وَالْعَرَسِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ أخطرَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ أَنْ يَتَسَبَّعَ بِالْفِتْنَةِ، ثُمَّ يَصِيرَ دَاعِيَةً إِلَيْهَا، مُؤَثِّرًا فِي النَّاسِ بِنَشْرِهَا، فَيَصِيرُ حِينِيذٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ، وَيَنَالُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، (200) كَمَنْ يَدْعُو غَيْرَهُ لِمُشَاهَدَةٍ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ، أَوْ يُزِينُ لَهُ سَمَاعَ الْمُحَرَّمِ، أَوْ يُعِيدُ تَسْرَ صُورَةٍ أَوْ مَقْطَعٍ فِيهِ فِتْنَةٌ مُضِلَّةٌ مِنْ فِتَنِ الشُّبُهَاتِ أَوْ الشَّهَوَاتِ.

وَلَا تَكُنْ بِحَظِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُكُ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ. فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِهِ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

أَخِي الْمُبَارَكُ: إِنَّ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ يَكُنْ فِي أُمُورٍ، فَاسْتَمْسِكْ بِهَا؛ فَمِنْهَا: الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ أَنْ يُعِينَكَ مِنَ الْفِتَنِ، قَالَ حَدِيثُهُ [2]: يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْعَرِيقِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» (201). وَمِنْهَا: الْبُعْدُ عَنْ مَوَاطِنِ الْفِتَنِ، وَالْفِرَارُ مِنْهَا، وَاعْدَمَ تَعْرِيطِ النَّفْسِ لَهَا، قَالَ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالْذَّجَالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ - ثَلَاثًا يَقُولُهَا - فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ فَيَتَّبِعُهُ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ بِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ». (202)

فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا مَعَكَ مِنَ الْإِيمَانِ فَتُفْتَنَ؛ فَإِنَّ الشُّبُهَةَ خَطَافَةٌ، وَالْقُلُوبَ ضَعِيفَةٌ. وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الثَّبَاتِ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ الصَّبْرُ وَاسْتِحْضَارُ عِظَمِ الْأَجْرِ؛ فَكَلَّمَا اسْتَدَّتْ الْفِتْنُ عِظَمَ أَجْرٍ مَنْ ثَبَّتَ عَلَى دِينِهِ. وَقَالَ ﷺ: «يَأْتِي زَمَانُ الصَّابِرِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». (203)

200) أخرجه مسلم في صحيحه، (2674).

201) أخرجه مسلم في صحيحه، (2867).

202) أخرجه أبو داود في سننه، (4319)، وصححه الألباني.

203) أخرجه الترمذي في سننه، (3058).

يَوْمُ الْجُمُعَةِ ... عِيدُ الْأُسْبُوعِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} [الرعد:10]، اصْطَفَى مِنْ عِبَادِهِ مَنْ أَخْلَصَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِى الدَّارِ، وَجَعَلَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا بَعْدُ: فَالْوَصِيَّةُ بِتَقْوَى اللَّهِ هِيَ: وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَوَصِيَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ، فَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَجَمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ، وَخَيْرُ لِبَاسٍ وَزَادٍ، وَأَعْظَمُ وَسِيلَةٍ لِرِضَا رَبِّ الْعِبَادِ.

عِبَادَةُ اللَّهِ:

يَوْمٌ جَلَّ بَيْنَ الْأَيَّامِ قَدْرُهُ، وَعَلَا فِي الْإِسْلَامِ ذِكْرُهُ، يَوْمٌ هَدَى اللَّهُ إِلَيْهِ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، وَأَضَلَّ عَنْهُ الْأُمَمَ الْأُخْرَى، يَوْمُ السَّمَاعِ لِلْمَوْعِظَةِ وَالذِّكْرِ، يَوْمُ التَّرُودِ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْبُشْرَى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر:18].

يَوْمٌ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَحْتَفِي بِالْحَاضِرِينَ إِلَيْهِ، يَوْمٌ أَوْجَبَ اللَّهُ السَّعْيَ إِلَيْهِ، وَحَرَّمَ الْأَنْشِغَالَ بِغَيْرِهِ عِنْدَ التَّدَايِ إِلَيْهِ، ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ)). (204)

يَوْمٌ اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ وَاخْتَصَّ بِهِ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، إِنَّهُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَا عِبَادَ اللَّهِ، عَظَّمَهُ اللَّهُ، وَمِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعْظِيمُ شَعَائِرِهِ {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج:32].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

عَرَفَ قَوْمٌ فَضَائِلَهُ فَاسْتَبَقُوا فِيهِ الْخَيْرَاتِ، وَاعْتَنَمُوا أَوْقَاتَهُ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، {أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون:61]. وَمِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ: صَلَاةُ الْجُمُعَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهَا مُبَكِّرًا، وَأَنْ يَأْتِيَ بِسُنَنِهَا وَأَدَابِهَا: مِنَ الْإِغْتِسَالِ وَالتَّطَيُّبِ، وَاتِّخَاذِ الزَّيْنَةِ، وَالْعِنَايَةِ بِالْبَدَنِ، وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَرْوِحُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ لِلْإِمَامِ إِذَا تَكَلَّمَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى» (205)، «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، وَمِثْلُ

(204) أخرجه مسلم في صحيحه، (854).

(205) أخرجه البخاري في صحيحه، (301/1).

الْمُهَجَّرَ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَهُ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبَشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوُّوا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» (206)، فَهَنِيئًا لِلْمُبَكِّرِينَ، الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، وَلَا خَيْرَ لَهُمْ عَامِلُونَ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

فَرَطَ قَوْمٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ مُتَكَاسِلُونَ، فَيُخْشَى عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ» (207)، مِنْهُمْ مَنْ بِجَوَارِ الْمَسَاجِدِ بُيُوتُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهَا يَقْلُوبُهُمْ، قَوْمٌ غَافِلُونَ مُتَهَافُونَ كَأَنَّهُ لَمْ يَطْرُقْ آذَانُهُمُ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ، فَلَمْ يَعْرِفُوا لِهَذَا الْيَوْمِ حَقَّهُ، وَلَمْ يَكْتَرِثُوا بِفَضْلِهِ، لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا أَنَّهُ يَوْمٌ فَرَاغَ وَنُزْهَةٌ وَلَهُو، فَيُخْشَى عَلَى مَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ أَنْ يَطْبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ فَتَعَمَّى بِصِيرَتُهُ قَالَ ﷺ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ» (208)، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ. عِبَادَ اللَّهِ: وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لِسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْإِكْتِنَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَبْدَأُ وَقْتُ أَفْضَلِيَّةِ الْإِكْتِنَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِغُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْحَمِيسِ، وَيَمْتَدُّ إِلَى غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ وَفِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ أَنَّهَا تُرَبِّي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ تَعْظِيمَ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَفِيهَا تَرْبِيَةٌ لِلْقَلْبِ عَلَى تَعْظِيمِ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ الْمُكْتَنِرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَذِكْرِ اسْمِهِ يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ بِهَذَا الْإِسْمِ، فَتَزْدَادُ مَحَبَّتُهُ وَإِجْلَالُهُ، وَالْجَرُّصُ عَلَى اقْتِنَاءِ سُنَّتِهِ وَاتِّبَاعِ هَدْيِهِ، وَمِنْ فَوَائِدِهَا أَنَّهَا سَبَبٌ لِلْإِكْتِنَارِ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَهَذَا فَضْلٌ كَبِيرٌ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا.

(206) أخرجه البخاري في صحيحه، (1/ 314).

(207) أخرجه مسلم في صحيحه، (1/ 325).

(208) أخرجه مسلم في صحيحه، (2/ 591).

التَّبَكُّيرُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ... دَلِيلُ التَّعْظِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمًا فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ، تَجْتَمِعُ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَتُظْهَرُ فِيهِ حَقِيقَةُ أُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ، يَوْمًا عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَجَعَلَ تَعْظِيمَهُ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِ سَبَبًا لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا،

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ تَعْظِيمَ شَعَائِرِ اللَّهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ اللَّهِ "يَوْمَ الْجُمُعَةِ"؛ {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج:32]، وَبَقَدَرٍ مَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ، تَكُونُ الْإِسْتِجَابَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال:24].

إِنَّ الْمُبَادَرَةَ وَالتَّبَكُّيرَ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- عِلَامَةٌ مُحِبَّةٌ لِلَّهِ؛ فَإِنَّمَا يُسَارِعُ الْعَبْدُ إِلَى مَا يُحِبُّ، {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} [طه:84]، فَالْمَسَارَعَةُ إِلَى أَوَامِرِ اللَّهِ دَلِيلٌ مُحِبَّتِهِ وَصَدَقَ الْإِيمَانِ، وَحِينَ تَكُونُ النَّفْسُ مُتَطَلِّعَةً لِرِضَا رَبِّهَا، تُسَابِقُ فِي كُلِّ طَرِيقٍ يُوصلُهَا لِمَرْضَاتِهِ.

عباد الله:

عَرَفَ قَدْرَ هَذَا الْيَوْمِ عِبَادٌ مُوَفَّقُونَ، يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، فَقَامُوا بِحَقِّ هَذَا الْيَوْمِ إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا، فَاعْتَنَمُوهُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَبِرِضَاهُ؛ بَادَرُوا فِيهِ بِالْصَّدَقَةِ، وَبَكَّرُوا لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَعَمَرُوهُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالدُّعَاءِ، وَالْإِكْتِمَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاعْتَنَامِ آخِرِ سَاعَةٍ مِنْهُ يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ؛ {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات:61] {خِئْتُمُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين:26].

فَانظُرُوا -عِبَادَ اللَّهِ- إِلَى مَنْ اغْتَنَمُوا فِيهِ أَوْقَاتَهُم بِالتَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، وَتَأَمَّلُوا فِي تَفَاضُلِ الْأَجُورِ بِاخْتِلَافِ أَوْقَاتِ التَّبَكُّيرِ وَالْمُبَادَرَةِ؛ انظُرُوا إِلَى مَنْ قَرَّبَ "بِدَنَةً" فِي السَّاعَةِ الْأُولَى، وَقَارَنُوهُ بِمَنْ قَرَّبَ "بَبِيضَةً" فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ! فَكَيْفَ لَا يَرْضَى الْمَرْءُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ بِالْقَلِيلِ مَعَ إِمْكَانِ الْكَثِيرِ، ثُمَّ يَرْضَى فِي أُمُورِ آخِرَتِهِ بِالْقَلِيلِ!؟

إِنَّ التَّأَخُّرَ عَنِ الْحُضُورِ إِلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَالتَّكَاسُلَ عَنِ التَّبَكُّيرِ إِلَيْهَا، وَالتَّنَاقُلَ وَالانْشِغَالَ عَنْهَا بِغَيْرِهَا؛ كُلُّ ذَلِكَ عِلَامَةٌ عَلَى ضَعْفِ تَعْظِيمِ اللَّهِ فِي الْقُلُوبِ بِقَدَرٍ مَا يَقَعُ فِيهِ الْمَرْءُ مِنَ التَّفْرِيطِ؛ فَإِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعْظِيمَ شَعَائِرِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة:9].

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله.

عباد الله:

لقد تشاغل كثيرٌ من الناس عن التذكير إلى صلاة الجمعة، وفوّتوا على أنفسهم ساعاتٍ من الفضائل، وقد لا يحضر بعضهم إلا بعد دخول الإمام وقد "طوت الملائكة صُحفها". عبد الله... كم من جمعة طوت فيها الملائكة الصُحف ولم يكتب اسمك في ديوان المُبكرين؟ أما يخشى المتكاسل والمتناقل أن يكون ذلك علامة خذلانٍ وجرمانٍ، أو أن يكون ممّن استحوذَ عليهم الشيطان؟

وليحذر المرء إذا رأى نفسه متكاسلاً عن القيام للطاعة أن يكون ممّن ذمّه الله في هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَاَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]، وليجاهد المرء نفسه {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: 6]، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69].

ولتجنب - عباد الله - كل سبب يعوقنا عن التذكير إليها، ومن أشدها: "السهر ليلة الجمعة"، ولنعظم هذا اليوم في قلوبنا وقلوب أبنائنا وأهلينا، ونذكرهم بفضائله، ونتنافس فيه على البر والخير، ونحذر أن نكون ممّن لا يعرف للجمعة قدراً ولا يرى لها فضلاً: {وَمَنْ يَعَشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: 36]. اللهم اعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، واجعلنا يا ربنا ممّن يسارعون في الخيرات، ويعتقون أوقاتهم بالطاعات الصالحات.

شعبان... شهر التهينة ورفع الأعمال

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، أُنْتُمْ عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَتُهُ، سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَجَعَلَ شَهْرَ شَعْبَانَ مُبَشِّرًا بِقُدُومِ رَمَضَانَ وَبِرَكَّتِهِ؛ لِتَنْهَيْتِ النُّفُوسَ وَتَرْكُؤِ الْقُلُوبِ؛ شَوْقًا لِمَقْدِمِهِ، فَتَقْبِلُ عَلَى رَبِّهَا رَجَاءَ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، فَهِيَ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا.

عِبَادَ اللَّهِ:

شَهْرٌ يَغْفُلُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، تَهْبُ فِيهِ نَسَائِمُ الْإِيمَانِ، وَكَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُكْثَرَ فِيهِ الصِّيَامُ: شَهْرُ شَعْبَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرٍ مِنَ السَّنَةِ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا». (209)

وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الصِّيَامِ فِيهِ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ، أَفَلَا نُحِبُّ مَا أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ وَنَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ فِيهِ بِأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

شَعْبَانُ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَبِأَيِّ حَالٍ نُحِبُّ أَنْ يَرَانَا اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ تُرْفَعُ أَعْمَالُنَا؟

وَفِي رَفْعِ الْأَعْمَالِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الشَّهْرِ رِسَالَةٌ لِلْعِبَادِ؛ بِتَنْقِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغُلِّ وَالشَّحْنَاءِ وَالْأَحْقَادِ، لِتَصْفَوْ الْقُلُوبَ فَتَذُوقَ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ وَحَلَاوَةَ الْإِيمَانِ. وَكَيْفَ يَجْدُ الْمَرْءُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِالشَّحْنَاءِ وَالْأَضْعَانِ؟

وَلِذَلِكَ كَانَتْ الشَّحْنَاءُ مِنْ مَوَانِعِ رَفْعِ الْأَعْمَالِ، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُصْلِحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ وَقَعَتْ مَعَهُمْ خُصُومَةٌ أَوْ هَجْرٌ أَوْ قَطِيعَةٌ؛ لِتُرْفَعَ أَعْمَالُهُ، وَيُقْبَلَ عَلَى رَبِّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَمِنْ التَّهْنِئَةِ لِهَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ: مُرَاجَعَةُ أَحْكَامِ الصِّيَامِ، وَتَذَكُّرُ آدَابِهِ وَسُنَنِهِ وَفَضَائِلِهِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ تُحَوِّزُ النَّفْسَ إِلَى تَحْصِيلِهِ، وَتُعِينُهَا عَلَى عَدَمِ إِضَاعَةِ شَيْءٍ مِنْهُ، فَشَهْرُ شَعْبَانَ تَمْهِيدٌ وَتَدْرِيبٌ وَتَأَهُبٌ لِتَلْقَى شَهْرَ رَمَضَانَ، لِتَرَئَاضِ النُّفُوسِ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ شَهْرَ شَعْبَانَ إِطْلَالَةٌ وَتَمْهِيدٌ لِلْمَوْسِمِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ صَيْفٌ كَرِيمٌ، وَجَدِيرٌ بِالصَّيْفِ أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهُ بِالضِّيَافَةِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ، وَأَنْ تُرَوِّضَ النَّفْسُ عَلَى الطَّاعَةِ قَبْلَ خُلُوبِهِ. فَأَحْرَصْ عَلَى إِنْهَاءِ مَشَاغِلِكَ فِي شَعْبَانَ؛ لِيَسْتَسَيَّ لَكَ التَّقَرُّغُ فِيهِ، فَإِنَّ التَّخْلُصَ مِنْهَا الْآنَ أَحْفَظُ لَوْفَتِكَ، وَأَجْمَعُ لِشَعْتِ قَلْبِكَ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ: أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ أَيَّامٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ تَأْخِيرُهَا إِلَى دُخُولِ رَمَضَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ غَيْرِ غُذْرٍ شَرْعِيٍّ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ بِالْقَضَاءِ. كَمَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يُذَكِّرَ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَلَا سَيِّمًا النِّسَاءَ، فَإِنَّ التَّسْوِيفَ فِي الْقَضَاءِ تَفْرِيطٌ، وَيَأْتِيهِمْ مِنْ آخِرِ الْقَضَاءِ مِنْ غَيْرِ غُذْرٍ شَرْعِيٍّ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

النِّعَمُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِذَا أَلْفَيْتَ نُسَيْبَتَ، وَقَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل:18].

وَتَذَكُّرُ النِّعَمِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بِاعْتِثْ عَلَى شُكْرِهَا، وَمَعَ اسْتِدَادِ الْبَرْدِ وَلَفْحِ الشِّتَاءِ يَأْوِي الْمَرْءُ إِلَى بَيْتٍ يُؤْوِيهِ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا، لَا خَوْفَ يَغْتَرِيهِ، يَجِدُ فِيهِ طَعَامًا يُشْبِعُهُ، وَفِرَاشًا وَلِبَاسًا يُدْفِئُهُ؛ أَفَلَا نَتَذَكَّرُ نِعَمَ اللَّهِ، فَتَقُومُ بِوَاجِبِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَالنَّثَاءِ عَلَى الْمُنْعِمِ جَلَّ جَلَالُهُ، بِالْقَلْبِ اعْتِرَافًا، وَبِاللِّسَانِ ثَنَاءً، وَبِالْجَوَارِحِ طَاعَةً وَامْتِنَالًا وَانْقِيَادًا؟

كَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي نِعْمَةٍ غَافِلٍ عَنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ، وَمِنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ الْقِيَامَ بِحَقِّهَا، ثُمَّ تَذَكَّرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَانًا لَكُمْ شَرُّدُوا فِي الْعَرَاءِ، يَعِيشُونَ فِي صَقِيعِ الشِّتَاءِ تَحْتَ خِيَامٍ لَا تَكْنُفُهُمْ، وَعَلَى فُرْشٍ لَا تُدْفِئُهُمْ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لَهُمْ الْمَعُونَةَ، وَاجْتَهِدُوا لَهُمْ فِي الدُّعَاءِ، وَوَأَسُوهُمْ وَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، « فَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ».

(210)

رمضان... بشارة المتقين وزاد الصادقين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ، وَجَعَلَهَا غَنِيمَةً لَهُمْ تُغْفَرُ فِيهَا الذُّنُوبُ وَتُكَفَّرُ فِيهَا السَّيِّئَاتُ وَتَرْفَعُ فِيهَا الدَّرَجَاتُ، وَاخْتَصَّ بِفَضْلِهِ عِبَادًا وَقَفَّهْمُ فَجَعَلَهُمْ بِإِذْنِهِ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [سورة التوبة: 119].

عِبَادَ اللَّهِ: مَا هِيَ إِلَّا بَضْعَةُ أَيَّامٍ وَيَحُلُّ عَلَيْنَا شَهْرُ رَمَضَانَ؛ شَهْرُ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَالْقُرْآنِ، شَهْرُ الْبِرِّ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ، شَهْرُ الْعُنُقِ وَالْغُفْرَانِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَوْسِمًا لِلتَّرْوِدِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَمِيدَانًا لِلتَّنَافُسِ فِي الْخَيْرَاتِ، شَهْرٌ يَسْتَقْبِلُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالِاغْتِبَاطِ، وَيَسْتَشْعِرُونَ عَظَمَةَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِإِذْرَاكَ هَذَا الشَّهْرِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ فِيهِ، وَيُسَلِّمَهُ لَهُمْ وَيَسَلِّمَهُ مِنْهُمْ مُقَبَّلًا.

عِبَادَ اللَّهِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُعَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ». (211)

وَمِنْ خَيْرٍ مَا يُسْتَقْبَلُ بِهِ شَهْرُ رَمَضَانَ يَا عِبَادَ اللَّهِ: تَجْدِيدُ التَّوْبَةِ وَالْإِكْتِنَارُ مِنَ الْإِسْتِعْفَارِ؛ لِأَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ مَا قَدْ يَحْرُمُ الْعَبْدَ التَّوْفِيقَ وَتَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ وَرَبِّهِ، فَإِنَّ سُوءَ الذُّنُوبِ يُورِثُ الْجُرْمَانَ وَيَكُونُ سَبَبًا فِي الْخِذْلَانِ، وَالْإِصْرَارُ عَلَيْهَا يَحْرُمُ الْعَبْدَ ذَوْقَ حَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ وَلَذَّةِ الْعِبَادَةِ، فَالِاسْتِعَالُ بِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ وَتَنْقِيَّتِهَا وَسَلَامَتِهَا أَمْرٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّ طَهَارَتَهَا هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى الْعِقَّةِ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَآثِمِ، وَبِهَا تُشْرَقُ أَنْوَارُ الْقُلُوبِ.

وَمِمَّا يُسْتَقْبَلُ بِهِ هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيمُ: اللَّجُؤُ إِلَى اللَّهِ وَالِافْتِقَارُ إِلَيْهِ وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَسُؤَالُ اللَّهِ الْعَوْنُ وَالتَّوْفِيقُ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الْمَأْتُورِ: «رَبِّ اعْنِي وَلَا تُعِنِ عَلَيَّ» (212)، وملازمة هذا الدعاء مع تدبر معناه: «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ». (213)

عِبَادَ اللَّهِ: وَمَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ فَلْيَصْدُقِ اللَّهَ؛ فَإِنَّ الصَّادِقَ مَعَ رَبِّهِ تَعَالَى يَبْلُغُ بِصِدْقِ نِيَّتِهِ مَا يَبْلُغُ الْعَامِلُ إِنْ تَعَدَّرَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِالْعَمَلِ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ أَنْفَعُ مِنْ صِدْقِهِ رَبَّهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ مَعَ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ: { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ }

(211) أخرجه النسائي في سننه، (3/ 96): (2427).

(212) أخرجه أبو داود في سننه (2/ 83): (1510).

(213) أخرجه أبو داود في سننه (2/ 86): (1522).

[محمد: 21]. وَمَنْ صَدَقَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ صَنَعَ اللَّهُ لَهُ فَوْقَ مَا يَصْنَعُ لغيرِهِ، وَأَصْدَقَ النَّاسَ مَنْ صَحَّ إِخْلَاصُهُ وَتَوَكَّلَهُ، وَمَتَى مَا صَدَقَ إِقْبَالَ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَجَدَ الْمَرْءُ طَعْمَ الْعِبَادَةِ وَحَلَاوَتَهَا، فَتَكُونُ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَبَهْجَةَ قَلْبِهِ وَنَعِيمَ رُوحِهِ؛ فَالصِّدْقُ مَعَ اللَّهِ مِغْيَارُ الْأَعْمَالِ وَمِفْتَاحُ بَرَكَاتِهَا وَبِهِ تُرْجَى ثَمَرَاتُهَا.

فَانُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْجِدَّ وَالْإِجْتِهَادَ وَمُضَاعَفَةَ الْعِبَادَاتِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَابْتَغُوا أَنْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْكُمْ عَلَى نِيَّتِكُمْ، عَلَيْهِمْ بِسْرِيرَتِكُمْ، فَمَتَى مَا رَأَى مِنْكَ الصِّدْقُ سَدِّدَكَ وَأَعَانَكَ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ رَمَضَانَ مِنْ أَنْفُسِ لَحَظَاتِ الْعُمْرِ، وَمِمَّا يَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ لَا يُفَرِّطُ فِي لَحْظَةٍ مِنْهُ أَنْ يَنْدَكِرَ وَصَفَ اللَّهُ لَهُ بِأَنَّهُ {أَيَّامًا مَعْدُودَاتٌ}. وَهِيَ رَسُولُهُ فُرْأَنِيَّةٌ تُذَكِّرُ الْمُؤْمِنَ بِأَنْ يَجْتَهِدَ فِيهَا بِأَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَجَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ شِعَارُهُ فِيهَا {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ}.

{أَيَّامًا مَعْدُودَاتٌ} تُنَبِّهُ الْمُؤْمِنَ بِأَنْ لَا يَتَرَكَ فُتُورُهُ فِي أَوْقَاتِ الْغَنَائِمِ وَمَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَنْتَزِلُ فِيهَا الرَّحْمَاتُ وَالتَّقَاتِ؛ فَإِنَّ الْغَنَائِمَ مَعَ أَهْلِ الْعَزَائِمِ.

{أَيَّامًا مَعْدُودَاتٌ} تُشْعِرُ بِسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَقُرْبِ رَحِيلِهَا، فَلْيُحْسِنِ الْعَبْدُ اسْتِقْبَالَهَا وَيَجِدْ بِهَمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ فِي اسْتِثْمَارِهَا؛ فَإِنَّ الْفُرْصَةَ إِذَا مَضَتْ لَا تَعُودُ. فَسَلِّ رَبَّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَادْعُهُ بِبِقِينٍ أَنْ يُعِينَكَ فِيهَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَيُوفِّقَكَ فِيهَا إِلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْمَعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنْ حِكْمِ الصَّوْمِ وَمَقَاصِدِهِ الْعُظْمَى: تَحْقِيقُ النَّفْوَى، فَالصِّيَامُ مَدْرَسَةٌ يَتَرَبَّى فِيهَا الْمُسْلِمُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَتَصُومُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ صَوْمِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

وَلِذَا فَإِنَّ مِمَّا يَجِبُ حِفْظُهُ: حِمَايَةُ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّ عَرَضَ الْحَرَامِ عَلَى الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ يَكْثُرُ فِي رَمَضَانَ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ ذَهَابِ أَجْرِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ بِمَعَاصِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ. قَالَ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». (214)

اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ فِي أَحْسَنِ حَالٍ، وَوَفَّقْنَا فِيهِ لِقِيَامَهُ وَصِيَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا.

شَهْرُ رَمَضَانَ ... مَوْسِمُ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَمَنْ عَلَيْنَا بِمَوَاسِمٍ؛ لِنَكُونَ لِمَنْ اغْتَنَمَهَا زَادًا فِي الدُّنْيَا، وَذُخْرًا لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ حَتَّى إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ يُقَالُ لَهُمْ: {كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة:24]، فَلِلَّهِ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ نَفَحَاتٌ تَنْتَزِلُ فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، الَّذِينَ يَسْتَبِقُونَ فِيهَا الْخَيْرَاتِ وَالْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، فَتُغْفَرُ لَهُمْ فِيهَا الدُّنُوبُ، وَتُرْفَعُ لَهُمْ فِيهَا الدَّرَجَاتُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ {يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون:60].

عِبَادَ اللَّهِ:

دَابُّ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ، وَسِمَةُ أَوْلِيَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِهَا يُعْرَفُ مَقَامُ الْمَرْءِ فِي تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الدِّينِ، وَبِهَا تُسْتَقْبَلُ نَفَحَاتُ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ: إِنَّهَا عِبَادَةُ الْفَرَحِ وَالْإِسْتِبْشَارِ بِشَهْرِ مُبَارَكٍ، شَهْرِ الْعِبَادَةِ الَّتِي اخْتَصَّهَا اللَّهُ بِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، قَالَ ﷺ: ((الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) (215)، {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:58].
وَأَعْظَمُ الْفَرَحِ مَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَبِهِ سُبْحَانُهُ، وَيَكْتَابُهُ وَدِينُهُ، وَذِكْرُهُ وَفَرَائِضُهُ، وَمَوَاسِمُهُ وَشَعَائِرُ دِينِهِ؛ فَأَكْثَرُ النَّاسِ يَفْرَحُونَ بِمَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدُّنْيَا، وَلَا يَفْرَحُونَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ، { وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ } [الرعد:26].

عِبَادَ اللَّهِ:

كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِقُدُومِ شَهْرِ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُعَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَلِلَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهُ عُقَاةٌ مِنَ النَّارِ؟ (216)
كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِقُدُومِهِ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؟
كَيْفَ لَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِقُدُومِ شَهْرِ مَنْ صَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؟ (217)

عِبَادَ اللَّهِ:

وَلِهَذَا فَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَمَضَانَ، وَكَانَ يُبَشِّرُ بِهِ أَصْحَابَهُ؛ فَهُوَ فَرَحٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَغُفْرِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، وَفَضْلِهِ، وَإِحْسَانِهِ بِعِبَادِهِ.

(215) أخرجه البخاري في صحيحه، (7054).

(216) أخرجه الترمذي في سننه، (682)، وصححه الألباني.

(217) أخرجه البخاري في صحيحه، (1802).

إِنَّ فَرَحَ الْمُؤْمِنِ بِرَمَضَانَ دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِهِ لَهُ، وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ، وَإِبْنَارِهِ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ فَرَحَ الْعَبْدِ بِالشَّيْءِ عِنْدَ حُصُولِهِ لَهُ عَلَى قَدَرِ مَحَبَّتِهِ لَهُ وَرَغْبَتِهِ فِيهِ، فَمَنْ لَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشَّيْءِ لَا يَفْرَحُهُ حُصُولُهُ، وَلَا يَحْزَنُهُ فَوَائِدُهُ، فَالْفَرَحُ تَابِعٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالرَّغْبَةِ، وَيَلْزَمُ مِنْهُ التَّهَيُّؤُ وَحُسْنُ الْإِسْتِعْدَادِ، وَالضَّيْفُ إِذَا أَقْبَلَ فَحَقُّهُ أَنْ تُكْرِمَ وَفَادَتُهُ.

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ أَشَدِّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَنْ نُهَيِّئَ الْقُلُوبَ لِاسْتِقْبَالِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ يُقَطَّعُ بِالْقُلُوبِ، وَعَلَى قَدَرِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ يَكُونُ السَّبَرُ وَالْعَزْمُ؛ لِأَنَّ أَيَّ حَرَكَةٍ لِلْعَبْدِ إِنَّمَا هِيَ أَنْتَرُ لِمَا فِي الْقَلْبِ، فَصَلَاحُ الْقَلْبِ سَبَبٌ لِصَلَاحِ الْعَمَلِ، وَالْقَلْبُ مَحَلُّ نَظَرِ الرَّبِّ. اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ فِي أَحْسَنِ حَالٍ، وَوَقِّفْنَا لِإِقْيَامِهِ وَصِيَامِهِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَجِدَ لَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ فِي ذِكْرِهِ، وَصَلَاتِهِ، وَتِلَاوَتِهِ، وَدُعَائِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُهَيِّئَ قَلْبَهُ، وَيُزِيلَ حُجُبَ الذُّنُوبِ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ؛ فَالذُّنُوبُ حِجَابٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ، وَالْإِنْصِرَافُ عَمَّا يُبْعَدُ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَاجِبٌ. فَأَحْرَصْ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ رَمَضَانُ إِلَّا وَأَنْتَ نَقِيٌّ؛ فَإِنَّ رَمَضَانَ عِطْرٌ، وَلَا يُعْطَرُ النَّوْبَ حَتَّى يُغْسَلَ، وَالتَّوْبُ الَّذِي عَلِقَتْ بِهِ الْأَوْسَاخُ أَحْوَجُ إِلَى الصَّابُونِ مِنْهُ إِلَى الْبُخُورِ.

نُفُوسُكُمْ مَطَايَاكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَأَصْلِحُوا مَطَايَاكُمْ تُوصِلْكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ. هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَجَمَكُمْ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اسْتَقْبَالُ رَمَضَانَ ... فَقُهُ وَاسْتِعْدَادُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، يَجْتَنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ، هَيَّا لِعِبَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالتَّوَابِ مَا يُوفِي فِيهِ الْمُتَّقُونَ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ { أَمَنْ هُوَ فَنِتْ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [سورة الزمر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ قَرِينُ التَّقْوَى، { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف:90].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مِنْ أَعْظَمِ مَوَاسِمِ الْمُؤْمِنِ، وَأَعْلَاهَا، وَأَنْفُسِهَا، وَأَشْرَفِهَا، وَأَرْكَأَهَا، جَعَلَهُ اللَّهُ مِضْمَارًا لِعِبَادِهِ؛ يَسْتَقْبِلُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، فِيهِ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَالنَّفَحَاتِ مَا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا مُعْطِيهَا سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

حَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يُعْظَمَ رَمَضَانُ، وَيَسْتَقْبَلَهُ بِقَلْبٍ مُقْبِلٍ عَلَى الطَّاعَةِ؛ فَهُوَ شَهْرُ التَّقْوَى وَالرَّحْمَةِ وَالْفُرْانِ. أَوْقَاتُهُ نَفِيسَةٌ لَا تُفَدَّرُ بِثَمَنٍ؛ فَالْسَّعِيدُ مَنْ اغْتَنَمَهَا، وَبِالْفُرْطَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ عَمَرَهَا، { فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ } [القصص:67]، فَاعْمُرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - بِالصَّالِحَاتِ شَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَلْيُحْرِصِ الْمُؤْمِنُ عَلَى اسْتِحْضَارِ النَّبِيِّ الصَّالِحَةِ، وَالْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةِ؛ لِيُذْرِكَ بِذَلِكَ الْمَغْفِرَةَ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) (218)؛ أَيُّ: إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَإِخْلَاصًا لَهُ، وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَتَصَدِّيقًا بِخَبَرِهِ وَبِالْأَمْرِ بِهِ، وَعِلْمًا بِوُجُوبِهِ وَحُكْمِهِ، وَاعْتِقَادَ فَرَضِيَّتِهِ، وَتَصَدِّيقًا بِوَعْدِ اللَّهِ بِالتَّوَابِ عَلَيْهِ، وَاحْتِسَابًا بِأَنْ يَطْلُبَ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، طَيِّبَةً بِذَلِكَ نَفْسُهُ، غَيْرَ مُسْتَقْبِلٍ لِصَيَامِهِ، وَلَا مُسْتَطِيلٍ لِأَيَّامِهِ.

وَلْنَعْلَمْ - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْعَايَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شَرَعَ اللَّهُ الصِّيَامَ هِيَ: تَحْقِيقُ التَّقْوَى؛ فَبِالتَّقْوَى بَدَأَتْ آيَاتُ الصِّيَامِ {يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَقُونُ { [البقرة: 21] ،وبها ختمت { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { [البقرة: 187]. اللَّهُمَّ أَتِ نَفْسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ مِنْهُ الْمُؤْمِنُ: لُصُوصَ رَمَضَانَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، الَّذِينَ يَسْرِقُونَ أَنْفُسَ الْأَوْقَاتِ، بِمَا يَبْنُونَهُ فِي وَسَائِلِ إِغْلَامِهِمْ عَبْرَ الْفَضَائِيَّاتِ مِنْ مُسْلَسَلَاتٍ وَتَمَثِيلِيَّاتٍ، يُسْتَهْزَأُ فِيهَا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَشَعَائِرِهِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَبِمَا يَعْزُضُونَهُ فِيهَا مِنْ فِتَنِ وَمُغْرِيَّاتٍ، وَشُبُهَاتٍ وَشَهَوَاتٍ وَمُحَرَّمَاتٍ؛ يُشْبِعُونَ فِيهَا الْفَاحِشَةَ، وَيُسَوِّفُونَ لِلرَّذِيلَةِ.

فَاحْذَرُوهُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَفِرُّوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَطَّاعِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ، { وَلَا تَتَكَبَّحُوا الْمَشْرُوكَ حَتَّى يَوْمٍ وَلَآمَةٌ مُؤَمَّنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرَكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُتَكَبَّحُوا الْمَشْرُوكَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعِبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ { [البقرة: 221]؛ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا { [سورة الأنعام: 112]، { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا { [النساء].

فَالْخَاسِرُ مِنَ اسْتِجَابِ لِعَوَايَتِهِمْ، وَأَرْحَصَ وَقْتَهُ، وَأَفْسَدَ قَلْبَهُ وَدِينَهُ بِدَنَسِهِمْ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ تَحَقُّقِ الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنَ الصِّيَامِ، وَهِيَ: تَقْوَى اللَّهِ. وَالرَّابِعُ مَنْ أَعْلَقَ مَنَافِذَهُمْ، وَحَفِظَ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَقَلْبَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَرَجْسِهِمْ، { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا { [النساء: 27]. فَاحْذَرُوا كَيْدَ الشَّيَاطِينِ، وَاغْتَنِمُوا نَفَحَاتِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)) (219). اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ، وَوَقِّفْنَا لَصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا.

انْتِصَفَ رَمَضَانَ، وَعَظِيمُ أَجْرِ الْمُتَّقِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ رَحْمَتَهُ قَرِيبًا مِنْ عِبَادِهِ الْمُحْسِنِينَ، وَيَجْزِي بِفَضْلِهِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَيُخْلِفُ النَّفَقَةَ عَلَى الْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ يُجِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [سورة التغابن].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

اغْتَنِمُوا لَيْلِي وَأَيَّامًا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَضَاعِفُوا فِيهَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ؛ لِتَنَالُوا عَظِيمَ الْأَجْرِ مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ {ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} {آل عمران:195}، و{لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصفات]، {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين:26].

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ مَضَى مِنْ رَمَضَانَ صَدْرُهُ، وَانْقَضَى مِنْهُ شَطْرُهُ، وَاكْتَمَلَ فِيهِ بَدْرُهُ، فَاعْتَنِمُوا أَوْقَاتَهُ، وَاعْمُرُوا سَاعَاتِهِ بِالْقُرْبَاتِ وَالْمُنْجِيَاتِ وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَاسْتَبِقُوا فِيهِ الْخَيْرَاتِ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَ لَاغْتِنَامَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ لِمَوْلَاهُ وَلِسَانِ حَالِهِ {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [النمل:19]، وَاحْذَرُوا التَّسْوِيفَ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُشْغَلَكُمْ الصَّوَارِفُ وَالْمُلْهِيَاتُ عَنْ اغْتِنَامِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى مَرْضَاتِهِ.

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ((يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)). (220)

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هِيَ بَرْهَانٌ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبَابٌ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْإِحْسَانِ، وَبِهَا يَسْتَنْظِلُ صَاحِبُهَا تَحْتَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ، وَتَرْكِيبَةٌ لِلنَّفْسِ مِنْ أَفَةِ الشَّحِّ وَالْأَدْرَانِ، تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ مَعَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ وَسَبَبٌ لِنَيْلِ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، تَطْيِيبٌ بِهَا نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَظْلُنُ بِهَا نَفُوسُ الْمُنَافِقِينَ، تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَمْحُو أَثَرَ الذَّنْبِ وَتَقِي صَاحِبَهَا مِنَ النَّارِ، بِهَا تَنْشَرُخُ الصُّدُورُ، وَتَنْتَبِهُرُ الْأُمُورُ، بَرَكَةٌ فِي الْمَالِ وَالْعُمْرِ وَالْأَهْلِ وَنَمَاءٌ، وَسَبَبٌ لِرَفْعِ وَدَفْعِ الْبَلَاءِ، صَاحِبُهَا مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ نَفْسًا، وَأَشْرَجِهِمْ صَدْرًا، وَأَنْعَمِهِمْ

عَيْشًا، وَلِعَظَمَ شَأْنَهَا جَعَلَ اللَّهُ أَبَا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا: ((وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ))، (221) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ { [البقرة].

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: ((فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ)) (222)، ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ثَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنْ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)) (223). أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

((كَانَ النَّبِيُّ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ، وَكَانَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)) (224) فِي شَهْرِ الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ تَسْتَنِيرُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ جَدْوَةُ الْإِيمَانِ، فَتَكُونُ النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ بِالْخَيْرِ سَخِيَّةً، وَالْأَيْدِي بِالْعَطَاءِ نَدِيَّةً، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ طَرِيقٌ إِلَى دَارِ السَّلَامِ { وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ { [المزمل:20].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.

(221) أخرجه البخاري في صحيحه، (1798).

(222) أخرجه البخاري في صحيحه، (6077).

(223) أخرجه مسلم في صحيحه، (1016).

(224) أخرجه البخاري في صحيحه، (1803).

اغتنم مواسم الخيرات في عشر ذي الحجة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ لِلْخَيْرَاتِ، وَحَنَّهُمْ فِيهَا عَلَى الْإِسْتِكْنَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَوَعَدَهُمْ بِعَظِيمِ الْأَجْرِ، وَوَاسِعِ الْعَطَايَا وَالْهَيَاتِ، وَجَعَلَهَا لَهُمْ مَرْبَحًا وَمَغْنَمًا، وَبَابًا إِلَى رَحْمَتِهِ وَسَلْمًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} ٧٠ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ٧١ ﴿[الأحزاب: 70-71].

إخوة الإيمان:

سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الْمُتَّقِينَ، وَدَابُّ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَدَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْإِيمَانِ، وَصِدْقِ الْيَقِينِ، وَعَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ إِنَّهَا الْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَاغْتِنَامُ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ بِالْقُرْبَاتِ وَالْبَقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ. وَوَصَفَ اللَّهُ أَهْلَهَا بِقَوْلِهِ { وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } ١١٤ ﴿[سورة آل عمران].

إخوة الإيمان:

الْمَرْءُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ لَا يَطُولُ عُمرُهُ، وَلَقَدْ عَوَّضَ اللَّهُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ عَنْ قِصَرِ أَعْمَارِهَا بِبَرَكَاتِ أَعْمَالِهَا، وَمَوَاسِمِ لِلْخَيْرَاتِ يُضَاعَفُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجُورُ؛ لِيَزِدَادَ الْمُؤْمِنُونَ رِفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِمْ، وَيَسْتَدْرِكَ الْمُقْصِرُونَ مَا فَاتَهُمْ. وَمِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي أَعْلَى اللَّهُ شَأْنَهَا وَعَظُمَ أَمْرُهَا أَيَّامُكُمْ هَذِهِ: أَيَّامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ. فِيهِ الْحَدِيثُ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا، مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى» (225)، فَهِيَ خَيْرُ أَيَّامٍ، يُحِبُّ اللَّهُ [?] الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِيهِنَّ، «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ». (226)

عباد الله:

إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا، وَاكْثَرُوا فِيهَا مِنْ أَوْجِهَةِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، كُلُّ حَسَبٍ قُدْرَتِهِ وَطَاقَتِهِ، وَفَضْلُ اللَّهِ وَاسِعٌ. وَالْمَوْفَقُ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ، فَعَمَرَ عَشْرَهُ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَنَّبَ فِيهَا الْمَعَاصِيَ وَالْمُحَرَّمَاتِ. وَإِذَا أَيْقَنَ الْمَرْءُ بَأَنَّ الْعُمَرَ قَصِيرٌ، وَالْبَاقِي مِنْهُ يَسِيرٌ، فَلَنْ يُضَيِّعَ نَفْسَ عُمَرِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ صَالِحٍ. وَاللَّيْبُ الْعَاقِلُ يُسَارِعُ وَيُبَادِرُ قَبْلَ الْعَوَاقِقِ وَالْعَوَارِضِ؛ فَالصَّحَّةُ يَغْتَرِيهَا الْمَرَضُ، وَالْقُوَّةُ يَعْقُبُهَا الْوَهْنُ، وَالشَّبَابُ يَتْبَعُهُ الْهَرَمُ. قَالَ ﷺ: «اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» (227)، وَهَذِهِ

225) أخرجه الدارمي في سننه، (1774) قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح

226) أخرجه الترمذي في سننه، (757)، وصححه الألباني.

227) أخرجه الحاكم في مستدركه، (4/ 341): وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

الْخَمْسُ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَا يُعْرِفُ قَدْرَهَا إِلَّا بَعْدَ زَوَالِهَا، وَمَتَى حِيلَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْعَمَلِ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا الْحَسْرَةُ وَالْأَسَفُ عَلَيْهِ، وَيَتَمَنَّى الرُّجُوعَ إِلَى حَالَةٍ يَتِمَكَّنُ فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَلَا تَنْفَعُهُ الْأُمْنِيَّةُ. «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». (228)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَزِيدَ اجْتِهَادَهُ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ، وَيَضْرِبَ بِسَهْمٍ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَأَبْوَابِ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ. وَمِمَّا يُحْسِنُ التَّنْبِيهَ عَلَيْهِ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ» (229)، فَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي صِيَامِهِ، وَأَنْ يَحْتَ أَهْلَ بَيْتِهِ.

وَمِنْ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمَرْءُ إِلَى رَبِّهِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ أَيَّامِ السَّنَةِ، إِرَاقَةُ الدَّمِ؛ بَأَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِأَطْيَبِ الْأَضَاحِي وَأَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفُسَهَا عِنْدَ أَهْلِهَا: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَفْرَنَيْنِ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا، وَسَمَّى وَكَبَّرَ». (230)

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّذَكُّيرُ بِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شُرِعَتِ الْأُضْحِيَّةُ، وَهِيَ سُنَّةُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، دَرْسٌ عَظِيمٌ يَنْبَغِي أَنْ نَعِيَهُ، وَهُوَ دَرْسُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالْإِقْيَادِ لِشَرْعِهِ، فَلَا تَتَّبِعْ قَدَمَ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالْإِسْتِسْلَامِ. أَوْمُرُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْمَنَامِ بَأَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ، فَلَمْ يَتْلَكَا، وَلَمْ يَتَرَدَّ، وَلَمْ يَتَنَاقَلَ، وَلَمْ يَطْلُبِ الْحِكْمَةَ مِنْ رَبِّهِ، بَلْ أَسْلَمَ أَمْرُهُ لِلَّهِ، وَأَسْلَمَ الْإِبْنُ أَمْرَهُ لِلَّهِ؛ بَيْنَمَا تُؤْمَرُ أُمَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ، فَيَجَادِلُونَ نَبِيَّهُمْ: { اتَّخَذْنَا هُرُوءًا } [البقرة: 67]، { أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ } [البقرة: 68]. { أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا } [البقرة: 69]. { فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } [البقرة: 71]. شِعَارُ أُمَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا"، وَشِعَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيْنَا ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا: "سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا". فَيَنْبَغِي أَنْ نَعِيَ هَذَا الدَّرْسَ، وَهُوَ دَرْسُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالتَّسْلِيمِ لِشَرْعِ اللَّهِ، وَالْإِقْيَادِ لِأَمْرِهِ، وَأَنْ نُضَحِّي بِكُلِّ مَحْبُوبٍ نُرَاحِمُ مَحَبَّتَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ.

(228) أخرجه مسلم في صحيحه (2577).

(229) أخرجه أحمد في مسنده، (22674) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(230) أخرجه البخاري في صحيحه، (5238).

عَامٌ جَدِيدٌ... دَعْوَةُ لِلْمَحَاسِبَةِ وَالتَّجْدِيدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} ٦٢، {سُبْحَانَهُ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ٢٨١ {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَنَ شَبَابًا} ١٧ {الَسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا} ٨٤ {اللَّهُمَّ قِنَا عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ}.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَنُحْنُ فِي مُقْتَبَلِ عَامٍ هَجْرِيٍّ جَدِيدٍ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُهَلِّهَ عَلَيْنَا وَعَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ، وَيُعِزَّ فِيهِ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَيُذِلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ فِي قَوَارِعِ الدَّهْرِ لَعِبْرًا، وَإِنَّ فِي حَوَادِثِ الْأَيَّامِ لَمُزْدَجَرًا، فَاعْتَبِرُوا بِمَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَسُرْعَةِ مُرُورِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، الْفُرَصِ تَفُوتُ، وَالْأَجَلُ مُؤَفَّتُ، وَالْحَيَاةُ أَيَّامٌ مَحْدُودَةٌ، وَأَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا، وَمَنْ لَمْ يَغْتَنِّمْ عُمْرَهُ نَدِمَ عِنْدَ بُلُوغِ أَجَلِهِ: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} ٩٩ {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}، فَعُمْرُكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ رَأْسُ مَالِكَ، وَهُوَ مَرَرَةٌ عَتِكَ لِأَجْرَتِكَ، {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}. الْوَفْتُ هُوَ رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ الَّذِي يَتَجَرَّ فِيهِ مَعَ اللَّهِ، وَيَطْلُبُ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ الْحَسَنُ: مَا مِنْ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إِلَّا وَيُنَادِي: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا يَوْمٌ جَدِيدٌ، وَعَلَى عَمَلِكَ شَهِيدٌ، فَاعْتَمِنِي فَإِنِّي لَا أَعُودُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، فَإِذَا ذَهَبَ يَوْمُكَ ذَهَبَ بَعْضُكَ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا مُحَاسِبَةُ أَنْفُسِنَا، قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدِمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ١٨٨، {هَذِهِ آيَةُ أَصْلُ فِي مُحَاسِبَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَفَقَّدهَا، فَإِنْ رَأَى زَلَلًا تَذَارَكُهُ بِالْإِفْلَاحِ عَنْهُ، وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ رَأَى نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فِي أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ بَذَلَ جُهْدَهُ وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ فِي تَكْمِيلِهِ وَتَتْمِيمِهِ وَإِتْقَانِهِ، فَإِنَّ الْجُرْمَانَ كُلَّ الْجُرْمَانِ أَنْ يَغْفَلَ الْعَبْدُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَيُشَابِهَ قَوْمًا نَسُوا اللَّهَ وَغَفَلُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، فَأَنْسَاهُمْ اللَّهُ مَصَالِحَ أَنْفُسِهِمْ، فَصَارَ أَمْرُهُمْ فَرَطًا، وَرَجَعُوا بِخُسْرَانِ الدَّارَيْنِ، {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}، وَهَلَاكَ النَّفْسُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ إِهْمَالِ مُحَاسِبَةِ

النَّفْسِ، وَمِنْ مُوَافَقَتِهَا وَاتِّبَاعِ هَوَاهَا. الْكَسْبُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ — يَعْنِي: حَاسَبَهَا — وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ (231)، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرْهُ يَعْفِرْ لَكُمْ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ [?] ذَكَرَ مَوْقِفَيْنِ عَظِيمَيْنِ يَنْدُمُ فِيهِمَا الْإِنْسَانُ عَلَى ضَيَاعِ الْوَقْتِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ مَغْبُوتًا خَاسِرًا فِي حَيَاتِهِ:

المُوقِفُ الْأَوَّلُ: سَاعَةُ الْإِحْتِصَارِ؛ حِينَما يَنْزِلُ الْمَوْتُ بِالْعَبْدِ الْمُفْرَطِ، فَيَقُولُ: { رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ } ١٠، { يَتَمَنَّى تَأْخِيرَ الْأَجَلِ، { وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا } وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا } وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ { [المنافقون: 11].

المُوقِفُ الثَّانِي: فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ حِينَما يَقُولُ الْمُفْرَطُ فِي جَنبِ اللَّهِ حِينَ يَرَى الْعَذَابَ: { فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الزمر: 58]. قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ [?]: "وَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمْرُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ وَقْتِهِ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمْرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ مُحْسُوبًا مِنْ

حَيَاتِهِ، وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَيْشَ الْبَهَائِمِ؛ فَإِذَا قَطَعَ وَقْتُهُ فِي الْعَقْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرٌ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبَطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ". (232)

(231) أخرجه الترمذي في سننه، (2459).

232 (الداء والدواء، (ص156).

نِعْمَةُ الْغَيْثِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ بَدْعِ شَهْرِ رَجَبٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاسِعِ الْمَجِيدِ، { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } (٢٨: { [الشورى: 28]، خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَأَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، فَأَنْشَأَ فِيهَا سَحَابًا تَقَالًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاشْكُرُواهُ بِمَا آفَأَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْخَيْرَاتِ، وَمَا أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْطَارِ وَالْبَرَكَاتِ، وَتَأَمَّلُوا هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي تَتَوَالَى عَلَيْكُمْ، فَكَلَّمَا جَدَّدَ لَكُمْ رَبُّكُمْ نِعْمَةً فَجَدِّدُوا لَهَا حَمْدًا وَشُكْرًا، وَقَوْمُوا بِحَقِّهَا طَاعَةً لِلَّهِ وَتَنَاءً وَذِكْرًا. أَسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمْ فِيهَا أَعْطَاكُمْ، وَأَنْ يُتَابِعَ عَلَيْكُمْ مَنَافِعَ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ؛ فَإِنَّ الشُّكْرَ يَقْبَلُ النِّعَمَ وَيُبَارِكُهَا، وَإِنْ كَفَرَ هَا يَمْحَقُهَا وَيُذْهِبُ بَرَكَتَهَا. وَكُلُّ شَيْءٍ مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ فَإِنْ صَاحِبَهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَوْ كَثُرَ. فَاسْتَشْعِرُوا جَلَالَ هَذِهِ النِّعَمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَاعْرِفُوا قَدْرَهَا، وَقَوْمُوا بِحَقِّهَا، وَاجْتَهِدُوا فِي شُكْرِهَا. وَالشُّكْرُ فِي جَانِبِ الْعَمَلِ أَعْظَمُ وَأَوْفَى مِنْهُ فِي الْقَوْلِ. قَالَ تَعَالَى: { أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ } (١٣: { [سبأ: 13].

وَالشُّكْرُ يَتَعَلَّقُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِالْقَلْبِ: لِلْمَعْرِفَةِ وَصِدْقِ الْمَحَبَّةِ. بِاللِّسَانِ: لِلتَّنَائِي وَالْحَمْدِ. بِالْجَوَارِحِ: فِي اسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَةِ الْمُنْعِمِ وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِيهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا نَزَلَ الْغَيْثُ عِلْتَ عَلَى الْوُجُوهِ بِهِجَتْهَا، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَهَا، وَأَخْرَجَتْ بَرَكَاتَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، الثُّفُوسُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُسْتَبْشِرَةٌ، وَالْقُلُوبُ بِفَضْلِهِ مُبْتَهَجَةٌ؛ { فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الروم: 48]. مِنْ غَيْثِهِ الْمُبَارَكِ، يَشْرَبُونَ، وَمِنْ نَتَاجِهِ يَأْكُلُونَ، وَبِهِ يَنْتَهَرُونَ.

{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } ٦٨ { ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ } ٦٩ { لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } ٧٠ { [الواقعة: 68-70]، { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَعَلَّاهُ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدِلُونَ } ٦٠ { [النمل: 60].

{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } ١٠ { يُثْبِتُ لَكُمْ فِيهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ١١ { [النحل: 10-11].

تَجْرِي بِهِ الْجَدَاوِلُ وَالْأَنْهَارُ، وَتَنْفَجِّرُ مِنْهُ الْعُيُونُ وَالْآبَارُ، وَتَخْتَرِنُهُ الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَ فِيهِ الْأَرْضَ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِيرُونَ } ١٨ { [المؤمنون: 18].

سَمَّاهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ رَحْمَةً، { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ } [الأعراف: 57]. { فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ } [الروم: 50]، فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ

امْتَلَأَ قَلْبُهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا وَخَشْيَةً لَهُ وَتَسْلِيمًا، وَعَظَّمَ يَقِينَهُ وَرَجَاؤَهُ بِرَبِّهِ، وَلَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

أَمَرَ اللَّهُ بِالشُّكْرِ عَلَى نِعَمِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْغَيْثِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنَ الْمَنَافِعِ، {٣٢} وَءَايَةً لَهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ أَلْمِيتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ {٣٣} وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ {٣٤} لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ {يس: 33-35}.

اللهم اجعلنا شاكرين لنعمه مثنين بها عليك قابليها، وأتمها علينا يا ذا الجلال والإكرام، أقول ما سمعتم، وأسْتَغْفِرُ اللهَ لي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عباد الله: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ أَهْمِيَّةَ الْإِتْبَاعِ وَخَطَرَ الْإِبْتِدَاعِ، فَكَانَ يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا. وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» (233). وَبِالْإِتْبَاعِ ثَنَالُ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمُتَّبِعَ مُعَظَّمٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَتَنَاقَلُ كَثِيرٌ مِنَ الضُّلَّالِ وَالْمُبْتَدِعِينَ رِسَائِلَ فِي الْإِحْتِفَاءِ بِشَهْرِ رَجَبٍ، وَإِقَامَةِ ضُرُوبٍ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ لَمْ يَأْذَنْ بِهَا الشَّرْعُ. وَقَدْ نَصَّ الْعُلَمَاءُ كَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ، وَالْإِمَامُ النَّوَوِيُّ، وَابْنُ الْقَيِّمِ، وَابْنُ حَجَرٍ، وَابْنُ رَجَبٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَدِيثٍ يُرَوَّى فِي صَوْمِ رَجَبٍ أَوْ الصَّلَاةِ فِيهِ كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ (234)، وَعَلَيْهِ فَلَا يَعْتَمِدُ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا. وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ: أَنَّ شَهْرَ رَجَبٍ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، فَيَنْبَغِي مُرَاعَاةَ حُرْمَةِ هَذِهِ الْأَشْهُرِ لِمَا خَصَّهَا اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ لِمَا لَهَا مِنَ الْحُرْمَةِ، وَلِأَنَّ الْمَعَاصِي تَعْظُمُ بِسَبَبِ شَرَفِ الزَّمَانِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ. {إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة: 36].

(233) أخرج مسلم في صحيحه، (867).

(234) ينظر: أقوالهم مجموعة في «موقع الإسلام سؤال وجواب» (5/ 3288 بترقيم الشاملة آليا).

الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ... طَرِيقُ الْهُدَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَاخْتَصَّ بِفَضْلِهِ مَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، أَمَرَ بِالْعِلْمِ وَرَفَعَ مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِهِ الْعَامِلِينَ دَرَجَاتٍ: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ { [المجادلة:11]، فَلَا حَسَنَةَ إِلَّا وَالْعِلْمُ مِفْتَاحُهَا، وَلَا مُحَمَّدَةَ إِلَّا وَمِنْهُ يُتَّخَذُ مَصْنَبُهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الْعِلْمِ، وَبِهَا يُنَالُ الْفَهْمُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ بِهَا الْبَصِيرَةَ { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [سورة البقرة].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَرِيَاضُ الْعُقُولِ، وَلَدَّةُ الْأَرْوَاحِ، بِهِ تُعْرِفُ الشَّرَائِعَ وَالْأَحْكَامَ، وَيَتَمَيَّزُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، هُوَ سَبِيلُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمِفْتَاحُ عِبَادَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ؛ فَيَسْأَلُكَ بِهِ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَسْأَلَهُ الْمَزِيدَ مِنْهُ { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } ١١٤ { [طه:114]؛ إِنَّهُ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ النَّافِعُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، وَيُبْتَغَى بِهِ رِضَاؤُهُ، الْعِلْمُ الَّذِي يَغْرِسُ فِي الْقَلْبِ خَشْيَةَ اللَّهِ، وَيُثْمِرُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنْ مَنْ تَأَمَّلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَدْرَكَ عَظِيمَ مَنَزَلَةِ الْعِلْمِ، وَرَفِيعَ قَدْرِهِ وَشَرَفَ أَهْلِهِ؛ فَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ كَلِمَةِ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ مَرَّةٍ بِصِيغٍ وَتَصْرِيفَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَحَسْبُكَ أَنْ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْوَحْيِ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ أَمْرًا بِالْقِرَاءَةِ { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ١ { [العلق:1].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

مَدَحَ اللَّهُ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ، وَحَثَّ عِبَادَهُ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّزَوُّدِ مِنْهُ، فَلَا شَيْعَالَ بِالْعِلْمِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ وَأَجَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَوَّلَى مَا أَنْفَقَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَوْقَاتِ، وَبَادَرَ إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِهِ الْمُسَارِعُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، الْعِلْمُ النَّافِعُ يُورِثُ الْيَقِينَ الَّذِي تَزُولُ بِهِ الْوَسَاوِسُ، وَتَنْدَفِعُ بِهِ الشُّبُهَاتُ، وَيَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الشَّهَوَاتِ، الْعِلْمُ هِيَ إِلَهِيَّةٌ وَمِنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، يَمُنُّ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } ١٠٥ { [البقرة:105].

الْعِلْمُ عِبَادَ اللَّهِ: هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَمَصْنَبُحٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى، يُخَلِّدُ اللَّهُ بِهِ ذِكْرَ صَاحِبِهِ بَيْنَ الْوَرَى وَإِنْ كَانَ تَحْتَ الثَّرَى، وَلَا يَنْقُطِعُ عَمَلُهُ بِانْقِضَاءِ أَجَلِهِ، الْعِلْمُ وَسِيلَةٌ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَتَعْلَمُ مَا لَا يَسْغُ الْمُسْلِمُ جَهْلُهُ

فَرِيضَةٌ ﴿١٩﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْدَكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ { [الرعد: 19].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

رَحَرَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِأَحَادِيثٍ تُعْنِي مِنْ شَأْنِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (235)، فَمِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ: أَنْ يَفْتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الْفَقْهِ فِي الدِّينِ، وَ«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (236)، وَكَانَ ﷺ يَدْعُو فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ بِهَذَا الدُّعَاءِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُقْبَلًا». (237)

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْمَعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

❖ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَشْعَرَ مَكَانَةَ الْعِلْمِ وَمَنْزِلَتَهُ وَفَضْلَ أَهْلِهِ أَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ حَظًا وَنَصِيبًا مِنْهُ، فَلَا يَفُوتُ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِهِ إِلَّا وَيَتَرَوَّدُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَإِنْ قَلَّ. وَلِنَعْلَمَ عِبَادَ اللَّهِ: أَنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ، وَالْعَمَلُ ثَمَرُهَا، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يُثْمِرُ عَمَلًا؛ بَلْ هُوَ حُجَّةٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَحَسْرَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ». (238)

فَطَرِيقُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ، وَتِلْكَ سَبِيلُ الْمُرْسَلِينَ وَطَرِيقُ الْفَائِزِينَ { رُسُلُهُ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [سورة البقرة: 285]، سَمِعَ تَتْلُوهُ طَاعَةً، وَعِلْمٌ يَتْلُوهُ عَمَلٌ.

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا، اللَّهُمَّ يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ وَدَاوُدَ عَلِّمْنَا، وَيَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ فَهِّمْنَا، {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ٣٢.

235) أخرجه البخاري في صحيحه، (71).

236) أخرجه مسلم في صحيحه، (2699).

237) أخرجه ابن ماجه في صحيحه (925)، وصحه الألباني.

238) أخرجه مسلم في صحيحه، (2722).

الماء... سر الحياة ومنبعها

الْحَمْدُ لِلَّهِ يُرِي عِبَادَهُ أَثَارَ رَحْمَتِهِ، وَمَظَاهِرَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ، لِيَتَّقُوهُ وَيُطِيعُوهُ، وَيَذْكُرُوا آلَاءَهُ، وَيَتَحَدَّثُوا بِنِعَمِهِ، وَيَشْكُرُوهُ، وَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيُعَظِّمُوهُ: { ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [يونس:3]: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل:53]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: { يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } [الشورى:28]، وَأَشْهَدُ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ وَصِيَّةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْأُولَيْنِ وَالْآخِرِينَ: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } [النساء:131]، اللَّهُمَّ أَنْتَ نَفْسَنَا تَقْوَاهَا وَرَزَقَهَا أَنْتَ خَيْرَ مَنْ رَزَقَهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ وَمَنْبَعُهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَأَوَّلِهَا، جَعَلَهُ اللَّهُ أَسَاسَ الْحَيَاةِ وَغُنْصَرَهَا، إِذَا نَزَلَ غَلَبَ الْوُجُوهَ بَهْجَتِهَا، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَهَا، وَأَخْرَجَتْ رِزْقَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا، حَقْلَ الْقُرْآنِ بِذِكْرِهِ وَتَمَرَاتِهِ، وَعَظِيمَ أَثَرِهِ وَبَرَكَاتِهِ، فِي أَكْثَرِ مِنْ سِتِّينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ: { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } ٦٨ ﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ ٦٩ ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٠ ﴿ } [الواقعة:68-70]، { أَمَنْ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُلُونَ } ٦٠ ﴿ } [سورة النمل:60]: { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ } [الحجر:21].

مِنْ غَيْثِهِ الْمُبَارَكِ يَشْرَبُونَ وَمِنْ نِتَاجِهِ يَأْكُلُونَ، وَبِهِ يَتَطَهَّرُونَ: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } ١٠ ﴿ } [النحل:10]. { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الرِّزْقَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ١١ ﴿ } [سورة النحل:11]، النَّفُوسُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مُسْتَنْشِرَةٌ، وَالْقُلُوبُ بِفَضْلِهِ مُبْتَهَجَةٌ { فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَنْشِرُونَ } [الروم:48]، تَجْرِي بِهِ الْجَدَاوِلُ وَالْأَنْهَارُ، وَتَنْفَجِّرُ مِنْهُ الْعُيُونُ وَالْأَبَارُ، وَتَخْتَرْنُهُ الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ } [المؤمنون:18]: { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } ١٢ ﴿ } وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَأَكَّةُ مِنْ خَيْفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ } ١٣ ﴿ } [الرعد:12-13].

عِبَادَ اللَّهِ:

الْمَاءُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُوجِبَةِ لِلْإِيمَانِ: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } [الأنبياء:30]، فَمَا أَحْوَجَنَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ إِلَى التَّفَكُّرِ، فَالْتَفَكَّرْ يَوْعُ صَاحِبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ

عَلَى مَا لَا يُوقِعُهُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ الْمُجَرَّدُ. وَمَا أَكْثَرَ مَا نَدْبَيْنَا الْقُرْآنُ إِلَى ذَلِكَ لِتَمَتُّلِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةً لِخَالِقِهَا، وَتَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا وَخَشْيَةً وَاسْتِسْلَامًا وَذُلًّا وَخُضُوعًا.

عِبَادَ اللَّهِ: قِيدُوا نِعَمَ اللَّهِ بِشُكْرِ اللَّهِ، وَأَحْسِنُوا عِبَادَ اللَّهِ جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا قَلَّ مَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

خَتَمَ اللَّهُ آيَةً مِنْ آيَاتِ الْغَيْثِ بِقَوْلِهِ فَأَنْظِرْ إِلَى ءَاثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ { [الروم: 50]، وَالنَّظَرُ هُنَا بَعَيْنُ الْبَصَرِ وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ؛ لِتَمَتُّلِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةً لِرَبِّهَا، وَتَعْظِيمًا لَهُ، وَطَمَعًا فِي غَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَعَدَمِ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ مِنْ رُوحِهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِرَحْمَتِهِ وَالتَّبَعِدِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ لَهَا.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِشِيرٍ وَنَذِيرٍ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ٥٦ { [الأحزاب: 56].

الشِّتَاءُ... رَبِيعُ الْمُؤْمِنِينَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ فِي تَعَاقُبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ذِكْرَى وَعِبْرًا، وَفِي تَقَلُّبِ الْأَرْمَانِ وَالْفُصُولِ آيَاتٍ وَمَذَكَّرًا، وَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنِ إِلَهًا مُدَبِّرًا: {إِنْ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} [يونس:6]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (٢٨١) { [البقرة:281].

عِبَادَ اللَّهِ:

هُوَ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَغَنِيمَةُ الْعَابِدِينَ، وَغِبْطَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَبَابٌ عَظِيمٌ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْمُتَصَدِّقِينَ، نِعَمَ زَمَانُ الْمُؤْمِنِ هُوَ: إِنَّهُ الشِّتَاءُ، رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ، طَالُ لَيْلُهُ فَقَامُهُ، وَقَصُرَ نَهَارُهُ فَقَصَامُهُ.

تَعَلَّمَ الصَّالِحُونَ مِنَ الشِّتَاءِ عِبْرَةً وَعِظَاتِهِ، وَسَارَعُوا فِيهِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَحَبَّتِهِ فَهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، لَمْ يَقْعُدْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ لَفْحُ صَيْفٍ وَلَا بَرْدُ الشِّتَاءِ: {أَمَّنْ هُوَ قَبْلَتْ عَائَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَجْرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:9].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

ابْتَلَى اللَّهُ عِبَادَهُ بِأَنْ جَعَلَ أَجْزَاءً مِنْ عُبودِيَّتِهِ فِيمَا يَكْرَهُ الْعَبْدُ؛ لِيُبْرِهِنَ الْعَبْدَ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِ، وَصِحَّةِ يَقِينِهِ، وَكَمَالِ تَسْلِيمِهِ لِرَبِّهِ، وَلَا يُحَقِّقِ الْعَبْدُ تَمَامَ الرِّضَى بِاللَّهِ حَتَّى يُحَقِّقَ الْعُبودِيَّةَ فِيمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ، وَالرَّاضِي إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى احْتِمَالِ الْمَكَارِهِ وَالْآلَامِ فِي ذَاتِ اللَّهِ مَا يَجِدُهُ مِنْ لَذَّةِ الرِّضَا وَخِلَافَتِهِ، فَتَكُونُ الْمَشَقَّةُ عِنْدَهُ مَحْبُوبَةً لَا لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا لِعِلْمِهِ بِرِضَا اللَّهِ عَنْهُ بِسَبَبِهَا، وَلِمَا يَرْجُوهُ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا.

وَمِنْ مَكَارِهِ الشِّتَاءِ: مُفَارَقَةُ دِفْءِ الْفِرَاشِ، وَقَطْعُ الْإِسْتِغْرَاقِ فِي النَّوْمِ وَلَذَائِهِ لِإِقْبَامِ اللَّيْلِ أَوْ لَشُهُودِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي الْفَجْرِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((عَجِبَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ نَارَ عَنْ وَطْأِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ جَبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَايِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، نَارَ عَنْ وَطْأِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ جَبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي))، وَفِي رَوَايَةٍ: ((مَا سَأَلَنِي فَهُوَ لَهُ)) (239). فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ الْكَرَامَةَ الْعَظِيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ هَانَتْ عَلَيْهِ مَكَارُهُ الْوُضُوءِ وَالْإِغْتِسَالِ، وَهَجَرَ النَّوْمَ وَالْفِرَاشَ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَهَانَ عَلَيْهِ الْخُرُوجُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ، فَمَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ الْخُلُوةِ بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ، وَأَهَمَّ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ وَفِي لَهْوِهِمْ، وَجَدُوا لَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ وَنَعِيمَ الْخُلُوةِ

بِالله، فَتَجَافَتْ جُنُوبُهُمْ عَنْ مَصَاجِعِهِمْ، وَفَارَقَ النَّوْمُ أَعْيُنَهُمْ، وَاکْتَفَوْا بِالْخُلُوةِ بِرَبِّهِمْ عَنْ غَشْيَانِ مَجَالِسِ السَّمَرِ وَاللهِ وَالْعَقْلَةِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ: وَاللهُ تَعَالَى يُعَظِّمُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُثُوبَةَ عَلَى تَحْمِلِ الْمَكَارِهِ فِي طَاعَتِهِ، فَمِنْ أَسْبَابِ مَحْوِ الْخَطَايَا وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ (240)، وَشِدَّةُ الْبَرْدِ وَشِدَّةُ الْحَرِّ نَفْسَانِ مِنْ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا — لِتُذَكِّرَ الْعِبَادَ فِي الدُّنْيَا بِنَارِ الْآخِرَةِ؛ لِيَتَّقُوا مَا يُورِدُهُمْ إِيَّاهَا، وَيَأْخُذُوا بِأَسْبَابِ النِّجَاتِ مِنْهَا. اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ، فَتَذَكَّرُ النِّعَمَ بَاعِثٌ عَلَى شُكْرِهَا وَالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ فَقَدَهَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّبَاسِ الَّذِي يَقِيهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ: {وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [النحل:5]، وَنِعْمَةُ الْبُيُوتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ سَكَنًا وَرَاحَةً لِأَهْلِهَا: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} [النحل:80]، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَأَوَانَا، وَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي» (241)؛ وَمَعْنَى أَوَانَا: رَدَّنَا إِلَى سَكْنٍ وَمَأْوَى. فَتَذَكَّرُوا - عِبَادَ اللهِ - إِخْوَانًا لَكُمْ شَرَدَتْهُمْ الْقَوَى الظَّالِمَةُ، فَهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَطْفَالُهُمْ فِي مَلَاجِئٍ وَمُخَيَّمَاتٍ لَا تَقِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَصَقِيعِ الْأَرْضِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، فَقَدْ مَسَّتْهُمْ الْبِاسَاءُ وَالضَّرَاءُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ.

(240) أخرجه مسلم في صحيحه، (251).

(241) أخرجه مسلم في صحيحه، (2715).

يَوْمَ التَّنَادِي... مَشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَامِعِ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، أُنْذِرَ عِبَادَهُ يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ فِيهِ عَلَى يَدَيْهِ؛ لِيَتَذَكَّرَ الْعِبَادُ يَوْمَ الْجَمْعِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَتُوبُوا وَيُتَبَّعُوا إِلَيْهِ، وَيَسْتَجِيبُوا لِرَبِّهِمْ، وَيَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَانْقُضُوا اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (٢٨١) [البقرة: 281].

عِبَادَ اللَّهِ:

رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَسِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، أُنْذِرْنَا اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَلَا تَكَادُ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ، صَفْحَةً مِنْ صَفَحَاتِ نَبَاهِ الْعَظِيمِ، خَافَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَأَرَقَّ ذِكْرُهُ مَضَاجِعَ {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، وَالَّذِينَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}؛ إِنَّهُ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: {إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنَةٍ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) [هود: 103-105].

عِبَادَ اللَّهِ:

حَقَّلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِهِ، وَتَكَاثَرَتْ آيَاتُهُ بِوَعِيدِهِ وَوَعْدِهِ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ، بِأَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ يَخْفِقُ لَهَا الْقَلْبُ، وَيَرْجِفُ لَهَا الْفَوَادُ، أَفْرَعُوا — {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} (٥٣) [يونس: 53] {هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ} (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) [سورة المرسلات]، {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} (١٧) {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا} (١٨) {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} (١٩) [سورة المزل]، {أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) {لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنبياء]، {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} (٤) {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ} (٧) وَمَا أَدْرَاكَ {سورة المطففين}، {يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} (٢) [سورة الحج].

عِبَادَ اللَّهِ:

أَيُّ أَثَرٍ عَلَى قَلْبٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ بَايَةَ تَرَسُّخٍ فِي قَلْبٍ مَنْ يَتَدَبَّرُهَا بِعَظَمَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَدَوَامِ الشَّفَقَةِ مِنْهُ، وَاسْتِحْضَارِ لِقَاءِ اللَّهِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ٤٤ { [الفاتحة:4].

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعَاقَبُ بِهِ الْقَلْبُ أَنْ يَكُونَ غَافِلًا عَنْ دَوَامِ تَذَكُّرِ هَذَا الْيَوْمِ، مُنْهَمَكًا فِي دُنْيَاهُ، غَافِلًا عَنْ آخِرَتِهِ {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِلُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِلُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ٣٤ { [الجاثية:34]، {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ١٤٤ { [سورة السجدة:14].
اللَّهُمَّ قِنَا عَذَابَكَ يَوْمَ تَعْبَثُ عِبَادَكَ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ الْمُصَدِّقَ بَيُّومِ الدِّينِ حَقًّا، يَعْمَلُ وَهُوَ نَاطِرٌ لِمِيزَانِ السَّمَاءِ لَا لِمِيزَانِ الْأَرْضِ، لِجِسَابِ الْآخِرَةِ لَا لِجِسَابِ الدُّنْيَا، لَهُ سُلُوكٌ فَرِيدٌ فِي الْحَيَاةِ، تَرَى فِيهِ الْإِسْتِقَامَةَ، وَقُوَّةَ الْإِيمَانِ، وَالتَّوْبَةَ فِي الشَّدَائِدِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ؛ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ، وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، مَلَأَ الْخَوْفُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَلْبَهُ فَأَحْرَقَ الشَّهَوَاتِ، وَسَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ {قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} ١٥٠ { [الأنعام:15]، {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ مِنْ دُونِ هَذِهِ} [سورة الرحمن:46].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ٥٦ { [الأحزاب:56].

التَّمْرُ ... غِذَاءٌ وَبَرَكَهٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَبَارَكَ فِيهَا، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهَا أَشْجَارَهَا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا ثَمَارَهَا، وَجَعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ تُحْجَى فِيهَا ثَمَارُهَا، {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} ٩٤ {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} ١٠٠ {رَزَقًا لِلْعِبَادِ} [ق: 9-11]، فَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا، وَآخِرًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَانْقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَرَاقِبُوهُ مُرَاقِبَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ رَبَّهُ يَسْمَعُهُ وَيَرَاهُ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هُوَ غِذَاءٌ لِلْأَبْدَانِ، وَقُوَّةٌ مِنْهُ يَأْكُلُ النَّاسُ وَيَذْخَرُونَ، وَيُطْعَمُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، يُطْعَمُونَ مِنْهُ جَائِعًا، وَيُفْطِرُونَ مِنْهُ صَائِمًا، وَيُنْحِفُونَ بِهِ زَائِرًا، وَيُهْدُونَ مِنْهُ قَرِيبًا أَوْ صَدِيقًا، هُوَ زَادُ الْمُسَافِرِ، وَسَنَةٌ يُتَسَحَّرُ مِنْهُ وَيُفْطَرُ عَلَيْهِ الصَّائِمُ، إِنَّهُ التَّمْرُ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ فِي مَوْسِمِ جَنَائِهِ، فَلْيَتَذَكَّرِ الْمَرْءُ نِعْمَةَ رَبِّهِ فَيَشْكُرْ مَوْلَاهُ، {٣٢٠} {وَعَايَةً لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} ٣٣ {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} ٣٤ {لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: 33-35].

عِبَادَ اللَّهِ:

امْتَنَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَدْ ذُكِرَتْ شَجَرَتُهُ الْمُبَارَكَةُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صَنْوَانٌ وَغَيْرُ صَنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} ٤٤ {[الرعد: 4]}.

عِبَادَ اللَّهِ:

اذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَاشْكُرُوهُ وَأَنْتُمْ فِي مَوْسِمٍ تَتَجَدَّدُ فِيهِ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا أَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ ثَمَارِ هَذِهِ النَّخِيلِ الَّتِي تُعَمِّرُ بِلَادَكُمْ؛ فَإِنَّ النِّعَمَ إِذَا أُلْفَتْ نُسِبَتْ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ النِّعَمِ، وَيَنْسَوْنَ شُكْرَ الْمُنْعِمِ، {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} ١٤٤ {[النحل: 114]}.

وَمِنْ صُورِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ: إِكْرَامُهَا وَعَدَمُ امْتِهَانِهَا، وَحِفْظُهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا؛ فَبَعْضُ النَّاسِ لَا يُبَالِي بِتَسَاقُطِ التَّمْرِ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَرْزَعَتِهِ أَوْ فِي سُوْقِهِ، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ قَلِيلَ النِّعْمَةِ لَا يَشْكُرُ كَثِيرَهَا، فَمَنْ وَجَدَ ثَمْرَةً سَاقِطَةً فِي الْأَرْضِ فَلْيُكْرِمْهَا بِأَكْلِهَا أَوْ رَفْعِهَا أَوْ التَّصَدَّقِ بِهَا، وَلِثَرَيَّيْ أَوْلَادِنَا عَلَى ذَلِكَ.

وَمِنْ صُورِ شُكْرِهَا: إِخْرَاجُ زَكَاتِهَا إِذَا بَلَغَتْ نِصَابَهَا، وَمِقْدَارُهُ ثَلَاثُمِائَةِ صَاعٍ بِمَا يُعَادِلُ سِتْمِائَةَ كِيلُو تَقْرِيْبًا، وَقَدْ قَدَّرَ أَهْلُ الْخُبْرَةِ أَنَّ مَنْ مَلَكَ خُمْسَ نَخْلَاتٍ غَزِيرَةِ الْإِتْيَاجِ

فَإِنَّهُ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِيهَا، فَلْيَنْتَبِهْ أَصْحَابُ الْإِسْتِرَاحَاتِ، وَإِذَا بَاعَ الْمَالِكُ التَّمْرَ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ تَمْنِهَا.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَاجْعَلْ مَا رَزَقْتَنَا عَوْنًا لَنَا عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلَهَا، وَأَتِمِّمْهَا عَلَيْنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُكُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

وَمِنْ صُورِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ أَنْ يَجْتَهِدَ الْمُسْلِمُ فِي إِخْرَاجِ الصَّدَقَاتِ غَيْرِ الْوَاجِبَةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (242)، وَقَالَتْ عَائِشَةُ □: «جَاءَنِي مُسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» (243). وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». (244)

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ الذَّاكِرِينَ، وَأَنْ يُدْخِلَنَا وَإِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ فِي عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

(242) أخرجه البخاري في صحيحه، (1351).

(243) أخرجه مسلم في صحيحه، (2630).

(244) أخرجه البخاري في صحيحه، (6993).

الخُسُوف والكُسُوف...رِسَالَةٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ فِي السَّمَاءِ سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يُرْسِلَ الْآيَاتِ إِذْأَرًا لَهُمْ وَتَأْثِيرًا، خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَجَعَلَهُمَا آيَتَيْنِ مِنْ آيَاتِهِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، يُخَوِّفُ اللَّهُ بِآيَاتِهِ عِبَادَهُ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَيُنْذِرُهُمْ بِأَسْأَلِهِ لَعَلَّهُمْ يَنْتَضِرُونَ، {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} ٥٩، {وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا نِعْمَةُ الْعُدَّةِ لِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، وَخَيْرُ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: 197]

إِحْوَةُ الْإِيمَانِ:

آيَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَبَرْهَانٌ كَبِيرَانِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، إِنَّهُمَا بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ، كَانَ سَبَبًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالنُّورِ وَالظُّلَامِ، وَانْتِظَامِ الْحَيَاةِ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ، سَخَّرَهُمَا اللَّهُ لِلْعِبَادِ، وَجَعَلَ فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ إِلَّا بِاللَّهِ، {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس: 5]، {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: 33].

عِبَادَ اللَّهِ:

وَفِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَحْصُلُ كُسُوفُ الشَّمْسِ وَخُسُوفُ الْقَمَرِ تَخْوِيفًا لِلْعِبَادِ وَتَذْكِيرًا حَتَّى يُؤْوُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتُوبُوا، وَالتَّخْوِيفُ إِنَّمَا يَكُونُ بِوُجُودِ سَبَبِ الْخَوْفِ، فَعَلِمَ أَنْ كُسُوفَهُمَا قَدْ يَكُونُ سَبَبًا لِأَمْرِ مَخُوفٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُخَوِّفُ عِبَادَهُ بِآيَاتِهِ، {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}، وَالتَّخْوِيفُ بِالْآيَاتِ يَكُونُ بِسَبَبِ تَسَاهُلِ الْعِبَادِ فِي الطَّاعَاتِ، وَانْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ، وَالْمَجَاهَرَةِ بِالْمُنْكَرَاتِ؛ لِيَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَنْتَهُوا عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْتَهِينُوا بِهَذَا التَّخْوِيفِ وَالتَّذْكِيرِ إِلَّا أَهْلُ الْعَقْلَةِ وَالْإِعْرَاضِ وَالِاسْتِكْبَارِ، {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنَ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ}، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ صَدُّهُمْ عَنْ مَنْ يُرِيدُ تَخْوِيفَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَسُخْرِيَّتُهُمْ بِهِمْ {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} ١٢ {وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ} ١٣ {وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ} ١٤ {[سورة الصافات].

عِبَادَ اللَّهِ:

أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمَّا كُسِفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِهِ فَرَعَ فَرَعًا شَدِيدًا، قَالَ أَبُو مُوسَى [؟]: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ فَرَعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ، حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَقَامَ يُصَلِّي بِأُطُولِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ، مَا

رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ»، (245) وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلُوا يَخْرُونَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا، نَحَا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ»... الْحَدِيثُ (246)، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْكُرُوا اللَّهَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَافْرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَافْرَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا». (247)

هَذَا هُوَ حَالُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا هِيَ حَالُنَا؟ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا، وَأَيِّظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

حَرِيٌّ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ أَنْ يَعْتَبِرُوا بِنُذُرِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، فَمَا وَفُوعُ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ إِلَّا أَنْذَارٌ بِعَذَابٍ انْعَقَدَتْ أَسْبَابُهُ، فَالْوَاجِبُ عِنْدَ الْكُسُوفِ أَوْ الْخُسُوفِ أَنْ يَهْرَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ حَتَّى يَنْجَلِيَ مَا بِهِمْ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْرَأَ الْأَحْدَاثَ الْكُونِيَّةَ مِنْ رِوَايَةِ شَرِّعِيَّةٍ، قَالَ قَتَادَةُ: "إِنَّ اللَّهَ يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ آيَاتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ وَيَذْكُرُونَ وَيَرْجِعُونَ" (248)، وَهَذِهِ صِفَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ذُكِّرُوا تَذَكَّرُوا، وَإِذَا وُعْظُوا انْعَضُوا، وَالْآيَاتُ لَا تُؤَيِّرُ فِيمَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا، {وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا} [الإسراء: 60] هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

245) أخرجه مسلم في صحيحه، (912).

246) أخرجه مالك في موطأه، (1/ 237).

247) أخرجه البخاري في صحيحه، (999).

248) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (16/ 367).

الْمَسَاجِدُ... بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَسَاجِدَ أَحَبَّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ، وَأَوْدَعَ فِيهَا نُورًا لِلْقُلُوبِ، وَغَذَاءً لِلْأَرْوَاحِ، لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ، وَيُعْظَمَهُ، وَيُنَاجِيَهُ، وَيَتَذَلَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَفَّقَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ قَدَّمَ رِضَاهُ عَلَى مَا تُحِبُّهُ نَفْسُهُ وَتَهْوَاهُ، وَأَضَلَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 28].

عِبَادَ اللَّهِ:

هِيَ أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ، يُحِبُّهَا أَهْلُهَا، وَتَتَعَلَّقُ بِهَا قُلُوبُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَتَطْمَئِنُّ فِيهَا نُفُوسُ الْخَاشِعِينَ، وَتَنْتَشِفُ إِلَيْهَا قُلُوبُ مَنْ صَدَقَتْ مَحَبَّتُهُمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، تَجْتَمِعُ فِيهَا الْقُلُوبُ، وَتَتَأَلَّفُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ، أَعَدَّ اللَّهُ نَزْلًا فِي الْجَنَّةِ لِمَنْ غَدَا إِلَيْهَا أَوْ رَاحَ، مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا قَلْبُهُ كَانَ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ عَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ فَهُوَ مِمَّنْ يُشْهَدُ لَهُ بِالْإِيمَانِ، تَنَنَّقَلُ عَنْهَا أَقْدَامُ الْمُغْرَضِينَ وَالْعَافِلِينَ، وَيَهْجُرُهَا الَّذِينَ اسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ، فَأَظْلَمَتْ قُلُوبُهُمْ، وَخَرَمُوا هَذَا النُّورَ الَّذِي جَعَلَهُ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. إِنَّهَا الْمَسَاجِدُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَشْكُو وَتَنُوحُ مِنْ قِلَّةِ الْمُصَلِّينَ: {٣٥} (فِي بُيُوتِ أَذُنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) ٣٧ (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ٣٨ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) ٣٩ { [النور: 36-39].

الْمَسَاجِدُ يَا عِبَادَ اللَّهِ بُيُوتُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَمَوَاطِنُ عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَذِكْرِهِ، هِيَ مِفْتَاحُ الرَّحِمَاتِ، وَمَوْضِعُ تَنْزُلِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، تَجْتَمِعُ فِيهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتُظْهِرُ فِيهَا شَعَائِرَ الدِّينِ، أَضَافَهَا اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَأَعَدَّ لِمَنْ عَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَشَهِدَ اللَّهُ لِعُمَارِهَا بِالْإِيمَانِ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: 18]. مَنْ عَمَرَهَا فَقَدْ عَمَرَ طَرِيقَ آخِرَتِهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ التَّوْفِيقِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْعَبْدِ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ، قَالَ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ» (249)، وَمَعْنَاهُ شَدِيدُ الْحُبِّ لَهَا، وَالْمُلَازِمَةُ لِلْجَمَاعَةِ فِيهَا، كَأَنَّمَا قَلْبُهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَهُوَ يُحِبُّ

الْمَسْجِدَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ، وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ مَلَكَ نَفْسُهُ، وَقَادَهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَانْقَادَتْ لَهُ، فَلَا يَقْصُرُ نَفْسُهُ عَلَى مَحَبَّةِ بَقَاعِ الْعِبَادَةِ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَوَاهُ، وَقَدَّمَ مَحَبَّةَ مَوْلَاهُ عَلَى مَا تُحِبُّهُ نَفْسُهُ وَتَهْوَاهُ، وَهَذَا ثَمَرَةُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَحَبَّهُ، وَأَحَبَّ مَا يُحِبُّهُ. وَقَدْ حَقَلَتِ السُّنَّةُ بِأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فِي فَضَائِلِ عُمَارِ الْمَسَاجِدِ وَالْأُجُورِ الْعَظِيمَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا قُلُوبُهُمْ. أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ شَعِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ، وَقَدْ هَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِإِحْرَاقِ بَيُوتٍ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا، وَعَدَّ تَرْكَهَا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، (250)، ((وَلَمْ يَأْذَنْ لِرَجُلٍ أَعْمَى، قَدْ كَبِرَ سِنُّهُ، وَبَعُدَتْ دَارُهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَقُودُهُ، أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهَا)). (251)

وَالنَّهْأُونَ عَنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسَاجِدِ عَلَامَةٌ خِذْلَانٍ، وَقَسْوَةِ قَلْبٍ، وَضَعْفٍ فِي الْإِيمَانِ، وَغَفْلَةٍ وَتَفَرُّيطٍ، وَلَا يَزَالُ أَقْوَامٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ.

فَلْيَحْذَرِ الْمُتَكَاسِلُ الَّذِي يَلُوي غُنْفَهُ، وَيَصُمُّ أَدْنَاهُ عَنْ سَمَاعِ النَّدَاءِ، وَيَتَعَامَى عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى بَيُوتِ اللَّهِ، أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46].

وَقَالَ رَسُولُ الْهُدَى ﷺ: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا» (252).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56].

(250) أخرجه مسلم في صحيحه، (651).

(251) أخرجه مسلم في صحيحه، (653).

(252) أخرجه البخاري في صحيحه، (626).

الْمَالُ فِي مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّزَّاقِ ذِي الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، رَزَقَ الْعِبَادَ وَجَعَلَهُمْ فِي الْمَالِ مُسْتَخْلَفِينَ، وَعَنْهُ فِي الْآخِرَةِ مُحَاسِبِينَ، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَنْتَبَاهَا وَكَفَى بِنَا حُسْبِينَ} [الأنبياء: 47]، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [لقمان: 33].

عباد الله:

هُوَ قِوَامُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا وَبَهْجَتُهَا وَزِينَتُهَا، جُبِلَتِ النَّفُوسُ عَلَى حُبِّهِ، وَالنَّفَاسُ فِي جَمْعِهِ هُوَ زِينَةٌ وَجَمَالٌ، وَبِهِ يَكُفُّ الْمَرْءُ وَجْهَهُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ، وَبِهِ يَصِلُ رَحِمُهُ وَيُعْطَى مِنْهُ حَقُّهُ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ اخْتِبَارًا وَابْتِلَاءً: مَنْ أَيْنَ يَكْتَسِبُونَهُ وَفِيمَا يُنْفِقُونَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ» (253)، يُمْتَحَنُ بِهِ الصَّابِرُ وَيُخْتَبَرُ بِهِ الشَّاكِرُ، فَمَنْ أَصَابَ الْمَالُ مِنْ جِلِّهِ وَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ فِيهِ فَذَلِكَ الَّذِي يُبَارَكُ لَهُ فِيهِ، فَهُوَ نِعْمَةٌ إِذَا أَحْسَنَ النَّصْرُفَ فِيهِ كَسْبًا وَإِنْفَاقًا، فَإِنْ لَمْ يُحْسِنِ النَّصْرُفَ فِيهِ كَانَ الْمَالُ فِتْنَةً وَبَلَاءً {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن: 15]، وَلَمْ يَذْمِ الْإِسْلَامُ الْمَالَ إِلَّا إِذَا جَعَلَهُ الْمَرْءُ غَايَةً مَسْنَعًا، وَعَنْ الْوَاكِدِ الشَّرْعِيَّةِ الْهَاهُ، أَوْ مَنَعَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ كُلَّمَا زَادَ رِزْقُهُ زَادَ اللَّهُ شُكْرَهُ: بِلِسَانِهِ حَمْدًا وَتَنَاءً، وَبِمَالِهِ مَنَحًا وَعَطَاءً. وَيَذُمُّ الْإِنْسَانُ فِي الْمَالِ يَدَ وَدِيعَةٍ، {ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7].

عباد الله:

لَيْسَتْ الْعِزَّةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَلَا بِقِلَّتِهِ، وَإِنَّمَا بِحُسْنِ إِدَارَتِهِ، فَلَا كَثِيرَ مَعَ التَّنْذِيرِ، وَلَا قَلِيلَ مَعَ حُسْنِ التَّنْذِيرِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: «مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ» (254)، وَالْإِقْتِصَادُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَحُسْنُ التَّنْذِيرِ مِفْتَاحُ الرُّشْدِ وَبَابُ السَّلَامَةِ. وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأثور: «وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى» (255).

(253) أخرجه الدارمي في سننه (537).

(254) أخرجه أحمد في مسنده، (4269).

(255) أخرجه النسائي في سننه، (1305)، وصححه الألباني.

عباد الله:

لَيْسَ مَالُ الْمَرْءِ مَا جَمَعَهُ لِنَفْسِهِ وَلِوَرَثَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، بَلْ حَقِيقَةُ مَالِ الْمَرْءِ هُوَ مَا قَدَّمَهُ لِنَفْسِهِ ذَخْرًا، يَجِدُهُ عِنْدَ رَبِّهِ. قَالَ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ». (256)

الْمَالُ يُعَلِّي مَنْزِلَةَ صَاحِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَيُبْلِغُهُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى إِذَا أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ». (257)

وَالْمُوفَّقُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، الَّذِي إِنْ انْقَطَعَتْ أَنْفَاسُهُ لَمْ تَتَوَقَّفْ حَسَنَاتُهُ، وَإِذَا وَارَاهُ الشَّرَابُ بَقِيَ أَثَرُهُ وَجَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ:

عباد الله:

وَمِنْ أَشَدِّ مَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْمَالِ الْحَرَامِ: التَّعَدِّي عَلَى الْمَالِ الْعَامِّ، فَالْمَالُ الْعَامُّ حُرْمَتُهُ كَبِيرَةٌ وَحِمَايَتُهُ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَشَدُّ فِي حُرْمَتِهِ مِنَ الْمَالِ الْخَاصِّ، لِأَنَّ الْمَالِ الْعَامَّ تَتَعَلَّقُ بِهِ دُمُومُ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ حَدَرْنَا دَيْنُنَا مِنَ الْأَخْذِ وَالِاخْتِلَاسِ مِنْ هَذِهِ الْمُمْتَلَكَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ التَّعَدِّي عَلَيْهَا أَوْ الاسْتِفَادَةَ مِنْهَا بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ.

قَالَ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (258)

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ». (259)، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: مَنْ جَعَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ وَأَعْطَيْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ مَالًا فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِنْ أَخَذَ فَهُوَ غُلُولٌ {وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مِمْلَأًا وَلَا يَتْرُكَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا تَوَقَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: 161]. وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا حَرَامًا فَيَتَصَدَّقَ مِنْهُ فَيَقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ. وَكَمْ مِنْ مَالٍ كَانَ وَقُودًا لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُكْوَى بِهِ جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنَ السُّحْتِ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أُولَى بِهِ». (260)

فَطَيَّبُوا مَكَاسِبَكُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَاتَّقُوا الشُّبُهَاتِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ.

(256) أخرجه البخاري في صحيحه، (6077).

(257) أخرجه البخاري في صحيحه، (807)، وأخرجه مسلم في صحيحه، (595).

(258) أخرجه البخاري في صحيحه، (2950)

(259) أخرجه أبو داود في سننه (2943)، وصححه الألباني.

(260) أخرجه الترمذي في سننه (614)، وصححه الألباني.

الْوُقُوفُ نَهْرٌ جَارٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ لِعِبَادِهِ أَبْوَابَ الْخَيْرَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى اغْتِنَامِ حَيَاتِهِمْ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَجَعَلَ مِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مَا يُكْتَبُ لَهُمْ أَجْرُهَا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَا بَعْدُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18].

عِبَادَ اللَّهِ:

بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَنَهْرٌ جَارٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ يَتَدَفَّقُ عَلَى صَاحِبِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَذِكْرٌ حَسَنٌ لَهُ بَعْدَ انْدِرَاسِ رَسْمِهِ؛ فَصَاحِبُهُ حَيٌّ وَإِنْ نُقِلَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَمْوَاتِ، تَنْقَطِعُ بَوَاقِي الْمَرْءِ أَعْمَالُهُ، وَتَتَوَقَّفُ حَسَنَاتُهُ، وَيَبْقَى لَهُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْأَجُورِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ؛ إِنَّهُ الْوُقُوفُ يَا عِبَادَ اللَّهِ.

قَالَ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» وَذَكَرَ مِنْهَا: «صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ». (261)

لَمَّا كَانَ الْمَوْتُ سَبَبًا لَانْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ، حَثَّ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَى الْأَخْذِ بِطُرُقِ اسْتِمْرَارِ الْأَعْمَالِ الْخَيْرَةِ إِلَى مَا بَعْدَ الْمَوْتِ حَتَّى تَسْتَمِرَّ الْأَجُورُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوُقُوفُ.

عِبَادَ اللَّهِ:

يَتَسَاءَلُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْبَذْلِ وَالْإِحْسَانِ عَنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ وَأَعْظَمِهَا أَجْرًا وَأَكْثَرَهَا نَفْعًا وَأَدْوَمُهَا أَثَرًا؛ وَهَذَا هُوَ السُّؤَالُ الَّذِي سَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [?] النَّبِيَّ ﷺ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى الْوُقُوفِ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» (262)، فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ -أَيَّ وَقَفَّهَا- وَسَبَلَ غَلَّتْهَا.

قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [?]: «مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ذُو مَفْدِرَةٍ إِلَّا وَقَفَ». فَيَا مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَسَّعَ رِزْقَهُ، إِنَّهُ لَمِنْ الْجَرْمَانِ أَنْ يَكُونَ مَا شَقِيَتْ بِجَمْعِهِ فِي حَيَاتِكَ لَا أَثَرَ لَهُ فِي سَعَادَتِكَ وَنَجَاتِكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَكَانَ لِوَارِثِكَ غَنَمُهُ وَعَلَيْكَ غُرْمُهُ. وَاعْلَمْ أَخِي أَنَّهُ لَنْ يَنْفَعَ الْمَرْءَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ نَفْسُهُ؛ فَكَمْ رَأَيْنَا مِنَ الْأَثَرِيَاءِ رَحَلُوا وَلَمْ يُوصُوا أَوْ يُوقَفُوا فَتَنَسِيَهُمْ أَبْنَاؤُهُمْ، وَقِيلَ لَهُمْ: تَصَدَّقُوا عَنْ أَبِيكُمْ، فَقَالُوا: لَوْ كَانَ يُرِيدُ لَقَدَّمَ فِي حَيَاتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَسْنَا بِأَحْرَصَ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ أَبِيْنَا.

(261) أخرجه الترمذي في سننه، (1376)، وصحه الألباني.

(262) أخرجه البخاري في صحيحه، (2586).

إِنَّ الْمَيِّتَ الَّذِي أَوْقَفَ جُزْءًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَا يَزَالُ غَنِيًّا، وَقَدْ نَقَلَ مَعَهُ جُزْءًا مِنْ مَالِهِ لِأَخْرَجَتِهِ، وَمَلَكَ هَذَا الْمَالَ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ، لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ؛ فَاعْتَنِمِ الْفُرْصَةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَأَوْقِفْ مِنْ مَالِكَ قَبْلَ أَنْ يَرْوُلَ عَنْكَ إِلَى مَنْ بَعْدَكَ، فَلَعَلَّ وَارِثَكَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهُ فِيهِ فَيَكُونَ أَسْعَدَ بِهِ مِنْكَ.

وَاحْذَرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ التَّسْوِيفَ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ [?]: «كَمْ جَاءَ إِلَيْكَ الثَّوَابُ فَوَقَفَ بِالْبَابِ، فَرَدَّهُ بَوَابِ (سَوْفَ) وَ(لَعَلَّ) وَ(عَسَى)»، وَ { وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ }.

عِبَادَ اللَّهِ:

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَشَرَطُ صِحَّةِ وَقْفِهِ أَنْ يَكُونَ قُرْبَةً. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: "لَا أَعْرِفُ الْوَقْفَ إِلَّا مَا أُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ" (263)؛ وَلِذَا يُنْصَحُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوقِفَ أَنْ يَكُونَ وَقْفُهُ عَلَى مَصَارِفِ الْبِرِّ؛ فَإِنَّ الْوَقْفَ عَلَى الذَّرِيَّةِ مَعَ غِنَاهُمْ لَيْسَ بِرًّا، وَإِنَّمَا هُوَ تَوْرِيثٌ، وَلِذَا فَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ خَيْرِيًّا، وَيُنْصَحُ الْوَاقِفُ أَنْ مِنْ مَصَارِفِ الْوَقْفِ مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا مِنْ أَهْلِ الرِّكَاعَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ. اللَّهُمَّ وَقِنَا لَفْعَ الْخَيْرَاتِ وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمَسَارِعِينَ إِلَى الطَّاعَاتِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الْوَقْفِ وَتُمْوِهِ وَاسْتِمْرَارِيَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْأَيْدِي الْعَابِثَةِ، وَتَحْقِيقِ شُرُوطِ الْوَاقِفِ فِيهِ: اثْبَاتُهُ وَتَوْثِيقُهُ وَإِثْقَانُ وَثِيقَةِ الْوَقْفِ، وَذَلِكَ بِاسْتِشَارَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْخُبَرَةِ وَالِاخْتِصَاصِ. وَيُسْتَحَبُّ لِلْوَاقِفِ أَنْ يَخْتَارَ لَوْفِهِ الطَّيِّبَ الْغَالِيَّ وَالنَّفِيسَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَأَنْ يُرَاعِيَ فِي اخْتِيَارِ النُّظَارِ مَنْ يَنْصَفُ بِالْأَمَانَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْكِفَايَةِ وَالصَّلَاحِ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ الْوَقْفِ مَرْهُونٌ بِصَلَاحِ النَّاظِرِ وَتَقْوَاهُ وَإِثْقَانِهِ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْجِدَّةِ فَيُمْكِنُهُ أَنْ يُوقِفَ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ، فَمَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ لَا يُثْرَكَ جُلُّهُ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْبِرِّ خَيْرٌ مِنَ الْحَرَمَانِ، فَبِمَا كَانَ الْمَرْءُ أَنْ يَضْرِبَ بِسَهْمٍ وَفِي قَدَرٍ اسْتَطَاعَتِهِ «وَرَبِ دِرْهَمٍ سَبَقَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ». (264)

263 () الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه، (10/ 314).

264 () أخرجه النسائي في السنن الكبرى، (2318).

الفهرس

مُقَدِّمَة

3

3

1. الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ... نُورُ الْهِدَايَةِ وَمِنْهُجُ الْحَيَاةِ.

6

2. تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ ... سَبِيلُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ

9

3. اللَّهُ... الْاسْمُ الْأَعْظَمُ

12

4. اللَّهُ الْوَلِيُّ... أَمَانُ الْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرُ الْمُتَّقِينَ

15

5. الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ... أَشْرَفُ الْعُلُومِ

18

6. الثِّقَّةُ بِاللَّهِ رَأْدُ الْقُلُوبِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

21

7. تَعْظِيمُ اللَّهِ ... رُوحُ الْعِبَادَةِ وَبَهَاؤُهَا

24

8. "مَحَبَّةُ اللَّهِ " طَرِيقُ الطَّاعَةِ.

27

9. الْقَلْبُ وَوَسَائِلُ إِضْلَاحِهِ

31

10. أَثَرُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ

34

11. وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ... تَوْحِيدُ الاسْتِعَانَةِ

37

12. إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ... دُعَاءُ الْعُمَرِ

40

13. التَّوْفِيقُ... أَسْبَابُهُ وَمَوَانِعُهُ

44

14. «التَّفَاؤُلُ» وَفُؤْدُ الْعَمَلِ وَالنَّجَاحِ

48

15. مَقَامُ الشُّكْرِ... مَظَاهِيرُ وَوَسَائِلُهُ

52

16. الْإِسْتِغْفَارُ... دَأْبُ الْمُؤْمِنِينَ وَسَبِيلُ الصَّالِحِينَ

55

17. التَّسْبِيحُ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ

58

18. " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " ...سِرُّ الْقُوَّةِ وَالثَّبَاتِ

61

19. الدُّعَاءُ... بَيْنَ فَضْلِ الْعِبَادَةِ وَخَطَرِ الْمَوَانِعِ

64

20. الصَّلَاةُ... عَمُودُ الدِّينِ وَعُنْوَانُ النَّجَاحِ

67

21. صَلَاةُ الْفَجْرِ... بَدَايَةُ النُّورِ وَبَرَكَتُهُ الْيَوْمِ

70

22. الْبَرَكَةُ الْإِلَهِيَّةُ: آثَارُهَا وَأَسْبَابُهَا

73

23. أَمْنُ الْأَوْطَانِ هِبَةُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ

76

24. مَنَزِلَةُ عِبَادَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي الْإِسْلَامِ

79

25. حُسْنُ الْخُلُقِ: سَبِيلُ الرُّفْعَةِ وَكَمَالِ الْإِيمَانِ

82. 26. بَذَلُ الْمَعْرُوفِ... طَرِيقُ الْبَرَكَةِ
85. 27. الْأَلْفَةُ... رُوحُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ
89. 28. جَبَرُ الْخَوَاطِرِ... عِبَادَةُ خَفِيَّةٌ
92. 29. الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ... جِسْرُ الْقُلُوبِ
95. 30. الْقَنَاعَةُ... سِرُّ السَّعَادَةِ
98. 31. إِفْشَاءُ السَّلَامِ... مِفْتَاحُ الْمَحَبَّةِ
101. 32. الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ... حَقٌّ وَاجِبٌ
104. 33. حُسْنُ الْجَوَارِ... خُلُقُ الْكِرَامِ
107. 34. مَالَاتُ هَمِّ الدُّنْيَا وَهَمُّ الْآخِرَةِ
110. 35. التَّنَبُّتُ فِي الْأُمُورِ... صَيَانَةُ لِمَرْءٍ مِنَ الرِّلِّ
113. 36. اهْتِمَامُ الْإِسْلَامِ بِظَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَمَاكِينِ وَالْأَبْدَانِ
116. 37. الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ وَعَاقِبَتُهُ الْهَلَاكُ
120. 38. الْحَسَدُ... ذَاؤُ الْقُلُوبِ، أَسْبَابُهُ وَعِلَاجُهُ
123. 39. تَخْذِيرُ النَّبَلَاءِ مِنْ خَطُورَةِ الشَّخَنَاءِ
126. 40. الْغِيْبَةُ... سُمُّ الْمَجَالِسِ
129. 41. النَّظَرُ الْمَحْرَمُ... مِفْتَاحُ الشَّهَوَاتِ
132. 42. الْغَفْلَةُ... طَرِيقُ الْهَلَاكِ
135. 43. الْجِحَاءُ... سَبَبُ الْقَطِيعَةِ وَقَسَادِ الْقُلُوبِ
138. 44. الطَّمَعُ... مَرَضُ النُّفُوسِ وَسَبَبُ الْهَوَانِ
141. 45. الْفَرَاغُ... نِعْمَةٌ وَحَسْرَةٌ
144. 46. آفَةُ السَّهْرِ وَأَثَارُهَا عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا
147. 47. غَدَاوَةُ الشَّيْطَانِ وَمَكَايِدُهُ فِي إِغْوَاءِ الْإِنْسَانِ
150. 48. الْفِتْنُ... أَسْبَابُ الْوُقُوعِ فِيهَا وَالتَّجَاهُ مِنْهَا
153. 49. يَوْمُ الْجُمُعَةِ... عِيدُ الْأُسْبُوعِ
156. 50. التَّنْبِكِيُّرُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ... دَلِيلُ التَّعْظِيمِ
159. 51. شعبان... شهر التَّهْيِئَةِ وَرَفْعِ الْأَعْمَالِ
162. 52. رمضان... بَشَارَةُ الْمُتَّقِينَ وَزَادُ الصَّادِقِينَ
165. 53. شَهْرُ رَمَضَانَ... مَوْسِمُ الرَّحْمَةِ وَالْعُفْرَانِ

- 168 54. اسْتَقْبَالَ رَمَضَانَ... فَقَهُ وَاسْتَعْدَادُ
- 171 55. انْتِصَفَ رَمَضَانَ، وَعَظِيمُ أَجْرِ الْمُتَّقِينَ
- 174 56. اغْتِنَامُ مَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ
- 177 57. غَامٌ جَدِيدٌ... دَعْوَةٌ لِلْمُحَاسَبَةِ وَالتَّجْدِيدِ
- 180 58. نِعْمَةُ الْعَيْثِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ بَدَعِ شَهْرِ رَجَبٍ
- 184 59. الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ... طَرِيقُ الْهُدَى
- 187 60. الْمَاءُ... سِرُّ الْحَيَاةِ وَمَنْبَعُهَا
- 190 61. الشِّتَاءُ... رَبِيعُ الْمُؤْمِنِينَ
- 193 62. يَوْمُ التَّنَادِي... مَشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ
- 196 63. التَّمَرُ... غِذَاءٌ وَبَرَكَاتٌ
- 199 64. الْخُسُوفُ وَالْكَسُوفُ... رِسَالَةٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ
- 202 65. الْمَسَاجِدُ... يُبَيِّنُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ
- 205 66. الْمَالُ فِي مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ
- 208 67. الْوَقْفُ نَهْرٌ جَارٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ
- 211